

مجلة
الثقافة
الوطنية
الديمقراطية

أدب ونقد

العدد
(٢١٣)
مايو
٢٠٠٣

من السويس إلى بغداد

أمريكيون ضد
أمريكا وعصابات
نيويورك

أمل دنقل
.. لاتصالح

إريك فروم:
الزعة التدميرية



الحرب
في الصور..
والكلمات

أنا شيمل
صديقة الإسلام

فرانز فانون:
في العنف





أدب ونقد

مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية

شهرية يصدرها حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي

تأسست عام ١٩٨٤ / للسنة الثامنة عشر العدد ٢١٣ / مايو ٢٠٠٣

رئيس مجلس الإدارة: د. رفعت السعيد

رئيس التحرير: فريدة النقاش

مجلس التحرير : إبراهيم أصلان

د. صلاح السروي / طلعت الشايب

د. على مبروك / غادة نبيل

كمال رمزي / ماجد يوسف

حلمى سالم / مصطفى عبادة

على عوض الله كرار

المراسلات: مجلة [أدب ونقد] ١ شارع كريم الدولية / ميدان طلعت حرب / الأهالي

القاهرة / هاتف ٢٩ / ٢٨ / ٥٧٩١٦٢٧ فاكس ٥٧٨٤٨٦٧

المستشارون

د. الطاهر مكي / د. أمينة رشيد
صلاح عيسى / د. عبد العظيم أنيس

شارك في هيئة المستشارين ومجلس التحرير الراحلون
د. لطيفة الزيات / د. عبد المحسن طه بدر
محمد روميث / ملك عبد العزيز

للغلاف أعمال الصف والتوضيب
أحمد السجيني نسرين سعيد إبراهيم
تصحيح : أبو السعود على سعد

لوحة الغلاف: الفنان العراقي / جواد سليم
الرسوم الداخلية: الفنانان جمال عبد الناصر وحسن فداوى
بورتريه أمل دنقل د: عز العرب

الاشتراكات لمدة عام
باسم الأهالي / مجلة [أدب ونقد]: داخل مصر ٥٠ جنيها
البلاد العربية ٥٠ دولارا / أوروبا وأمريكا ٧٥ دولارا

الطباعة
شركة الأمل للطباعة والنشر
الأعمال الواردة إلى المجلة لا ترد لأصحابها سواء نشرت أو لم تنشر
يمكن إرسال الأعمال على العنوان البريدي أو البريد الإلكتروني:
adabwanaqd@yahoo.com
موقع [أدب ونقد] على الانترنت: adabwanaqd.4t.com

ترجو المجلة من كتابها ألا يزيد عدد صفحات المادة المرسلة عن عشر
صفحات أو ثلاثة آلاف كلمة

محتويات العدد

- أول الكتابة ٥ المحررة
- الحرب في الصور والكلمات ..أمريكيون ضد أمريكا / ملف/ إعداد وتقديم: على عوض الله كزار
- الضرب في العراق شعر إسلام الشيخ ١٦
- الهتاف و.....إعداد ع. ع ١٧
- إعلان الضمير ..هذا لا يتم باسمنا/ترجمة.....: د. حامد عمار ٢٠
- نداء من المحاربين الأمريكيين القدماء..... ٢٣
- الحرب الخاسرة /عاموس عوز/ترجمة: عبد الوهاب الشيخ ٢٥
- أمريكا / شعر: (الين جنسبرج)/ ترجمة: أحمد مرسى ٢٦
- أكثر من فيتنام واحدة/ أونستوجيفارا /.....ترجمة: يوسف درويش ٢٩
- النزعة التدميرية / اريك فروم/ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد ٣١
- فساد المصير / مقتطفات من هيسا/ترجمة: أسامة مزلجي ٣٥
- فلنشارك بمظاهرة ضد الحرب/ تشن ين/ترجمة: عبد العزيز السيد ٤٠
- لنمارس الحب لا الحرب /.....جيرنش كنترمان ٤٣
- القتل كعقيدة / سينما /.....محمد عبد الرحيم ٤٤
- بلوغ القمة /شعر/ها فيفا بيدايا/.....ترجمة: عبده وازن ٤٧
- أنا ماري شيمل/ تحية.....: د. هوني عبد الرؤوف ٤٩
- ابن رشد مفكر من طراز فريد/ رواد التنوير/عبد السلام نور الدين ٦٨
- **الديوان الصغير**
- في العنف / فرانز فانون/إعداد وتقديم: عبد الحميد البرنس ٧١
- تحديث العقل العربي/ مساحة فكر /.....: د. عاطف أحمد ١٠٤
- لا تصالح /.....أمل دنقل ١٠٨
- جماهيرية أمل دنقل / قوس قزح /.....حلمى سالم ١١٢
- ويقتل أبناءه الشعر / شهادة/.....عبد المنعم عواد يوسف ١١٤
- فتحي زين العابدين سلام عليك / موسيقى/أشرف السركي ١٢٠
- الغموض في نصوص النقد العربي الجديد/ دراسة /.....: د. سمير حجازي ١٢٤
- موقف أمين العالم من الأيديولوجية / دراسة /سماع المروجي ١٢٩
- حدائق النساء / ندوة / صفاء النجار / ١٣٧
- مشهد ليلى / قصة /.....رنا حايك ١٤٠
- كتب/ متابعات / إعداد..... " أحمد الشريف ١٤١
- * في النهاية أيضا ستكون الكلمات / رأى /ع. ع ١٤٤

لوحة الغلاف للفنان العراقي الراحل جواد سليم ، صاحب «نصب الحرية» وعديد من الأعمال في النحت والرسم



أهل الكتابة

« كلكم مهزومون وليس العراق وحده » هكذا قال أحد الساسة الأمريكيين في إدارة " بوش " الأب حين انتهت حرب الخليج الثانية بتحرير الكويت وإخراج الجيش العراقي منها سنة ١٩٩١ ثم فرض الحصار على العراق ، والآن ما أشبه الليلة بالبارحة كلنا مهزومون بسقوط بغداد في أيدي الاحتلال الأمريكي البريطاني سقطت بغداد عاصمة ألف ليلة وليلة كتاب العرب الذي ابتدأ فيه الحكى دون أن يقدروا أحدا بعد أن جرى إنهالك الشعب وسحقه بين سندان الاستبداد الصدامي الوحشي ومطرقة الحصار والعقوبات الدولية . وقد جرى احتلال العراق وتدمير بنيته التحتية ونهب متاحفه وجامعاته وآثاره تحت سمع وبصر المحتلين حتى أن ثلاثة من مستشاري " بوش " الثقافيين استقالوا احتجاجا . يكفي المرء أن يتابع على شاشات التلفزيون الحال المزرية التي يعيش فيها سكان المدن والأحياء الفقيرة في العراق والتي كانت واحدة من أغنى الدول العربية بل ومن أغنى دول العالم، ثم يقارن ذلك بالذخ السفيه الذي عاش فيه صدام وعائلته، وبالمليارات التي جرى تهريبها للخارج ، أو يستمع إلى حكايات أصحاب الملايين الذين اغتنوا من التجارة في قوت الشعب وفي محتته ، وأساليب النظام البعثي الذي لاحق أنفاس شعبه وبكمها ودفع بأربعة ملايين عراقي إلى المفتى بينهم خيرة مثقفيه من كتاب وشعراء وعلماء ومسرحيين وفنانين .

ولكن وفي مواجهة هذا الطرد الجماعي للمثقفين من وطنهم قام النظام الفاشي بتقديم الرشاوى لنفر من المثقفين العرب كتبوا الدلائل لصدام ونظامه غير عابئين بحنة العراق وغربة مثقفيه وكتابة واقع.

بينما كان هناك من أيد النظام العراقي ودافع عنه ببيان المثقفين العرب باسم القومية دون أن يكون مرتشيا أو ملجورا ، وكان المنطق الذي يجادل به هؤلاء يتأسس على فكرة ما تزال شائعة في حياتنا العربية وتحتاج الى مراجعة نزيهة تقول هذه الفكرة إن على الجميع أن يساندوا النظام الذي يقف في مواجهة الإستعمار أيا كانت خلافاتهم معه حتى لو كانت هذه الخلافات جوهرية شأن الحريات، وأنه في هذا السياق تنقل قضية الديمقراطية والحريات العامة من حرية التعبير للتنظيم للاعتقاد للنشر مؤجلة حتى يتحرر الوطن من الأجنبي .

وقد ثبت فساد هذه المقولة في الممارسة العملية فإضافة إلى حقيقة أن نظام " صدام حسين " كان قد قدم خدمات جليلة للاستعمار العالمي حين حارب إيران وحين غزا الكويت وحين راهن على انقسام البلاد بين سنة وشيعة وعرب وأكراد وتركمان وأشوريين وبذر بذرة الطائفية الضخمة وقصف مناطق الأكراد بالكيمائويات فإن قمع الحريات العامة وتقييد الرقابة الشعبية على مؤسسات النظام في كل التجارب التي لجأت إلى هذه المقايضة بين حرية الوطن وحرية المواطنين قد أسفرت في آخر المطاف الحزين عن استمراء الفساد وتقزيم المشروعات الكبيرة، وتحويل المواطنين الى مترجحين ووعايا أذلاء وكان الفساد عنصرا أساسيا في نزح ثروات البلاد وإعادة تقسيمها لصالح الأغنياء الجدد ، سواء أغنياء الحرب في العراق أو كبار التجار والبيروقراطيين العسكريين في الجزائر أو أغنياء البرنيس الذين نهبوا أموال البنوك في مصر أو هؤلاء الذين تاجروا بمخدرات المصريين تحت راية الدين باسم شركات

توظيف الأموال حين تحولت الدولة إلى غنيمة لأثرياء الانفتاح الاقتصادى الذين نبتوا كالفطر متحصنين بالنفوذ العائلى أو النفوذ النقطى الرجعى أو علاقات المصالح مع الحكام مستهينين بمصالح الشعب، وقد عجز الشعب عن الدفاع عن نفسه بسبب قمع الحريات وغياب الديمقراطية من جهة ، واستقواء الحكام بالقوى الأجنبية التى ربطوا مصالحهم بها برباط وثيق من التبعية من جهة أخرى فى غالبية البلدان العربية.

ظل منطق المقايضة هذا شائعا وقويا حتى بعد أن وقعت هزيمة ١٩٦٧ الفاجعة وحين طالب مثقفون وساسة بفتح ملف أسباب الهزيمة لاحقهم النظام الناصرى وقمعهم ولكن هذا المنطق أخذ يتراجع ويتاكل بعد أن نجح نظام السادات فى مصر فى القفز على السلطة واستخدام الصلاحيات الواسعة جدا لرئيس الجمهورية فى الدستور المصرى ، وهو دستور غير ديمقراطى يحصن سلطة الحاكم المطلق - استخدم هذه الصلاحيات لإحلال تحالف طبقي جديد فى الحكم مكان التحالف القديم منتصرا لكبار الملاك والرأسمالية التجارية البازغة التى كونت ثروات طائلة فى زمن قياسي من نهب الدولة والقطاع العام ، واستولت على قمة التنظيم السياسى الواحد الذى كان يحكم البلاد . وخصصت الصناعة بادعاء أن الصناعة مقولة ماركسية تنمو فى ظلها الطبقة العاملة .

ومهد هذا التحول الذى بدأ بانقلاب قصر سنة ١٩٧١ أى بعد أربعة أعوام فقط من الهزيمة مهد الأرض لزراعة بذور الثقافة التجارية الإستهلاكية فى ارتباط وثيق بسياسة الانفتاح الاقتصادى القائمة على عبادة السوق وقانون المنفعة والتجارة فى كل شئ من التعليم والصحة للأسلحة للأغذية الفاسدة للمخدرات لأعراض النساء لمستقبل الوطن.

وما إن رحل السادات عن عالمنا ١٩٨١ مقتولا بأيدي الأصولية الدينية التى أطلقها ورعاها إلا وكان الانقلاب التام على توجهات التحرر الوطنى والتنمية المستقلة فى مصر قد استكمل أركانه بالصلح المنفرد مع إسرائيل والإرتماء فى أحضان أمريكا وجر المنطقة كلها إلى مستنقع التبعية بعد أن كان قد أجرى مجموعة من الإصلاحات الشكلية التى اتخذت طابعا ديمقراطيا ناقصا ومشوها ، ونشأ فى الواقع المصرى ماسماه الباحثون الأكاديميون بنظام الحزب الواحد فى قالب تعددى ، وهى الصيغة المنتشرة حتى الآن فى غالبية البلدان العربية التى عرفت أشكالا مبتورة من الديمقراطية قائمة على التعدد العرصى ، وحيث الأحزاب عاجزة عن الوصول إلى السلطة لأن المعارضة هى معارضة أبدية والحزب الحاكم هو حاكم إلى الأبد.

وهكذا ركزت الحركة السياسية ، ونشأت الكتل الإجتماعية الجديدة فى ظل الفراغ السياسى ، وعجزت عن أن تبني مؤسسات حزبية وجماعية تعبر عن مطامحها وآمالها ومشروعاتها تعبيرا أصيلا ، وجرى قمع التنوع الثقافى لا فحسب بالرقابة الحكومية التى لا تمثل لها فى العالم وإنما أيضا بالأصولية الدينية ورقابة الركود الاجتماعى الذى انطلقت منه إتهامات الكفر والزندقة أحيانا والخروج على ما يسمى بتوايت المجتمع أحيانا أخرى ، وذلك بعد أن انتعشت فى ظل الهزيمة كل أشكال الحركات الأصولية التى ساندتها الدوائر الاستعمارية بصورة مباشرة أحيانا كما فعل الأمريكيون مع جماعات الجهاد وطالبان فى مواجهة المد الشيوعى فى أفغانستان ، أو موضوعيا حين لعبت هذه الجماعات دورها فى تعطيل عقول البشر وغسلها لتقبل الأكاذيب والخرافات التى تنطلق باسم الدين أحيانا ،

خاصة وإن الامبريالية الأمريكية فى ظل المحافظين الجدد وحكم اليمين الجمهورى الذى يتبنى المسيحية الصهيونية كعقيدة قد أطلقت حالة من الهوس الدينى فى العالم وذلك على العكس من الواقع العلمانى القديم الراسخ فى أمريكا التى يضم شعبها أبناء لكل الديانات مع غير المتدينين.

وزاد الطين بلة فى كل أرجاء الوطن العربى هشاشة النمو الاقتصادى فأصبحت هزيمتنا مركبة ، وعلى العكس من دول جنوب شرق آسيا على سبيل المثال التى أطلق عليها وصف النمر الاسيوية حيث اقترن تقييد الديمقراطية وقمع الحريات العامة بنمو اقتصادى هائل تعددت أسبابه وياتى نتائجه فى ارتفاع مستوى المعيشة وتفتح القدرات الابداعية للشعوب التى أخذت تطالب بحقوقها الديمقراطية مستندة الى قدراتها الاقتصادية بينما تقدم الهند وهى أكبر ديمقراطية فى العالم مثالا فريدا على الكيفية التى تتساند بها الديمقراطية والتنمية فى بلد فقير الموارد كثيف السكان لخلق عملاق اقتصادى جديد بالاعتماد على الذات وتعظيم المداخل الوطنية تماما كما تفعل الصين الشعبية التى ليست مدينة لأحد ويرشحها الاقتصاديون لتكون قوة كبرى خلال سنوات قليلة.

ولا يجد الباحثون نموذجا للفشل أوضح أو أكثر فداحة من النموذج العربى حيث الثروات طائلة والتفنية متدنية والتبعية للأجنبي فاضحة وعن الاستبداد والقمع حدث ولا حرج.

فلماذا لانكون مهزومين جميعا . ولماذا لا يكون احتلال " بغداد " مجرد تجل جديد لهذه الهزيمة التى لن يقبل أحد بعد الآن تزويقها أو التخفيف من وطأتها باسم النكسة أو التراجع المؤقت ..

وإن نكون مهزومين إلا إذا بدأنا نقاوم .. فلست مهزوما مادمت تقاوم .. والمقاومة ليست عملا عسكريا فقط ضد قوات الاحتلال كما يحدث فى فلسطين وسوف يحدث فى العراق .. المقاومة هى أيضا رؤية للعالم ونمط حياة وعلاقات وأفكار وتصورات عن المستقبل واستشراف له وقد اقترح علينا الصديق الباحث " عبد الحميد البرنس " الذى اختار لنا الديوان الصغير من قانون وقدمه أن نستخدم تعبير المبادرة باعتبار المقاومة هى رد فعل.

وإن يخرج العرب من هذه الهزيمة الشاملة خروجا كريما إلا بالمقاومة والمبادرة الشاملة أيضا على كل المستويات وفى كل الجهات ، والجبهة الثقافية واحدة منها بل لعلها أخطرها .. فهناك سوف تطرح كل الأسئلة المسكوت عنها من المجتمع الطبقي الأبوى وضرورة تفكيكه متجاوزة عن الروح الاستهلاكية العدمية وعن الذهنية الأصولية الجامدة وعن روح النقد المقمومة ، عن التعليم والإعلام ، عن الدين والدنيا عن علاقاتنا بالحركة العالمية المناهضة للامبريالية والصهيونية والقوى الجديدة التى تساند قضايا تحررنا وتسعى لمعاونتنا حتى نهض من كيويتنا ونحن لانفتأ نخذلها بأشكال استجاباتنا المتدنية والبطيئة للتحديات الكبرى ، باستكانتنا للظفان ، وتعايشنا مع مؤسسات فاسدة بيروقراطية غير صالحة للحياة ، ونظم حكم انتهت عمرها الإقتراضى وتعفنت وفاحت رائحتها وعلى ما يبدو فاننا قد اعتدنا الروائح الكريهة وأصبحت جزءا من حياتنا العادية التى هى بالوت أشبه، وهى النظم التى جعلت من أوطاننا فريسة سهلة للطمعين والغزاة والأفاقيين والصنوص ومعدومي الضمائر.

والحصون تسقط من داخلها .. ومقاومة السقوط تبدأ أيضا من الداخل

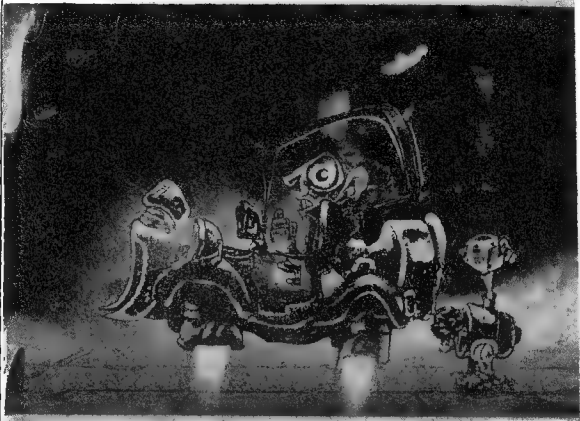
ونحن مطالبون بإطلاق المبادرة والمقاومة معا ..

الحررة

NO COMMENTS



fedawy98@hotmail.com



الحرب فى الصور والكلمات امريكيون ضد امريكا

إعداد وتقديم : على عوض الله كزار

يبدأ الملف بمقتطفات من مقالات الكتاب الرائع (إذا ما استمرت الحرب) للروائي الألمانى العظيم (هرمان هيسه) ، والتي كتبها بدءاً من عام ١٩١٤ ، وهو العام الأول من أول حرب خاضتها أمته ضد العالم ، إلى عام ١٩٤٨ ، عام زرع النكسة العسكرية (إسرائيل) رسمياً وسط الشرق الأوسط بفلسطين ، وكنقطة إرتكاز قوية للإمبريالية الأمريكية بشرق البحر المتوسط .

وهيسه يعلمنا - هنا - درساً - بسيطاً هو : ياأيها المثقف .. ياأيها الأديب .. ياأيها الفنان ، إن وجدت بيتك الذى يؤويك يحترق ، فهل ستستمر فى استكمال كتابة روايتك .. رسم لوحتك .. تستمر فى مداعبة فتاة رقيقة . أو زهرة ندية . أو غيمة تبشر بحياة خضراء على الأرض ؟ .. أتستمر هكذا حتى يقترب منك لسان من السنة الحريق ويلعقك من قدميك إلى يديك المسكتين بالقلم والورقة ؟!

طبعاً هيسه لم يقل هذا ، موقفه هو الذى قال . فطرتة السليمة هى التى أخذت قلمه ، من وقت لآخر ، من عالمه الأثير : عالم الملائكة التى يحكى عنها المؤمنون أنها تركت ، لبعض الوقت ، مكانها وعملها ، لتحارب مع حق الخير فى امتلاك الجمال ، والحرب طرائق لاتحصى ، ومنها إضاعة ممرات جسد الإنسان ، كى تعرف الروح والذهن طريقهما إلى القلوب التى كادت تبتيس ، لهكذا إستاذن هيسه عالم الجمال الميثوث فى ثنايا رواياته ، وانطلق إلى حيث يؤدى فريضته الواجبة : إطفاء الحقد المتلجج فى نفوس أقلية تتربع على قمة مجتمعا .. هى لم تعد تتلذذ بالنظر إلى طبقاتها المتكومة فوق بعضها البعض، تحتها ، هى صارت كالطفل الذى رفعه أباه وأجلسه فوق كتفيه ، مددلاً قدميه على صدره ، وما أن تمر لحظات حتى يستشعر الطفل أنه هو الذى يقود أبيه ، ويستشعر كذلك بأنه يمتلك العالم الذى يحتويه بعينيهِ ، فهو الأول قائم من كل الكائنات التى تمر من جواره ، وهو الذى يرى ما لاتراه عيون المارة ، وهو الذى تطول يده مشنة الغضب التى تحملها المرأة الطالعة لتوها من طابور القرن المزدهم . هكذا تستشعر (الأوليجاركية / الأقلية الحاكمة) موقفها اللحظى ، فهى من هذا العلو الشاهق ترى خيرات الأمم الأخرى ، فبينهشها الحقد ، فتسوق شعبها بعد تسجينه بشوفاينية عمياء ، وتأجيج النار فى رواسبه القبلية ، وتجيجه بالعدة والسلاح (وهى هنا على خلاف الحالة المسيطرة على الطفل) هى فحسب استلت من هذه الحالة خيطاً ونسجت على هيئة حقد استبدلت به رنتيها .

وهنا ، فى أتون التلاحم مع الفزاة تتعرى الكلمة من أردبتها وأثقالها ، فتخلع عنها المجاز والتورية والإيحاء والرمز وكافة المحسنات الإبداعية والبلاغية إلا قليلاً بغية تلدين النص (لاهو طرى ، ولاهو ناشف يابس) ، فقليل من الجلوكوز فى نواء الشرب ، ولون جميل على قشرة كبسولة النواء الملساء ، بيسران مرور مفردات التركيبتين غير المستساغتين ، عيز القم والبلعوم والمعدة .

وطبعاً يتطلب دخول المقالات النظرية فى مواجهة مع الآليات الهمجية حساً سياسياً رفيعاً ، بدون هذا الحس لا يكون لهذه المقالات مكان سوى صنابير القمامة ، وهذا الحس قد يعلو النص ، قد يتخلله ، قد يكون أرضيته ، قد يكون هيكله العظمى ، قد يكون ذاتياً تماماً فى النص فلا يرى ، وقد يظهر كقطع المكسرات الرمضانية فى لفظة أو جملة هنا ، وهناك .. مع كل نص أوقعته الأقدار فى مثل هذه الظروف الاستثنائية (الحرب على رأسها) توجد سياسة ما ، بشكل ما .



ويقول هيسه نفسه : « عندما أقول عن مقالاتي إنها (سياسية) فأنني دائما أضعها بين أقواس ، إذ ليس فيها من السياسة غير جوها العام الذي خلقت فيه » .

ويمتد الملف إلى مقتطفات أخرى ، قصيرة وطويلة ، من أدباء وفنانين وقادة ومفكرين وطلاب وطالبات وأطفال ، بطول العمق الزمني (أريستوقان ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد حتى البنت أسماء البالغة من العمر سنتين اثنتين) ، ويعرض المكان : من ألمانيا إلى اليونان إلى نيويورك إلى ميدان التحرير وشارع الجامعة بالاسكندرية إلى فرنسا إلى دول الاتحاد السوفيتي إلى فيتنام إلى كوبا جيفارا إلى العراق إلى لندن .. لقد أردت التعبير عن العولة الثورية النابتة من أسفلت الشوارع ، بهذه الطريقة : ملف كوئي يفضح الفكر الاستعماري ، ويكفي المقارنة بين تلك الرسائل : رسالة نابليون إلى أهل مصر ، ورسالة غزاة الاتحاد السوفيتي ، ورسالة الغزاة الأمريكان للعراقيين ، والفصوى واحد : لقد غزوناكم لنحرركم من الظلم !!

حكمة الأطفال

(إليكم هذا المقطع الأخير مما كتبه مایسة جميل بجريدة الحياة ، لندن في ٨ إبريل تحت عنوان :
تبدو المدينة جميلة فلماذا يقصفونها كل ليلة ؟)

* * *

ابن جارتی ، وهو فی السابعة من عمره ، يهرع عادة من المدرسة ليرابط أمام قناة « سى بیبین »
المخصصة للأطفال ، لكنه حالياً يسكن أمام شاشة « بى . بى . سى نیوز » وهى مخصصة للأخبار .
ويتزامن ذلك ، وانتقال الكاميرات إلى بغداد التى يكون قد حل عليها الظلام ، تنتظر انطلاق صفارات
الإنذار ليبدأ القصف وسأل الطفل والدته « يبدو أنها مدينة جميلة فلماذا يقصفونها كل ليلة ؟ . وتبدأ
جارتی فی البحث عن تفسيرات تناسب سنه ، فتقول : « لأن هناك رجالاً شريراً يجب أن يحدوهم
ويتخلصوا منه .. ويسألها مجدداً : « وهل سيقصفون كل المناطق التى يعيش فيها رجال أشرار؟ ».

* * *

والىكم هذا المقطع من النيوزيك ١٥ إبريل

... أحمد ياسين ، مترجمى القاسم من وكالة الأنباء العراقية التابعة للدولة ، يقوم بعمله بدافع من
ضميره ، ولكن حتى قبل أن تبدأ الحرب كان قد أنذرني بأن أبنائه سيحتاجون إليه فى البيت أثناء
القصف ، فابنته (إسماء) ، سنتان من العمر ، وابنه (عبد الله) ، ثلاث سنوات ، كان الرعد والبرق
يرعبانها وحين زرتهم فى البيت هذا الأسبوع ، وجدت أن الطفلين حوالى تلك الأصوات إلى نوع من
الترفيه ، فعند سماع القنابل تتساقط ، تبدأ (إسماء) بالرقص طالبة من الكبار الانضمام إليها بعزف
الموسيقى عن طريق نقر الأثاث الخشبي بالأصابع . حين يصبح القصف مكثفاً حقاً نجدهما قد نامت ،
كما قالت (إيمان) زوجة (أحمد) ، وبينما كانت تتكلم سقطت البنت نائمة على الأرض ، أما (عبد
الله) ، فيرفض تناول أى شئ آخر غير الشوكولاته طوال اليوم ، ويؤكد أنه يجوع وقت النوم . وتقول الأم
: إنهما ينامان عميقاً حالما يستقرقان فى النوم ، لم يعودا يخافان كما كان الأمر ذات مرة) .

الضمير يتنمر

هذا ماحدث فى فبراير ١٩١٧

تلقت إحدى كتائب فوج الحرس سيمينوفسكى أمراً باخلاء شارع نيفيسكى . ولما انطلقت لتنفيذ
مهمتها احتكت مع كتيبة من فوج فولهينسكى الذى وقف إلى جانب قضية الشعب . وتجاهبه الفوجان ،
وارتعدت الجماهير ووقفت مذهولة تتسأل : ماذا سيحدث ؟ وفجأة شهد الجميع المشهد التالى : خرج
الضابط العجوز الذى يقود كتيبة الحرس بحصانه من بين الصفوف ، وانتصب واقفاً على ركابى جواده
، واتجه نحو رجاله قائلاً : « أيها الجنود ، إننى لأستطيع إصدار الأمر بإطلاق النار على إخوانكم ،
ولكن سنى لا تسمح لى بأن أتخذى من القسم الذى قطعته على نفسى » وأخرج مسدسه من غمده ،
وأطلق النار على نفسه ، فسقط قتيلاً . فما كان من الجنود إلا أن لفوا جثمانه بعلم ، ووقفوا إلى جانب

الجامير . وهكذا شهد هذا اليوم عدداً من حالات رفض الأوامر التي ارتكبتها الضباط رغم ندرة وقوع مثل هذه الحوادث عادة بين صفوف الضباط وكانت حالات عصيان الأوامر مختلفة بشكلها ومضمونها نظراً لاختلاف أماكن وقوعها وتباين الظروف المحيطة بها.

من كتاب (٢٠٠ يوم من الثورة الروسية) - تأليف : جورج سوريا - ترجمة : أكرم ديري ، المقدم
الهيثم الأيوبي - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٢ - ص : ٣٣ ، ٣٤

* * *

وهذا ما حدث في إبريل ٢٠٠٢

كشفت مصادر فرنسية أمس عن رفض طيار استرالي يشارك في الحرب ضد العراق ضرب الأهداف التي حددتها القيادة العسكرية الأمريكية أوضحت مجلة « لوفيل أيسرفاتير » الفرنسية أن الطيار الاسترالي الذي كان يقود مقاتلة من طراز « إف - ١٨ » رفض ضرب أهداف مدنية بالقنابل العنقودية لتعارض ذلك مع اتفاقيات جنيف الموقعة عام ١٩٧٧ ، والتي وقعت عليها استراليا .

* * *

وحدث في ٨ إبريل ٢٠٠٣ م

ومنع متظاهرون استراليون مناهضون للحرب أمس سفينة حربية استرالية من مغادرة مرفأ سيدني في طريقها إلى العراق ، فريطوا أنفسهم إليها وألقوا جسماً تحت الماء أمام السفينة وفاجأوا شرطة المسطحات المائية بينما كانت الفرقاطة سيدني المزودة بصواريخ موجهة تتحرك لمغادرة الميناء ورفع المحتجون لافتة كتب عليها « لا للحرب » وقالت جماعة « جرينبيس » في بيان أنها منعت الفرقاطة من مغادرة الميناء باستخدام مجموعة من اليخوت والزوارق والسباحين والفواصين .

جريدة الحياة - ٩ إبريل ٢٠٠٣

يقتلون من أجل المال

هذه تعريفات سريعة أعدتها مجلة (نيوزويك) المؤرخة بـ ٨ إبريل عن القتل والأسرى والمفقودين من الجنود الأمريكيين .. وسوف أضع خطأ تحت جمل بعينها لما تحمله من دلالة تؤكد على أن المؤسسة العسكرية الأمريكية تقوم على فكرة الارتزاق ، لا فكرة الدفاع عن وطن أو عقيدة .. ورغم أنه لم يوجه إلى أسر هؤلاء الجنود السؤال التالي : ما الذي دفع بابتك إلى الالتحاق بالجيش ؟ إلا أن نحو ١٦ ٪ ممن ورد ذكرهم (٥٣ جندياً) قال القريبون منهم - طوعاً - إنهم التحقوا بتلك المؤسسة من أجل المال (في الغالب لانحار مايكفي منه للالتحاق بالجامعة) « ولأن المؤسسة السياسية عملت عن قصد على إفقار طبقاتها الشعبية ، حتى لا يكون أمامهم سوى طريق واحد للكسب هو : القتل ثم القتل ثم القتل .. وأعتقد أنه لو كان وجه هذا السؤال ، لأجاب عدد آخر بأجابات مماثلة ، وبالتالي ترتفع النسبة المثوية لعدد الداخلين إلى ما بين فكي الموت طمعاً في الحصول على أثنياء الذهبية .

وأحضر قراءنا أصدقاء (أدب ونقد) على الاقتراب بأعينهم نحو ذلك الجندي الأمريكي الذي ألقى بثلاث قتال في خيمة قيادته العسكرية ، ثم تمر أيام أخرى ، وتحمل إلينا الجرائد خبر جندي آخر قتل نفسه ببندقيته ، ثم تمر أيام أخرى ، في عز القتال الضاري تنحى القيادة العسكرية العليا أحد قادتها المبدائيين انتابته لحظة إنسانية عابرة ، وكل يوم نسمع عن أمريكيين وبريطانيين قتلوا بنيران زملائهم ، أو عن مروحيات تصادمت ببعضها ، كذلك المدرعات ، وبما يعطى انطباعاً قوياً بحالة ارتباك ناتج عن زعر تحلل أبدانهم فأصاب حواسهم وأذهانهم بالخلل.

أصدقائي ، أدعوكم للتجول قليلاً داخل تلك المقطعات المطولة من تجربة الشعب السوفيتي ضد غزو متعدد الأطراف (ضمن الملف)

وكيف أن التفاني والصمود والصبر انعكس على القوات الغازية ، وتخلل اليزات العسكرية إلى قلوب عدد غير قليل منهم ، فتصاعد الإنسان الذي هو متكوم فيها لهلاً من سيطرة الغباء على الذهن ، وحين لمح تشققات أصابت بنية هذا الغباء ، انطلق محاولاً المرور من بينها ، وإيقاف أياديها عن مواصلة قتال أصحاب الأرض .. وفيما بعد رصد المخرج السينمائي (إيزنشتاين) ما حدث من تمرد جماعي على المدرعة (بومكين) عام ١٩٠٥ (أيضاً: ضمن الملف) في فيلم مازال يعتبر حتى الآن واحداً من أهم الأفلام العالمية ..

* * *

* المجند : باتريك ميلر - ٢٣ عاماً (أسير)

من سكان مدينة باريك يتي بولاية كانساس .. بعد عمله في مجال لحام الأكسجين انضم إلى القوات المسلحة الصيف الماضي ، كوسيلة لمساعدته على سداد قروض الدراسة.

* * *

* الاختصاصية : شوشانا جونسون : ٣٠ عاماً : أسيرة

اسمها يعني الزهرة باللغة العبرية ، وهو من وحى عمته التي تعمل ممرضة في حي بروكلين بنيويورك . ومع أنها نشأت في أسرة عسكرية إلا أنها لم تكن تتوقع قط أن تجد نفسها على خطوط المواجهة ، وتقول شقيقها الصغرى: أنها تتمتع بروح المرح ، وهي جريئة ، ويمكن الوثوق بها . كان حلم شوشانا أن تكون طاهية ، لكن معاهد الطهي تكلف الكثير من المال ، وبالتالي فإن وظيفة طاه في الجيش كانت مناسبة ، وكانت على ما يبدر وظيفة آمنة بشكل كاف.

* * *

وتلك فقرة فوق البيعة منحنا إيها عدد ١٥ إبريل من (نيوزويك) غير مقال (جيرى أدلر) المعنون بـ (تحرير جيسيك) : وكانت قد وقعت مصابة وأسرته القوات العراقية ، وأدخلتها مستشفى للعلاج ، وهي تبلغ من العمر (١٩ عاماً) ، واليك تلك الفقرة : (.. وكانت قد انضمت إلى الجيش لأنها أرادت ، من جهة ، كسب المال لدخول الجامعة وكانت تعززم التعليم في صفوف الحضانة حين تعود إلى ديارها ومن جهة أخرى ، أرادت رؤية العالم)

* * *

أفبهكذا يتخلق مجتمع السوير مان ، محتكراً كل القوى المادية والروحية ؟ .. دل وقعت خطبة

(العناكب) لنيتشه ، من القضاء الألماني ، على عتبة البيت الأبيض ، فالتقطها أصحاب البيت وأورثوها - بالتتابع - لكل من ورث منهم ذاك البيت ٩ .. من فضلك ، برجاء الإطلاع عليها ضمن مكتبته د . يسرى إبراهيم عن نيتشه الزرادشتي .
نكرتهم النيوزويك الثامن من إبريل :

* * *

* السيرجنت : دونالد آر والترز - ٢٣ عاما (مفقود)
من سكان مدينة كانساس سيتي بولاية ميزوري .. عملت حرب الخليج (٩١) على تغييره بشكل كبير ، وحين عاد إلى دياره ، يقول والده : نورمان ، كان يجلس ويرتشف بسبب الأحوال التي رآها
أخيرا قرر والترز أن يترك الجيش قبل عامين ، وبعد تنقله بين وظائف عدة ، وطلاقه ، وزواجه مرة
أخرى ، عاد هذا الرجل ، وهو أب لثلاثة أطفال ، لينخرط في صفوف القوات المسلحة ، الصيف الماضي .

* * *

* الجندي : روين إيستريلا - سوتو ١٨ عاما (مفقود)
من سكان مدينة إلياسو بولاية تكساس . كان والده يعارض انضمامه في القوات المسلحة ، لكنه
كان يرغب في دراسة الهندسة ، وكان الجيش من وجهة نظره الطريقة المثلى لتغطية نفقات دراسته .

* * *

* السيرجنت : مايكل إي بتز : ٣١ عاما (قتل)
من فينتورا بكاليفورنيا : شجعته والدته : دونا بلمان على الانضمام للبحرية بعد عدد من السنوات
الضائعة .

* * *

* نائب العريف : خوسيه جويتيرز - ٢٢ عاما (قتل)
من لوميتا بكاليفورنيا كان يتما بشوارع جواتيمالا سيتي . سمع عن أمريكا من قس في أحد
ملاجئ الأطفال ، وفي سن ال (١٤) ، وعن طريق المشي والتنقل عبر قطارات النقل ، جاء إلى كاليفورنيا ،
حيث تمت تربيته في ملجأ للأطفال . انضم لمشاة البحرية لينخرم مالا للجامعة .

* * *

* الاختصاصي : جمال أديسون : ٢٢ عاما (قتل)
من روزيل ، جورجيا .. مثل غيره من الجنود الأمريكيين الشباب ، فإن أديسون ، الذي لديه ابن في
الثانية من عمره ، كان معنيا أكثر بالإنجاح بالجامعة يوما ، من المشاركة في الحرب .

* * *

* الاختصاصي : براننون أس تويلر : ١٩ عاما (قتل)
من بورتلاند ، أوريجون .. كان تويلر يحلم بوظيفة في أجهزة تطبيق القانون ، والحق بالاحتياط
لأخيار مايكني من الأموال للإنجاح بالجامعة .. تقول أسرته إنه كان شغوفا بركوب دراجته الهوائية ،
وتسلك جبل تابور بورتلاند ، وشرب البيرة ، وكانت لديه قدرة متقنة جذلة على تقليد اللكنات الفرنسية
والإنجليزية والاسكتلندية . مات في عاصفة رملية .

الضرب في العراق

كلمات : إسلام خليل

غناء : شعبان عبد الرحيم

عابزين تقسموها ولا إيه بالضبط
ولأنتو بصراحة حطين ميتكو عالفط
معدش حد غيرهم يتحكم في البشر
والظلم والفساد على أيدهم انتشر
خايف صحبح عليهم بصراحة احتار دليلى
ولأنت جاي تحقق الحلم الإسرائيلي
هتقضى عالإرهاب وتخرج المحتل
الضرب في العراق مكنتش ممره حل
شعب العراق غلابة مسكين هيعمل إيه
من أول الحكاية هو اللي مجنى عليه
لن سمعوا في يوم كلامنا مكنتش حد خش
ولوجه الغريب لأحبهم وفي أول لعبة قش
بعتنا ميت رسالة وبقينا زى النحل
ياريته سمع كلامنا مكنتش تبقى وحل
الريس كان حسسها بعت له ميت مكتوب
مسمعش أى حاجة رحت في وده طوب
نفسى أشوف العرب زى الهلال والقمر
ونفسى في مرة واحدة يتجح لنا مؤتمر
كفاية بقى تلاكيك خلاص الخلق ضاق
ماتشوقوا إسرائيل وتسيبوكوا م العراق
بس خلاص

كفاية بقى تلاكيك .. خلاص الخلق ضاق
ماتشوقوا إسرائيل وتسيبوكوا م العراق
كفاية .. كفاية
هتزع السلاح . ومالو شئ جميل
هتقتش العراق .. روح فتش إسرائيل
شوف إسرائيل وجيشها .. وشارون بيعمل إيه
عمال يضرب ويقتل، طب إيه ساكتين عليه
سلاح نمار وشامل موجود هناك كتير
والضرب عيني عينك مبيقتش موش كبير
شارون خلاصا بركة والدم زى المطر
ويقولك العراق هي أكبر خطر
من يوم البرج ولحنا عايشين في نواحه
لو ألف ماتوا فيه كام ألف بسببه مات
أدى العراق كان من بعد الأفغان
ومعدش بكرة عارف الدور على مين كان
ضربوها وخربوها ويقالهم كام سنة
واسا ياما تشوقوا من كثر الهيمنة
سيبوا العراق يا عالم خلاص معدش فيها
الضرب جاب آخرها وخلص على اللي فيها
تقتيش وفتشوها ملكوش سلاح نمار
ويرضوا بيضربوها بالليل والنهار

المتاف و

قالوا العراق حيسلم .. وم المقاومة احنا بتتلم
 ندر عليه يأم القصر .. لاجى وأزورك يوم النصر
 يالعار وبالعار .. مصر ثمنها ٤ مليار
 قصة حرق العربية .. تمثيلية أمن غيبة
 لا إله إلا الله .. ويوش عدو الله
 يابوش صبرك صبرك .. فى بغداد راح تحفر قبرك
 يا حكامنا اشدت الضرب .. عاوزين دولة تعلن حرب
 يا الله يامعين .. انصر جيش المسلمين
 درسك يا وطنى المحتل .. غير المنفع مافيه حل
 حرب الشعب فى كل مكان .. ضد صهاينة وأمريكان
 احمى بلادك ، احمى أرضك .. يوش ويلير هيهتكوا عرضك
 احنا الحرب خطبها ونارها .. احنا الجيش اللي يحررها
 بالمعونة يركعوننا .. بالمعونة يبيبحوننا
 يا عراق يا حبيب .. صوتك أبدأ مش هيفيب
 لا إله إلا الله .. الشهيد حبيب الله
 يا وزارة الداخلية .. المظاهرة دى سلمية
 يا ابو دبورة ونسر وكاب .. غاوى ليه حبس الشباب (الطلاب)
 يا أمريكا هنتحداكى .. ويا عراق إحنا فداكى
 يا أمريكا كفاية حشود .. الإسلام حيسود حيسود
 يابوش لم حشودك .. بكره شباب الدعوة ينوسك

(من صحف : صوت الأمة والأهالى
 والتجمع والعربى والحياة اللندنية)

تونى بلير ياتونى بلير .. بطل تلعب دور نوبلير
ياللا ياويلد . ياللا ياويلد .. نضرب جيش رامسفيلد .
حوش حوش ياسيد بوش .. شباب أمريكا فى النعوش
ياجيش أمريكا ماذا دهاك .. مش عارف وشك من قفاك

(من وجدان معد هذا الملف)

الفككة جنباً إلى جنب

رسالة على المويالات المصرية :
(ننصح بزيارة موقع شبكة CNN لرؤية صدام حسين وهو يستسلم لبوش بشرط الإقامة بالبيت الأبيض)

* * *
بعث بوش برسالة إلى صدام هي أغنية الفنانة اللبنانية نانسى عجرم : (أخاصمك آه . أسبيك لا)

* * *
أجرى الرئيس العراقي فحصة السنوى ، وجلس ينتظر النتائج تحت القصف ، وأخيراً اتصل به الطبيب وقال له : عندى لك خبر سىء ، وخبر أسوأ منه ، وسأله صدام : (ماهو الخبر السئى ؟) قال الطبيب : (أنك ستموت خلال ٢٤ ساعة) .. وصدم صدام بما سمع وقال للطبيب كيف يمكن أن يوجد خبر أسوأ من هذا ؟ .. ورد الطبيب أنا أحاول أن أتصل بك منذ أمس .

* * *
وجد سائق نفسه وسط زحام السير ، وبق رجل على زجاج سيارته وهو يحمل ما بدا أنه أوراق ومنشورات .. قال الرجل للسائق إن الرئيس بوش خطف .. والفدية ٥٠ مليون دولار ، وقد هدد الخاطفون بصب البنزين عليه وإحراقه إذا لم تدفع .. وسأل السائق عن معدل التبرع الجارى ، ورد الرجل : خمسة لترات بنزين إلى عشرة .
من صحيفتى : العربى والحياة اللندنية

* * *
بسبب الموقف الرائع للرئيس السوري بشار الأسد قدم مندوب الولايات المتحدة بالأمم المتحدة طلباً عاجلاً لدعوة مجلس الأمن وأخذ قرار بعدم الموافقة على تعيين أو انتخاب أى طبيب عيون لرئاسة أى دولة من الدول الأعضاء .

* * *
حافظ الأسد - الله يرحمه - لما التقى إن الذراع العربية أخذتها الأشعار الثورية وطارت ، أنخل

اجتماع صدام



ابنه (بشار) كلية الطب ، وأوصاه بأن يتخصص في طب العين.

* * *

واحد يقول لواحد صاحبه : الأمريكان يا صاحبي موتوا صدام حسين ثلاث مرات لغاية دلوقت) .. فقال له صاحبه : (واسه له أربع ميتات أخرى) .. فسأله الأول : (ليه ؟) .. فقال له صاحبه : (الأمريكان افكروه حيعمل قطه).

* * *

واحد يقول لصاحبه : (أنت مش شاييف العلاقة السرية الحميمة بين اسم بوش ، واسم صدام) .. فقال له صاحبه : (من فضلك فهمنى ؟) .. فقال له الأولانى : (بوش بالإنجليزية يعنى : اندفع .. وصدام يعنى زى ما انت عارف) .. فلجابه صاحبه قائلا : (آه فهمت . يعنى الإبتئين بيلعبوا على أساميهم) .. فرد الأولانى : (وعلشان كده . وزيادة فى الاحتياط ، الأمريكان والصهاينة بيلموا كل الأطفال الرضع اللى اسمهم : أسد وفهد ونمر وفارس وضبع وجهاد وعبد الجبار وعبد القوى وغيرهم) .. فعلق صاحبه متعجبا : (الله . الله . همه بيعيدوا فيلم فرعون بقا) .. فقال له الأولانى : (آمال إيه . هو أنت فكرك شالوا عمرو موسى ليه ؟) .. فرد صاحبه (علشان اسم والده) .. فقال له الأولانى : (وكمان علشان اسمه هو) .. فعلق صاحبه : (وجابوا الرجل الذى يحمى ربه على كل شئ ، واللى هو ماهر فى الفلتان من المأزق الإستراتيجية) .. امتنع وجه الأولانى وقبل أن يأخذ ديله فى أسنانه ويجرى قال لصاحبه : (ياعم . انت كده سخطت فى السياسة . مع السلامة).

من وجدان معد هذا الملف

إعلان الضمير هذا لا يتم باسمنا

ترجمة : د. خالد سمار

بتاريخ ٢٥/٣/٢٠٠٣ أصدر هذا الإعلان ووقع عليه أكثر من ٥٥ ألفاً من الأمريكيين من المفكرين وأساتذة الجامعات وأعضاء الكونجرس في الولايات والعلماء ورجال الدين والأطباء والمحامين ورجال المال والاقتصاد ، ومنظمات حقوق الإنسان والهيئات النسائية والأدبية، ومختلف الأعراق والديانات . وفي هذا الإعلان . يؤكدون بوحى من ضمائرهم ضرورة التصدى بالاحتجاج والفعل للحرب غير الشرعية وغير الأخلاقية وغير المبررة التي تقوم بها الحكومة الأمريكية لغزو العراق ، وعلى تداعياتها في داخل المجتمع الأمريكى وفي العالم أجمع وإليك نص هذا الإعلان الذى كانت تسميته ماتصدر هذا المقال :

حتى لا يقال إن شعب الولايات المتحدة لم يحرك ساكناً عندما أعلنت حكومته حرباً بلا حدود ، وأسست إجراءات فاحشة جديدة للقهر.

فإن الموقعين على هذا الإعلان يناشدون شعب الولايات المتحدة العمل على التصدى للنهج والتوجهات قيماً تفسير فيه سياستها العامة منذ أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ والتي تمثل مخاطر جسيمة لشعوب العالم.

إننا نعتقد أن لكل الشعوب والأمم الحق في تقرير مصيرها ، متحرراً من الضغوط العسكرية للدول الكبرى . ونعتقد أن كل الأشخاص الذين تعطلهم أو تضطهدهم حكومة الولايات المتحدة ينبغي أن يتاح لهم التعامل من خلال الإجراءات القانونية المتبعة لمقاضاتهم ، كذلك نعتقد بأن التساؤل والنقد

والاختلاف في الرأي قيم جديرة بالتقدير والحماية . ونذكر أن مثل هذه القيم والحقوق تظل دائما موضعاً للنضال يستحق أن يدافع عنها .

ونعتقد أننا كشعب يحركه الضمير ، علينا أن نتحمل المسؤولية إزاء ما نقوم به حكوماته ، ومن ثم فعلياً أولاً وقبل كل شيء أن نعارض انتهاك صور العدالة التي تتم باسمنا ، لذلك ندعو جميع الأمريكيين إلى مقاومة القهر والحرب التي تشييعها نون مسئولية إدارة بوش في هذا العالم إن هذه الحرب غير عادلة وغير أخلاقية وغير شرعية . وقد اخترنا أن ننضم إلى الصالح المشترك مع شعوب العالم .

لقد شهدنا كذلك الأحداث المفجعة التي هزت كياننا في ١١ سبتمبر ٢٠٠١ ، وتملكنا الحزن لما أصاب آلاف الضحايا الأبرياء ، واضطربت عقولنا من مشاهد تلك المذبحة البشرية ، وحتى في ذلك الحين تذكرنا المشاهد المائلة في بغداد ، وبنماستي ، ومعها مشاهد عقد مضي في فيتنام ، وبذلك شاركتنا ملايين الأمريكيين في تساؤلهم المكروب عن السبب الذي يؤدي إلى مثل هذه الوقائع .

وما أن أخذ شعورنا يتصاعد بالحزن لأحداث سبتمبر ، إلا وتفاجئنا القيادات العليا لوطنا باطلاق إعلانها مفعماً بروح الانتقام ، وصاغت لتلك الروح شعاراً مفاده (مع الخير وضد الشر) ، وانتقلت وسائل الإعلام بالأسلوب الملائم والمهدد . وقد بعثت لنا تلك الوسائل برسالة فحواها أن مجرد التساؤل عن مبررات ما نقوم به القيادات إما يقع في دائرة الخيانة ، وأنه ليس هناك مجال للرأي والرأي الآخر في هذا الشأن لأن القضية في جوهرها لا تحتمل أي تساؤلات سياسية أو أخلاقية . وإذا كان لها من إجابة فهي أنه سوف تكون حرباً في الخارج وكيماً في الداخل .

وباسمنا فرضت الحكومة جملة من مظاهر العنف في المجتمع ، ومنها تحذير المتحدث باسم الرئيس بأن (على الناس أن يراقبوا ماذا يقولون) كذلك يجري تشويه آراء المخالفين من الفنانين والمثقفين وأساتذة الجامعات ، ويتم الهجوم عليها وعدم نشرها . ثم إن ما يسمى بقانون المواطنة (باتريوت أكت) وغيره من العديد من الإجراءات المائلة على مستوى الولاية ، تمنح الشرطة صلاحيات جديدة هائلة للتفتيش والقبض ، تشرف عليها إذا كان ثمة إشراف ، وتتعامل معها محاكم سرية وإجراءات سرية .

وباسمنا اغتصبت السلطة التنفيذية أنوار وظائف الفروع الأخرى للحكومة . ومن خلال الأوامر التنفيذية تعقد المحاكم العسكرية التي لاتعياً كثيراً بالتحقيق في الشواهد والقرائن ، وأحكامها غير قابلة للاستئناف في المحاكم العادية . وهكذا تدان جماعات بأنها « إرهابية » بمجرد جرة قلم من الرئاسة .

علينا أن نأخذ بجديّة ما يتحدث به كبار رجال الدولة عندما يشيرون في الخارج إلى حزب قد تمتد عقداً من الزمان ، وفي الداخل عندما يطنون من قيام نظام جديد . إننا نواجه بصراحة نظاماً إمبريالياً جديداً في التعامل مع العالم ، كما نواجه سياسة داخلية تصنع وترّيف عوامل إثارة الخوف وتقلص الحقوق .

إن أحداث الأشهر القليلة الماضية في مسارها المميت تفرض علينا أن نفهمها على حقيقتها كما هي ، وأن نتصدى لمقامتها . وتدلنا دروس التاريخ على أن أولئك الذين ينتظرون وقوع الأحداث يشعرون بعدها أنهم تأخروا كثيراً في مواجهتها .



لقد أعلن الرئيس بوش بأنكم « إما أن تكونوا معنا أو تكونوا ضدنا » ومن ثم فإن جوابنا أننا لن ندعك أيها السيد الرئيس تتحدث باسم جميع أفراد الشعب الأمريكي. وإن نتنازل عن حقنا في التساؤل ، وإن تستسلم ضمايرنا في مقابل وعد أجوف بالسلامة ، ونقول (ليس باسمنا) لأننا نرفض أن نكون فريقا مع دماء الحروب ، كما نرفض أى تفكير يوحى بأن الحرب تدار باسمنا ، أو بحجة رعاية مصالحنا . إننا نمد أيدينا إلى أولئك الذين يعانون من هذه السياسات فى أرجاء العالم ، وسوف نعلن تضامنا معهم بالكلمة وبالفعل.

نحن الموقعين على هذا الإعلان ندمو الأمريكيين جميعا إلى الانضمام معنا لنقف فى وجه هذا التحدى . وإننا نحى وتدعم التساؤل والاحتجاج الذى يجرى فى العالم اليوم ، وذلك مع إدراكنا بالحاجة إلى أكثر من ذلك بكثير لإيقاف هذه المأساة . وإننا نستلهم فى هذا الصدد ، موقف أولئك الجنود الإسرائيليين الذين رفضوا الانضمام إلى آلة الحرب ضد الفلسطينيين فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، مع مايمكن أن يعرضهم لمخاطر شخصية ، وكان نداؤهم « لايد أن يكون لهذا حدود ».

نداء من المحاربين الأمريكيين القدماء

نحن رجال القوات المسلحة الأمريكية المتقاعدين والاحتياطيين من كل الرتب والعقائد والمبادئ وفروع الأسلحة ، نعلن أننا نقف في صف الأغلبية العظمى للإنسانية وفي مقدمتها الملايين من شعبنا الأمريكي ونعارض الحرب الشاملة التي تشنها الحكومة الأمريكية على شعب العراق.

وقد خاض معظمنا أكثر من حرب مدفوعين بما تطمناه ومالقنوه لنا في المدرسة أن الخدمة العسكرية واجب محتوم هدفه هو حماية الوطن والدفاع عنه. ولكن لم نلث أن انقضت عن أعيننا الغشاوة وأرطنا بطلان كل ماتعلمناه وأن ماخضناه كانت حرباً عدوانية باطلة ومثلها الواضح حرب العراق.

وقد وجدنا أن من أول واجباتنا أن ندعو رجال قواتنا المسلحة أن يتكفروا من حقيقة الأهداف التي يكلفون بها والتي قد يضحون بحياتهم في سبيلها وأن يتبينوا أثارها على وطنهم وشعبهم وطي الإنسانية عامة . ونحن نهيب بكل أعضاء القوات المسلحة الأمريكية . سواء كانوا في الخدمة أو في القوات الاحتياطية أو خرجوا من الخدمة - أن يكموا ضمايرهم وأن يصدقوا مع أنفسهم وأن يرفضوا كل ما هو باطل ولا يمتلكوا إلا لكل ما هو صحيح.

وقد حاربنا في حرب الخليج السابقة وكانت الأوامر التي صدرت إلينا وكلفنا بها أن نطلق النار ونقتل من مسافات آمنة ، وتطبيقاً لذلك دمرت معظم العراق وقتلنا من الجو مئات وآلاف من العراقيين الجنود أو المدنيين على السواء . وصدرت لنا الأوامر ألا نتردد في حصد أرواح اللاجئين والهاربين سواء كانوا جنوداً أو مدنيين وامتدت الأوامر إلى تدمير الخنادق وسد منافذها والقضاء على من فيها .. أي دفنهم أحياء.

وفي تلك الحرب استعملنا كل ما هو محرم من الأسلحة مثل اشعاع اليورانيوم ومبيدات العشرات وعقاقير تجريبية ومستودعات أسلحة كيميائية ومنها زيوت حارقة تضر الإنسان أو تعجزه للأبد. وابتدعنا ماسميته « كوكيتل اشعاع » أنزل بالعراقيين مأسى لا شفاء منها . ولكن المأساة التي لا تقبل وطأة أن امتدت آثار هذه الأسلحة إلى قواتنا وكان من نتائجها الاليمة أن واحداً من كل أربعة من مقاتلين خرج من الحرب مصاباً بالعجز التام.

ولم نتعظ أو نتعلم شيئاً من حربنا في فيتنام ، وهناك صدرت الأوامر بالتدمير التام لكل مانصافه من الجو أو على الأرض أو في مياه النهر وحدث في منبحة مائي لاي أن نجحنا خمسمائة امرأة وطفل وعجائز ولم يكن ذلك انحرافاً ولكن كان استراتيجية مقررّة.

وقد استعملنا هناك غاز « ايجانت أورانج » الفظيخ وجربنا فيه كل مشتقاته وكنا على علم تام بالآثار البشعة والوحشية التي سوف تصيبهم أو تعجزهم طوال حياتهم وخلفنا وراءنا بشراً بالآلاف لاهم من الأحياء ولا من الأموات.

وقد ظلت أشباح الأطفال والنساء والرجال الذين أصيبوا تتلذذ رجالنا الذين شاركوا في المأساة وانتهى الأمر بكثير منهم إلى الانتحار ليطغوا من العذاب المرير الذي لازمهم.

وأنتم أيها الجنود والضباط الذين تشاركون في الحرب على العراق ، لابد أن تدركوا ولا يخالفكم شك أنكم قوات احتلال وأن العراقيين يحملون لكم أشد الحقد والموت والكرهية وهم على حق في ذلك ، فقد ذهبت لغزو شعب واحتلال وطن وقهر بشر لا يختلفون عنا في شيء وكل ما يريونه هو أن يعيشوا في أمان وأن يكفوا أسرهم ويربوا أبناءهم وهم لا يهدمون الولايات المتحدة في شيء قط ولأنكم ما تأخذهم عليهم سوى أن حاكمهم ديكتاتور وعلينا أن نسال : من تكون الولايات المتحدة الأمريكية لكي تعلم شعباً وتلقنه كيف يدير شؤونه بلاده خاصة إذا ما كان هناك كثيرون في الولايات المتحدة الأمريكية أنفسهم لا يتقنون بصحة أو شرعية انتخاب رئيسهم ؟

ونحن نندد كل يوم بصدام حسين ثم نعلن عليه الحرب لأنه حاول إنتاج أسلحة الدمار الشامل ولكن نتغافل ولا نذكر أننا كنا أول من باع له وأمدّه بكل وسائل إنتاج الأسلحة الذرية والكيميائية والبيولوجية .

ونحن نتغافل عن أشد الجرائم بشاعة وفظاعة وهي العقوبات الاقتصادية للإنسانية التي نرفضها على العراق والتي أدت حتى الآن إلى وفاة أكثر من مليون عراقي معظمهم من النساء والأطفال نتيجة نقص الغذاء واللواء .. ونتيجة ما قامت به الولايات المتحدة الأمريكية من تدمير للبنية التحتية للعراق من مستشفيات ومحطات كهرباء ومحطات تنقية مياه بل وشملت العقوبات وقف استيراد قطع الغيار والأدوية والأجهزة الضرورية لإدارة المصانع ولتوفير أبسط ضرورات الحياة.

ولاشك أننا جميعاً اختلف على أنه ليس هناك أي شرف في ارتكاب جريمة قتل ، فهذه الحرب ضد العراق هي جريمة قتل وسفك دماء جماعية وليس لها أي وصف آخر.

وحيثما تلقى قنبلة من طائرة مغيرة لتقتل أما بريئة وطفلاً فإن هذا ليس إلا جريمة قتل عمد . وحيثما يموت الأطفال ضحايا للوحدات القتالية لأن قنبلة دمرت « المجاري » فهي ليست تدميراً لمنشآت العدو ولكن جريمة قتل عمد ، وحيثما يموت رجل مسن لأن خطوط التليفون دمرت ولم يستطع استدعاء الإسعاف لإنقاذه من أزمة قلبية فهي ليست تدميراً لخطوط اتصال العدو ولكن قتل عمد . وحيثما يهتق ألف فلاح بسيط في خندق ردم عليهم وسدت منافذه وهم يدافعون عن وطنهم الذي ولدوا ونشأوا فيه فإن هذا ليس انتصاراً ولكنه جناية قتل جماعي لاتقفر.

ونحن ننابذ قواتنا في العراق : إن هناك مسيرات حاشدة ومضامعة سوف لاتتقطع ضد هذه الحرب . وهي استمرار للمسيرات قبلها ضد حرب فيتنام . وقد ضرب آلاف المحاربين هناك المثل والقنوة في الشجاعة وتمروا ورفضوا تنفيذ الأوامر ، ومنهم من ألقى به في السجن بعدما رفض حمل السلاح ضد من أطلق عليهم اسم « العدو ».

ونحن نذكر أن كثيرين ضربوا نفس المثل خلال حرب الخليج السابقة وترك الحرب واحتملوا الجزاء . وقد انتهينا نحن الموقعين على هذا النداء إلى أن الحروب العدوانية التي خضناها لم تحقق شيئاً ولابد أن ينتهي عصرها .

ونحن نؤكد أنه إذا ما صممت شعوب العالم على أن تتال حقوقها وحريتها فلا بد أن يتقدم الصوف من يطنون أنهم مواطنون للإنسانية جمعاء وإن يكونوا جنوداً يقاتلون في سبيل مطامع وطن ما . ونهيب بكم إذا وصلتمكم الأوامر لكي تتركوا السفن إلى الميدان أن تذكروا أن موقفكم سوف يعني الحياة أو الموت للملايين من البشر في الشرق الأوسط وهنا في الولايات المتحدة.

إن اختياركم سوف يساهم في تحقيق السعادة وإذا ما صدرت إليكم أوامر القتال فلا بد أن تراجعوا أنفسكم وأن تستقنوا ضمانكم ولا شك أنها سوف تملئ عليكم المقاومة .. وحينئذ سوف تنضمون إلى قوى إنسانية عارمة تعلن ولاعاً للسلام وأن لا مستقبل للإنسانية بغيره .. وأن ترتفع أيدينا عن شعب العراق.

الحرب الخاسرة

عاموس عوز

ترجمة: عبد الوهاب الشيخ

إن أمريكا تكون قد ارتكبت خطأ كبيراً إذا ما مضت في الحرب ضد العراق. فالمتطرف الإسلامي لا يمكن أن يقضى عليه سوى إسلام معتدل، والقومية العربية المتطرفة تستطيع التيارات القومية المعتدلة فحسب أن تكبح جماحها. كما أن نظام الحكم البشع لصدام حسين لا ينبغي أن يتم إسقاطه من الخارج وإنما بفعل القوى العراقية نفسها - وأمريكا وأوروبا والنول العربية المعتدلة لابد أن تساندنا في ذلك.

إن حرباً أمريكية ضد العراق سوف تعد في أجزاء عريضة من العالم نوعاً من الإذلال والمهانة، حتى إذا ما انتهت بانتصار ما، أحجبت الرغبة في الانتقام. وقد تطلق موجة شديدة من التطرف تهدد الأنظمة الحاكمة في الشرق الأدنى وما حوله. كما تعرض الآن التوازن العالمي للخطر وتشق معسكر الدول الديمقراطية.

إن يفيد انهيار البناء الهش للأمم المتحدة واتحاد الدول الديمقراطية في النهاية سوى القوى المتطرفة، التي تهدد السلام العالمي، فلا أحد يمكنه أن يقرر، ما هي الآثار التي سوف تترتب على الحرب، ولا حتى يتنبأ بمدى القتل والنمار، ولا أن يقترح حجم الضرر الذي تمثله أسلحة الدمار الشامل أو القلق الذي له ما يبرره، من أنه قد يحل محل صدام في العراق وبغيرها خمسة أو عشرة من أمثال ابن لادن.

تعتبرى العالم اليوم موجة من العداء لأمريكا -معها تتصاعد موجة ضد إسرائيل- فكل من يرى في أمريكا تجسيداً للشيطان الأكبر يجنح إلى اعتبار إسرائيل هي الشيطان الصغير. وإن العديد من المفكرين الشرفاء نوى النظرة الصائبة والنزعة البراجماتية يقفون ضد الحرب، رغم تأييدهم لحرب العراق الأولى (١٩٩٠) ومع ذلك فإن اليسار الأوروبي سواء النوجماتى أو السيئتمتالى لا يتردد اليوم لحظة واحدة في أن يجمع شمله على اليمين الرجعى والعنصرى وينادى بظك الشعارات التي استبقيت من بعض ترسانة الشيوعيين والنازيين - من أول «جبروت وول ستريت» وحتى مؤامرة الصهيونية والرأسمالية العالمية». وكلما سمعت هذا الكلام كان رفضى للحرب عرضة لامتحان مسير كل حين.

إن حملة الدعاية التي تجرى حالياً للحرب لا تملأها الرغبات الاستعمارية أو الاتهامات على النقط فحسب، وإنما تحركها في المرتبة الأولى تلك النزعة التطهرية السانجة، التي ترغب في استئصال شاقة الشر بالقوة ومع ذلك فإن شر النظام العراقي وكذلك شر ابن لادن تمتد جنوده في الفقر الشديد، واليأس والإذلال وربما بشكل أعمق في ذلك الحقد الذي لا حدود له، والذي تصمو عليه أمريكا منذ سنوات، ليس فقط من جانب دول العالم الثالث، وإنما أيضاً في أجزاء عريضة من المجتمع الأوروبي.

لا ينبغي لمن هو محسوس من الجميع أن يحاول محو هذا الحقد والكراهية بالهراوة. فلقد أفاد مشروع مارشال بعد الحرب العالمية الثانية كلاً من أمريكا والسلام العالمي بدرجة أكبر من جمع كافة الأسلحة القيمة والحديثة. صحيح أن الهراوة لابد منها، ولكن للحماية من الأعداء والردع فحسب، وليس لتحقيق مكاسب على ألا يسمح بالتلويح بها سوى للأمم المتحدة فحسب، على الأقل لا محيد عن إجماع كبير الدول. وإلا فإن المرء يكون في هذه الحالة لا يدعم سوى ما يريد في الواقع التغلب عليه: الكراهية واليأس والسعى وراء الانتقام.

أميركا

شعر : الين جينسبيرج

ترجمة : أحمد حوسني

أميركا لقد أعطيتك كل شيء ، والآن أنا
لاشيء.
أميركا أنت وأنا الكاملان وليس العالم
القادم.
أليك شيء زائد عن الحد الذي أطيقه.
لقد جعلتني أريد أن أكون قديسا.
لايد أن هناك طريقة ما لتسوية هذا الجدل.
« بوروز » في طنجة لا أعتقد أنه سوف يعود ،
إنه شيء شرير.
هل أنت شريرة أم أن هذا أحد أشكال
المداعبات الخبيثة ؟
إنني أحاول أن أتطرق إلى لب الموضوع.
إنني أرفض التخلي عن حواذي.
أميركا كفى عن الدفع ، إنني أعرف ما أفعله
أميركا زهرات البرقوق تتساقط.
لم أقرأ الصحف لمدة أشهر ، كل يوم يحاكم
شخص ما في جريمة قتل.
أميركا إنني أشعر بسنماتالية ال Wob-
blies
أميركا تعودت أن أكون شيوعياً عندما كنت
أميركا لقد أعطيتك كل شيء ، والآن أنا
لاشيء.
أميركا دولاران وسبعة وعشرون سنتاً : ١٧
يناير ، ١٩٥٦
لا أستطيع أن أحصل على.
أميركا متى ستنهين حرب الإنسان ؟
فلتكنمى نفسك بقتيلك الذرية.
أنا لا أشعر أنني بخير . لاتزعجيني.
لن أكتب قصيدتي حتى أكون في حالتى
الذهنية السليمة.
أميركا متى ستكونين ملانكية؟
متى ستظلمين ملايسك ؟
متى ستظلمين إلى نفسك عبر القبر ؟
متى ستكونين جديرة بمليونك من
التروتسكيين؟
أميركا لماذا مكتبائك العامة زاخرة بالدموع؟
أميركا متى سترسلين بيضك إلى الهند ؟
إنني ضقت نزعاً بمطالك المجنونة .
متى أستطيع أن أذهب إلى السوبر ماركت

طفلاً لست أسقاً .

وملايين الأعضاء التناسلية .

إننى أدخن الماريوانا كلما سحت الفرصة .

أجلس فى بيتى لمدة أيام بدون انقطاع وأحرق

فى الروود داخل اللواب .

عندما أذهب إلى Chinatown أسكر ولا

أطرح على الأرض أبداً .

مصمم على أن مشكلة سوف تحدث .

كان ينبغي أن تشاهدنى وأنا أقرأ ماركس .

محللى النفسى يعتقد أنى سليم تماماً .

لن أقرأ صلاة الرب .

لدى رؤى صوفية وذبذبات كونية .

أميركا لا تزال لم أقل لك ما الذى فعلته

للعلم ماكس بعد أن عاد من روسيا .

إننى أخاطبك .

هل سوف تدعين حياتك العاطفية تديرها

مجلة تايم ؟

مجلة تايم تستحوذنى .

أقرأها كل أسبوع .

غلافها يحدق فى كلما مررت خلسة بناصية

محل الحلوى .

أقرأها فى بدروم مكتبة بيركلى العامة .

إنها تحدثنى دائماً عن المسئولية . رجال

الأعمال جانون .

منتجو الأفلام جانون .

الجميع جانون باستثنائى .

يبدولى أتى أميركا .

إننى أتحدث إلى نفسى مرة أخرى .

آسيا تؤثر ضدى .

لم تتح لى قرصة الرجل الصينى .

ويستحسن أن أنظر فى مواردى الوطنية .

مواردى الوطنية تتكون من غرزتى ماريوانا

أنب خاص لم ينشر ، يسير بسرعة ١٤٠٠

ميل فى الساعة .

وخمسة وعشرين ألف مصحة أمراض عقلية .

لأقول شيئاً عن سجونى ولا عن ملايين

المنكوبين الذين يعيشون

فى أنية زهرى تحت ضوء خمسمائة شمس .

لقد ألغيت مواخير فرنسا ، والنور سوف يأتى

على طنجة .

إن طموحى أن أكون رئيساً برغم أنى

كانوليكي .

أميركا كيف أستطيع أن أكتب ابتهاً لا قدسياً

فى مزاجك الأحرق ؟

سأستمر مثل هنرى فورد إن مقاطعى فريدي

مثل أوتوميلاته وهى

علوة على ذلك مختلفة الجنس جميعاً .

أميركا سوف أبفك المقاطع الشعرية نظير

٢٥٠٠ دولار للمقطع

الواحد ومقطعك القديم أقل بمقدار خمسمائة

دولار .

أميركا أطلقى سراح توم مونى

أميركا أنقذى الملكين الأسبان

أميركا لا ينبغي أن يموت ساكو وفانزيتى

أميركا أنا وأولاد . Scottsboro .

أميركا عندما كنت فى السابعة أخذتلى أمى

إلى اجتماعات خلية شيوعية

وباعوا لنا حفنة من الحمص لكل تنكرة ثمنها

« نيكل » * . وكانت

الخطب مجاناً ، كل شئ كان ملائكية

وستتمتالياً تجاه العمال .

كان كل شئ مخلصاً للتصورين كيف كان



بوش - ١١ - ٢٠

الحرب
 شينا جيداً في ١٩٢٥ . كان سكوت نيرينج
 رجلاً عجوزاً عظيماً
 منشقاً حقيقياً . الأم بلور جعلتني أبكى.
 شاهدت مرة إسرائيل
 أمتير غير متخف
 لا بد أن الجميع كانوا جواسيس.
 أميركا أنت لاتريدين حقيقة أن تنهبي إلى
 الحرب.
 أميركا إن الروس هم السيئون.
 إنهم الروس ، إنهم الروس ، إنهم الصينيون.
 وإنهم الروس.
 روسيا تريد أن تاكلنا أحياء. روسيا مجنونة
 بالقوة - إنها تريد أن تأخذ سياراتنا من
 جراجاتها.
 تريد أن تقتص شيكاغو . تريد مجلة
 Reades Digesyt . القيادة.

تريد مصانع سياراتنا في سيبيريا . وتريد أن
 تدير بيروقراطيتها الكبيرة محطات بنزيننا .
 هذا شيء غير حسن . أوج . هو سيجعل
 الهنود يتعلمون القراءة.
 هو يحتاج إلى زئوج سود ضفام . هاه .
 وهي تجعلنا نعمل
 جميعاً ست عشرة ساعة في اليوم . النجدة.
 أميركا إن الأمر جد خطير.
 أميركا هذا هو الانطباع الذي خرجت به من
 مشاهدة جهاز التلفزيون
 أميركا هل هذا شيء سليم ؟
 الأخرى بي أن أتطرق إلى المسألة مباشرة.
 حقا أنا لاأريد أن ألحق بالجيش أو أصنع
 مخارط في مصانع قطع الغيار الدقيقة ،
 إننى على أية حال قصير النظر وعصابى.
 أميركا إننى أسند كتفى الغريب إلى عجلة
 القيادة.



أكثر من فيتنام واحدة (مقتطفات)

أرنستو جيفارا

ترجمة : يوسف درويش

كان من شأن حرب كوريا أن عم الجزء الشمالي من تلك البلاد بعد معركة ضارية امتدت سنوات طوال خرابا لم تسجل الحرب المنيشة مثيلاً له . لقد نكت كل المواقع بالقنابل ، وتجربت البلاد من المصانع والمدارس والمستشفيات ، ويات نوى مافى عشرة ملايين من السكان.

تبطلت في الحرب الكورية تحت ظل علم الأمم المتحدة المخادع مشبرات البلاد تقودها الولايات المتحدة الأمريكية ، واشتركت فيها جمافل من الجنود الأمريكيين ، وجند الأماهى فى جنوب كوريا ليكونوا الوقود لمذابحهم.

لقد مضى مايقرب من سنتين حين صار الأمريكيون يلغون قنابلهم بانتظام على فيتنام فى محاولة جديدة لقمع نضالية الجنوب ، وإجباره على الاشتراك فى مفارضات يحتلون فيها مراكز القوة كان الضرب بالقنابل قليلا فى بادئ الأمر متظاهراً بأنه الرد الإنتقامى على الاستفزازات المزمومة النسوية إلى الشمال ، إلا أن تلك العمليات أخذت بعد ذلك تزداد ضراوة وانتظاما حتى تحولت على مر الأيام إلى حملة جبارة أخذت فى شنها القوات الجوية الأمريكية رامية من ورائها إلى القضاء على كافة أشكال المضارة فى المنطقة الشمالية من البلاد.

إن التضامن الذى يعبر عنه العالم التقدمى للفيتنام يثير فى ذهننا السفيرة المريرة التى كان يحس بها المتصارعون الرومان من تشجيع العامة بن الشعب لهم . ليس الأمر أن تتمنى فوز ضحية العدوان ، بل ينبغى عليها مشاركة المصير والسير معه حتى الموت أو النصر.

* * *

يشهدنا العالم على صورة منه شديدة التعقيد ، فالتزال مهام التحرر تترقب بلاداً فى أوروبا القديمة التى وإن كانت على قدر من النمو تجعلها تثن تحت وطأة سائر التناقضات الرأسمالية ، إلا أنها على حالة من الضعف والهوان بحيث لا تقدر على السير فى طريق الإمبريالية، أو خوض هذا الطريق . سوف تتخذ التناقضات فى هذه

علينا أن نذكر أن الإمبريالية تشكل في آخر الأمر نظاما عالميا يمثل آخر مرحلة للرأسمالية ويستدعي القضاء عليه أن تدخل في مواجهة عالمية ، يجب أن يكون هدف تلك الحركة الاستراتيجية القضاء على الإمبريالية . أما بالنسبة لنا نحن الشعوب المستغلة (يفتح الذئب) والمتخلفة ، فعلينا إزالة القواعد التي تتميش الإمبريالية منها : بلاندا القهورة التي يستمدون منها بانفس الأثمان الأموال والمواد الأولية والفنيين والعمال ، ويصدرون إليها أموالا أخرى - وسائل التسلط - والأسلحة والسلع على اختلاف أنواعها ، لتكون التابعين لهم في خضوع مطلق.

علينا أن نقوم بتنفيذ مهمة ذات طابع عام يتحدد هدفها التكتيكي في استدراج العدو من المحيط الذي يعيش فيه لإجباره على القتال في الأماكن والمواقع التي يتعارض أسلوب حياته مع أسلوب الحياة فيها . يجب ألا نقلل من قوة العدو ، فالجندى الأمريكى له من القدرات الفنية ، وتسانده الوسائل الضخمة التي تجعل أمره مخيفا . أما مايفتقده أساسا هذا الجندى فهي تلك الأرضية الفكرية التي يتميز بها مستوى أعدائه الحاليين الجنود الفيتناميين .. أن نستطيع التغلب على الجيش الأمريكى إلا بقدر ماندك روحه المعنوية نكا بما نازل من هزائم ، ومانسقيه من الآلام المتكررة.

لأشك أن البلد الذي سوف تختمت به قائمة التحرير سيحصل على حريته دون معركة مسلحة ، وبغير الآلام التي تسببها الحرب الطويلة القاسية التي تشنها الإمبريالية . إلا أنه قد يتعذر على هذا البلد تجنب تلك المعركة المسلحة أو تجنب نتائجها رذا أخذ النزاع طابعا عالميا حيث تتسلاوى الآلام إن لم تصبح أكثر شدة . ليس في مقدورنا أن نتنبأ بالمستقبل ، ولكن يجب ألا نستسلم لموقف من الإغراء الجبان الفذل في أن طليعة شعب يتطلع إلى الحرية ، ولكنه يتهرب من المعركة التي تقتضيها تلك الحرية ، ويبتظر التصبر كالمستول على قارة الطريق.

علينا أن نفرض الحرب في كل مكان يخوضها العدو : في مواقفه وفي أماكن اللهو التي يؤمها يجب أن تكون الحرب شاملة ، علينا ألا نتركه يستريح دقيقة واحدة في ثكناته وخارجها فلقنههاجم العدو حيث يوجد . يجب أن يشعر العدو بالملاحقة في كل مكان يطرده ، عندئذ يفقد هذا العدو روحه المعنوية شيئا فشيئا ويصبح أشد وهشية ، إلا أن بوادر الضور تبدأ تترسم على ملامحه.

حين تآذن ساعة القتال تشكل الخلافات المالية بالصورة التي عليها موطئا للضعف ، إلا أنه من اللعب أن نحاول من طريق الكلام تسوية تلك الخلافات بوضعها الراهن .. سوف يقضى التاريخ عليها شيئا فشيئا ، أو سوف يضيئ عليها المضمون الحقيقي.

يعانى جنود الإمبريالية من المتاعب في الفيتنام بشأن مستوى الحياة كما تصوره الدعاية الأمريكية مايلاقية هؤلاء الجنود الذين يقاتلون على أرض معادية ، ومايواجهونه من حظر السير على أرض العدو ، والموت الذي يترقب من يتخطون قلاعهم المحصنة ، ومن يتعرضون لعداء مستمر من الشعب بأسره . تنعكس تلك الأمور جميعها على الحياة الداخلية في الولايات المتحدة مما يجعل الكفاح الطبقي يبرز فوق أرض الإمبريالية ذاتها ، هذا العامل الذي تهدئ الإمبريالية من شأنه حين تكون في عتفوان قوتها .

لأشك أننا سوف نستطيع رؤية ماهو قريب منا ومضى إذا فتحت وأزبعت على ظهر البسيطة أكثر من فيتنام ، أثنان أو ثلاثة أو عديد منها ، مع ماتجر وراءها من الموت والمأسى المفجعة ، وماتحمل معها كل يوم من بطولات وماتلقنه من الضربات للإمبريالية فتضطررها إلى تشتيت قواتها تحت وطأة الحقد المتزايد الذي تضمه لها شعوب العالم في قلوبها .



النزعة التدميرية

أريك فروم

ترجمة : سجاد عبد المنعم سجاد

لقد ذكرنا من قبل أن النزعات المازوكية - السادية يجب تفرقتها وتمييزها عن التدميرية بالرغم من أن النوعين ممتزجان معا . التدميرية مختلفة حيث إن هدفها ليس هو التكافل الإيجابي أو السلبي بل هدفها استئصال موضوعها . لكنها كامنة أيضا في عدم القدرة على تحمل العجز والعزلة الفرديين . إنني أستطيع أن أهرب من الشعور بعجزى إزاء العالم الذي هو خارجي بتدميره . وتلكوا أنني إذا نجحت في إزالته فأنني أظل وحيدا ومعزولا ، ولكن عزلي عزلة محبة لاتسحقني فيها قوى الأشياء المهيمنة الموجودة خارجي . تدمير العالم هو آخر المحاولات وأشدّها بأسا لإنقاذ نفسي من كوني مسحوقا منه . السادية تهدف إلى تجسيد الموضوع ، التدميرية تهدف إلى إزالته . السادية تميل إلى تسميمه بغية أي تهديد من الخارج .

وأي ملاحظ للعلاقات الشخصية في ساحتنا الاجتماعية لا يخطئ في تأثره بقدر التدميرية الموجود في كل مكان ، وهي لاتترك شعوريا هكذا بقدر ماتتير بعدة طرق . وكحقيقة قائمة ، لا يوجد شيء لن يستخدم في التبرير العقلي للتدميرية . فيستخدم الحب والواجب والضمير والوطنية كاتقعة لتدمير الآخرين أو النفس . وعلى أي حال ، يجب أن نفرق بين نوعين مختلفين من النزعات التدميرية . هناك النزعات التدميرية الناشئة من موقف معين ، كرد فعل على هجمات موقعة على حياة الفرد وتكامله أو على حياة الآخرين وتكاملهم أو على الأفكار التي يعتنقها الإنسان هذا النوع من التدميرية هو الملازم الطبيعي والضروري لتأكيد الإنسان الحياة .

وعلى أى حال فإن التدميرية التى هى هنا موضع بحث ليست هذه العداوة العقلانية - كما يمكن أن يسميها الإنسان عداوة " رد الفعل " - بل السعى الحثيث الدائم داخل الشخص الذى لا ينتظر سوى فرصة للتفيس، فإذا لم يكن هناك " دافع " موضوعى للتعبير عن التدميرية ، فإننا نسمى الشخص مريضاً ذهنياً أو عاطفياً (بالرغم من أن الشخص نفسه يقيم عادة نوعاً من التبرير العقلى) . وفى معظم الحالات نجد أن الدوافع التدميرية يجرى تبريرها بطريقة تجعل عدداً من الناس على الأقل أو الجماعة الاجتماعية كلها تشترك فى التبرير العقلى ومن ثم تجعله يبدو (حقيقياً) لعضو فى مثل هذه الجماعة . ولكن موضوعات التدميرية اللاعقلانية والدوافع الخاصة لاختيارها ليس لها أهمية ثانوية ، فالدوافع التدميرية هى هوى فى داخل الشخص ، وهى تتجذّر دائماً فى أن تجد موضوعاً فإذا لم يستطع الأشخاص الآخرون أن يصبحوا موضوع تدميرية الفرد لأى سبب كان ، فإن نفسه تصبح بسهولة الموضوع . وعندما يحدث هذا بدرجة ملحوظة ، يكون المرض الجسمانى هو فى الغالب النتيجة أو قد تبدّل محاولاً للانتحار .

لقد افترضنا أن التدميرية هى هرب من الشعور غير المحتمل بالعجز حيث إن هدفها هو محو جميع الموضوعات التى يقارن بها الفرد نفسه . ولكن فى ضوء الدور الهائل الذى تلعبه النزعات التدميرية فى السلوك الإنسانى ، لا يبدو أن هذا التفسير تفسير كاف ، فالظروف ذاتها ظروف العزلة والعجز مسئولة عن مصدرين آخرين للتدميرية : القلق وانجراف الحياة بالنسبة لنور القلق لاجابة إلى كثير يقال عنه . إن أى تهديد ضد المصالح الحيوية (المادية والعاطفية) يخلق القلق (١٢) والميول التدميرية هى أشيع رد فعل على مثل هذا القلق . والتهديد يمكن أن يحيط فى موقف معين بأشخاص معينين ، وفى هذه الحالة ، تنشأ التدميرية ضد هؤلاء الأشخاص . والقلق يمكن أن يكون أيضاً قلقاً دائماً - وليس من الضروري أن يكون - شعورياً - تابعاً من شعور دائم مماثل للتعرض للتهديد من جانب العالم الخارجى . هذا النوع من القلق الدائم ينتج من وضع الفرد المعزول والعاجز وهو مصدر آخر لاختزان التدميرية التى تتطور فيه .

وهناك نتيجة أخرى مهمة للموقف الرئيسى نفسه هو ما أسميته بانجراف الحياة . إن الفرد المعزول والعاجز تغلق أمامه أبواب تحقيق إمكاناته الحسية والعاطفية والعقلية ، وهو ينقصه الأمان الداخلى والتلقائية وهما الشرطان لمثل هذا التحقق . هذا الانغلاق الباطنى يتزايد بالمحرمات الحضارية بشأن اللذة والسعادة ، مثل تلك المحرمات التى جرت من خلال الدين والأكثر منها الخاصة بالطبقة الوسطى منذ فترة حركة الإصلاح . واليوم اختفت المحرمات الخارجية ، غير أن الانغلاق الباطنى ظل قوياً بالرغم من الاستحسان الشعورى للذة الحسية .

هذه المشكلة الخاصة بالعلاقة بين الانجراف للحياة التدميرية قد مسها فرويد برفق ونحن بمنأى عنها نظريته ستمكن من التعبير عن بعض الاقتراحات الخاصة بنا .

لقد أدرك فرويد أنه أهمل ثقل وأهمية الدوافع التدميرية فى افتراضه الأسمى من أن الدافع الجنسى ودافع الحفاظ على الذات هما الدافعان الرئيسيان للسلوك الإنسانى . ولما آمن بعد ذلك بأن الميول

التدميرية لانقل أهمية عن الميول الجنسية ، شرع فى اقتراض أن هناك نوعين رئيسيين من النزعات فى الإنسان : نزعة موجهة نحو الحياة وهى متطابقة بشكل أو بآخر من الليبدو الجنسي وغيرة موت هدفها التدمير الخاص للحياة . ولقد افترض أن هذه الغريزة يمكن أن تمتزج بالطاقة الجنسية ومن يث يمكن توجيهها ضد النفس أو ضد الأشياء الكائنة خارج النفس . زيادة على ذلك ، افترض أن غريزة الموت كامنة فى الصفة البيولوجية الموروثة فى كل الأجهزة الحية ، ومن ثم فهى جزء ضرورى غير قابل للتغير من الحياة.

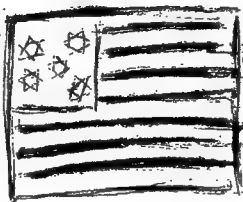
إن فرضية غريزة الموت كافية بقدر ماتدخل فى الاعتبار الثقل الكامل للنزعات التدميرية التى أهملت فى نظريات فرويد المبكرة . لكنها ليست كافية حيث إنها تستند إلى تفسير بيولوجى لايدخل فى الصببان بما فيه الكفاية إن قدر التدميرية يتباين تباينا هائلا بين الأفراد والجماعات الاجتماعية . فلو كانت فرضيات فرويد صحيحة ، لكنا توصلنا إلى أن قدر التدميرية إما ضد الآخرين أو ضد الفرد ثابت بشكل أو بآخر . ولكن ما نلاحظه بالفعل هو بالعكس : فليس ثقل التدميرية بين الأفراد فى حضارتنا وحده يختلف بقدر كبير ، بل كذلك نجد أن التدميرية ليس لها ثقل متساو بين الجماعات المختلفة وهكذا - على سبيل المثال - نجد أن ثقل التدميرية فى شخصية أعضاء الطبقة الوسطى الدنيا فى أوروبا أكبر بكثير بصفة قطعية عما هى عليه بين الطبقة العاملة والطبقة العليا . ولقد عرفت الدراسات الأثنروبولوجية بشعوب تتميز بقدر كبير بصفة من التدميرية على حين أنها تبين أن شعوبا أخرى تتميز بنقص مماثل للتدميرية سواء على شكل عداوة ضد الآخرين أو ضد النفس.

ويبدو أن أى محاولة لفهم جذور التدميرية يجب أن تبدأ بملاحظة هذه الفروق نفسها والشرع فى التساؤل عما يمكن ملاحظته من العوامل المختلفة الأخرى وما إذا كانت هذه العوامل تساهم فى الاختلاف بالنسبة لقدر التدميرية.

هذه المشكلة تقدم من العسويات مايتطلب تتولا تفصيليا خاصا بها لاستطيع أن نبذله هنا . وعلى أى حال ، أحب أن أقترح أين يبدو أن الجواب كامن . يبدو أن قدر التدميرية الموجود فى الأفراد متناسب مع القدر الذى يتخلص عنده توسع الحياة . لانشير بهذا إلى الإحاطات الفردية لهذه الرغبة الغريزية أو تلك بل نشير إلى إنجراف الحياة كلها وإنغلاق باب تلقائية النمو والتعبير عن قدرات الإنسان الحسية والانفعالية والعقلية . إن للحياة ديناميتها الباطنية الخاصة بها ، إنها تميل إلى النمو وإلى أن يجرى التعبير عنها وإلى أن تعاش . ويبدو أنه إذا كان هذا الميل إلى النمو وإلى أن يجرى التعبير عنها وإلى أن تعاش . ويبدو أنه إذا كان هذا الميل ينجر فأن الطاقة الموجهة نحو الحياة تقوم بعملية تفكك وتتحول إلى طاقة موجهة نحو التدمير بكلمات أخرى : الدافع للحياة والدافع للعداء ليسا عاملين مستقلين بل هما فى تبعية متداخلة معكوسة . فكلما ازداد الدافع نحو الحياة انجرافا ازداد الدافع نحو التدمير قوة ، كلما تحققت الحياة قلت قوة التدميرية . التدميرية هى نتاج الحياة غير المعاشة . إن تلك الظروف الفردية والاجتماعية التى تسهم فى كبح الحياة تنتج انفعالا للتدمير بشكل - إذا جاز لنا القول - خزانا تتفذى منه الميول العدوانية الخاصة - إما ضد الآخرين أو ضد النفس.



ولاحاجة إلى القول بأهمية إدراك الدور الدينامي للتعبيرية الذي تلعبه في العملية الاجتماعية فحسب ، بل إن الأمر مهم أيضا لفهم الظروف النوحية لتجعله يزداد حدة . لقد لاحظنا من قبل العداوة التي تحيط بالطبقة الوسطى في عصر الإصلاح والتي تجد تعبيراً عنها في مفاهيم دينية معينة للبروتستانتية خاصة في روحها النقشفية وفي الصورة التي رسمها (كالفن) لإله لايرحم يبهجه أن يحكم باللعنة الأبدية على جانب من البشرية لخطأ لم يرتكبه . ثم - كما حدث فيما بعد - أن عبرت الطبقة الوسطى عن عداوتها المقنعة أساساً بالكرامة الخلقية التي تجد تبريراً للحسد الشديد ضد أولئك الذين لديهم وسائل الاستمتاع بالحياة . وفي الساحة المعاصرة ، تعد التدميرية التي لدى الطبقة الوسطى الدنيا عاملاً مهماً في نشأة النازية التي استجابت لهذه النزعات التدميرية واستخدمتها في الحركة ضد أعدائها . إن جنود التدميرية المفترضة في الطبقة الوسطى الدنيا يمكن تبيينها بسهولة باعتبارها التدميرية المفترضة في هذه الدراسة : عزلة الفرد وكبح التوسع الفردي ، وهما شيئان تتصف بهما بدرجة كبيرة الطبقة الوسطى الدنيا أكثر مما تتصف بهما الطبقتان العليا والدنيا .



فساد المصير

مقتطفات من هيرمان هيسه عن الحرب والسلام

ترجمة : أسامة سنزاجي

تمهيد :

هيئة تحرير (أدب ونقد) اختارت هذه المقتطفات من الكتاب الرائع (إذا ما استمرت الحرب) وهي مجموعة من المقالات كتبها الروائي الألماني العظيم : هيرمان هيسه ، منذ عام ١٩١٤ . وهو العام الأول من أول حرب عالمية خاضتها أمته ضد العالم ، إلى عام ١٩٤٨ ، عام ذرع التكنة العسكرية (إسرائيل) وسط الشرق الأوسط ، وكنقطة إرتكان قوية شرق البحر المتوسط .

وهيسه يعلمنا - هنا - درساً بسيطاً جاداً .. هو أنك أيها المثقف . أيها الأديب . أيها الفنان . إن وجدت بيتك الذي ياولك يحترق فهل ستستمر في استكمال كتابة روايتك .. رسم لوحتك .. تستمر في مداعبة فتاة رقيقة . أو زهرة ندية ، أو غيمة تبشر بحياة خضراء على الأرض . أتستمر هكذا حتى انتهاء قصيدتك الجميلة حتى يقترب منك لسان من السنة الحريق ويلعقلك من قدميك إلى يديك المستكين بالقلم والورقة ؟

طبعاً هيسه لم يقل هذا ، لكن موقفه هو الذي قال ، فطرزه السليمة هي التي أخذت قلمه من قوت

لآخر من عالمه الأثير عالم الجمال البهوت في ثنايا رواياته الرائعة إلى حيث يؤدي فريضته الواجبة :
إطفاء الحقد المتأجج في النفوس ، بعد كشف أسبابه ، وإلام يؤدي : إلى الخراب والدمار طبعاً .. وهنا
لا ينفج المجاز ، ولا التورية ، ولا الإيحاء ، ولا الرمز ، ولا الحسنة الإبداعية والبلاغية ، إلا في أقل
القليل لزوم التخفيف من خشونة النص ، فالقليل من الجلوكون ، مع لون جميل على قشرة كبسولة
الدواء ، يسهل تمرير مفردات التركيبة غير المستساغة عبر الفم فالبلعوم فالمعدة .
ويقول هيسه نفسه : « عندما أقول عن مقالاتي إنها (سياسية) فاني دائماً أضعها بين أقواس ، إذ
ليس فيها من السياسة غير جوها العام الذي خلقت فيه »

xxx

ونشكر هيئة التحرير دار نينوى للدراسات والنشر بسوريا الحبيبة التي نشرت هذا الكتاب (إذا ما
استمرت الحرب) .. ترجمة : أسامة منزلجي .. ومع الشكر نقدم الاعتذار على اختطافنا هذه المقتطفات
، فما يجري - الآن - على الساحة العربية لا يتطلب أن يستسمح الرفيق رفيقه في استخدام بعض من
ممتلكاته - التي نرى في ظرفنا الراهن ، الاستثنائي ، أنه مشاع - فكل مطبوعة وطنية (بالفطرة
الأصيلة وحدها) تستولى على أية قصيدة ، مقالة ، قصة ترى أنها الأقوى في حصار التضييل
والأكاذيب ، ومن ثم فتح الطريق أمام وعى الشعب كي يتحرك ، فينشط ، فينمو متحولاً إلى جسد
عبقري ، بلحمه العاري يلتهم الغزاة ، ثم يتقيأ شبابهم الغض ، يرجعهم إلى ضفاف إنسانيتهم مرة
أخرى .

تقول المظاهرات العربية هتافها الشهير هذا .. هتافها الذي شطره الأول عن إيمان مستقيم وشطره
الثاني عن إيمان مراوغ :

بالروح والدم .. تفديك يا زعيم

لم تقل تلك المظاهرات : بالدم والروح .. فهي في عمق أعماقها إنسانية الطبع .. فالروح المنتهية
بحرف الياء هي اللفظة التي تسكبها المرأة في جوف ابنها إن أصابه مرض مثلاً ، وتسكبها البنت سرّاً
أمام صديققتها وهي تحدثها عن مدى عشقتها لحبيبها .. وتسكبها الأغنيات العاطفية لكل الأجيال .
والروح حين تتجسد تصير قصيدة لوحة . فيلماً ، قصة ، مسرحية إلخ .. فان كانت طالعة من القلب
، فستنزّل حتماً إلى داخل قلوب شرائع عظيمة من الناس يفارقهم الخوف - بفعل النص الجريّ الجليل
الجاد الجميل .. جماله نتج عن تفاعل تلك الثلاثية (المرأة - الجلال - الجنية) مع بعضها البعض ..
ومفارقة الخوف القلب يتفرغ لابتكاراته الجهنمية القاضية على ذهنية الإستغلال لدى آخر
حصون الإمبرياليات الرئسمالية (أمريكا) .. لذا - أيها الأصمقاء - هم وطفلاؤهم - نوما - يراقبون
الكلمة كمجرم خطير ، بل ألفى في نظريهم ، فالمجرم تحدّد له - قانوناً - فترة مراقبته .

وأخيراً شكراً مرة أخرى « لدار » نينوى ، ولأمعزدة فالحرّب قرينا جميعاً ، نحن وأنتم (أيب ونقد
- نينوى) في خندق واحد نتقاسم الذخيرة والخبز والكلم القليل .

هيئة تحرير المجلة

إذا ما حاولت ورقة عشب مسألة أن تحرق سطح التربة فسوف تسرع جزمة عسكرية إلى سحقها.

وعندما فسد المصير داخلكم واستحال سما بدل أن ينضج وينز حلوة ، ضاعتم نشاطكم ، وخلقتم لأنفسكم أعداء ، أولاً في الخيال ، ثم على أرض الواقع ، نهبتم إلى الحرب ، وأصبحتم جنوداً وأبطالاً ، قمتم بغزوات ، تعلمتم مصاعب تصيب بالجنون ، وأنجزتم مآثر ضخمة . والآن ؟ أنتم راضون ؟ هل امتلأت قلوبكم بالسعادة والصفاء ؟ هل وجبتم مذاق المصير حلواً ؟ كلا ، بل هو أمر من العلم ، ولهذا تراكم تصرخون طلباً لمزيد من الحركة ، تندفعون في الشوارع تضجون وتصرخون .. وتعيون شحن يناديكم . وكل ذلك لأنكم في حالة هروب دائم من المعاناة ! حالة هروب من أنفسكم ، من أرواحكم !.

هل تسالتم مرة كيف حدث وكان الألمان غير محبوبين إلى أبعد حد ، وأنهم مكروهون كرها أسمى ، ويبثون خوفاً عظيماً في القلوب ويتجنون بعنف ؟ ألا يبدو غريباً لكم أنه خلال هذه الحرب الأخيرة ، التي اشتركتكم فيها بعدد كبير من الجنود تحلوكم آمال مثالية ، انتقلت الأمم واحدة بعد أخرى ببطء وثقة إلى معسكر أعدائكم وتخلت عنكم وخطاكم ؟

يقال إن كل أمة تحصل على الحكام الذين تريدهم وتستحقهم . لعل هذا صحيح .

أظهرت الحشرات كيف تدافع عن نفسها بأن تبدو أشبه بالعشب أو بالخشب أو بالطحال أو كجزة من الصخور ، بينما كان الضعفاء يهزؤون على الإعجاب وينفون النظارة الضاحكين إلى الفرار بنفث روائح كريهة ، واتقاء شر هجومهم . لم يتخلف أحد كان لكل منهم مواهبه .

إن عبارة « لا تقتل » ليست صيغة روتينية منبثقة من « الفيرية » المدرسية فالفيرية لا تظهر في الطبيعة ، وعبارة « لا تقتل » لاتعني : لا تؤذي الآخر ! بل تعني : لا تحرم نفسك من الآخر . لا تؤذي نفسك ! إن الآخر ليس غريباً ، إنه ليس شيئاً نائياً ، لأصلا له بى ، ومكتفياً بذاته ، إن كل شيء في العالم . كل آلاف « الآخرين » يوجنون فقط طالما أتى أراهم واتحسسهم ، وأقيم شجب العالم بوصفه شريراً ، لأن الشاجب كان نومه مضطرباً أو أسرف في الأكل . ولطالما مدح العالم بأنه جنة ، وذلك لأن المادح كان قد قبل فتاة لثوه .

.. إن العالم لم يخلق لكى يحسن . ولا أنتم خلقتم ليمراً عليكم تحسن . أنتم خلقتم لتكونوا أنفسكم . خلقتم لتنفوا للعالم بصوت ، بنغم ، بظل : كونوا على سجيبتكم ، وسيفغو العالم غنياً وجميلاً : كونوا ماليس أنتم ، كذابين وجبناء ، وسيفغو فقيراً وسبيدو في حاجة إلى تحسين .. في هذا الوقت بالذات ، في هذه الظروف الغريبة ، تفتى من جديد ويعزم أغنية « تحسين العالم » ، يصدح بها من فوج السطوح .

ألا تسمعون كم هي قبيحة ومخمورة ؟ كم هي بليدة وكثيية وغبية وحمقاء؟ وهذه الأغنية أشبه باطار يمكن أن يثبت على أى صورة . فقد ناسبت القيصر ورجال شرطته ..
ألم تلاحظوا أنه كلما تعالى غناء هذه الأغنية يمد الرجال أيديهم إلى جيوبهم ، فهي أغنية المصلحة الشخصية والأثانية - وأأسفاه ! ، إنها ليست الأثانية النبيلة التى ترتقى بالذات وتملأها بالعزم، وإنما الأثانية المتمركزة حول المال ، وزكائب المال والتفاهات والضلالات . وعندما يخل الإنسان من أنانيته فإنه يتحدث عن تحسين العالم ، ويختبئ خلف مثل هذه الكلمات .

إن ابن العم الأبيض هذا يمازحنا . إنه يحاول أن يبلغنا أن عقله يعمل على أمر قد يعيش أو لا يعيش أحفاد أحفادنا ليشهدوا تحققه . إننى أقترح أن نصفه مازحاً . إنه يقول أشياء لا أحد يفهمها فهما تاما فسوف تدفعنا إلى أن نضحك ونضحك ونضحك . ألا تشعرون جميعا الشعور نفسه ؟ أنا سعيد لسماعها . إننى أدعو إلى حية مضحكنا ثلاثا !

لم أعد أؤمن بأن السلام العالمى يمكن تحقيقه بوسائل عقلانية ، بالوعظ ، والتنظيم ، والدعاوة السياسية إلا بقدر إيمانى باختراع حجر الفيلسوف على يد عصبة من الخيميائيين.

علمت أنه كان واجب أساتذتنا فى المدرسة أن يعملوا على سحقنا قدر استطاعتهم ، وكانوا يطالبوننا بفضائل هم أنفسهم لا يملكونها ، والتاريخ الذى وضعوه أمامنا كان خدمة قبركها البالفون لكى يقللوا فى شأننا ويبقوننا فى أماكننا .

طالما أن الإنسان ثرى فإنه يستطيع تحمل نفقات القيام بأمور تافهة وحمقاء ، وعندما تفسح الرفاهية الطريق للبلوى ، نبدأ الحياة بتتقيفنا ... وهما قد جاءت أيام البلوى . ليتها تجلب معها بداية الثقافة.

إن لكل شئ على وجه الأرض ، كل شئ بلا أى استثناء ، إرادته الخاصة ، إن كل حجر ، وورقة من عشب ، وزهرة ، وشجيرة ، وحيوان ينمو ، ويعيش ، ويتنقل ويشعر انسجاما مع إرادته الخاصة ، ولهذا كان العالم طيبا خصباً وجميلاً . وإذا كانت هناك أزهار وثمار وأشجار سنديان وبتولا ، وأحصنة ونجاج وقصدير وحديد وذهب وفحم ، فذلك لأن كل شئ عظيم كان أم متواضعا يحمل فى داخله » إرادته » الخاصة ، ناموسه الخاص ، ويتبع ذلك الناموس بثقة وثبات.

قبل نشوب حريقكم الطويلة ، يا أصدقائى كنتم أغنياء ، أنتم وأباؤكم ، كنتم أغنياء وبيدين وشرفين ، وعندما أصابكم ألم التخمة لأشك فى أنكم تعرفتم إلى مصيركم من خلال المكم وتوقفتم وأصغيتم إلى



صوته الطيب . ولكن لما كنتم مجرد أطفال ، فإن ألم بطونكم أثار غضبكم وتوصلتم إلى الاعتقاد أن الجوع والفاقة هما مصدر ألمكم . وهكذا انطلقتم : لتسيطروا ، لتستولوا على مزيد من المساحة على الكرة الأرضية ، لتكسبوا مزيداً من الطعام لـلم بطونكم . والآن بعد أن عدتم إلى وطنكم خالين الوفاض مما سعيتم لأجله عدتم تتنون من جديد . واكتفتكم كافة صنوف الأوجاع والآلام . وها أنتم من جديد تبحثون عن العدو الشرير ، الشرير المسئول عن ألامكم وأنتم مستعدون لإطلاق النار عليه حتى وإن كان شقيقكم .

هناك تعبير يقزعني عندما أسمعكم تتلقون به . هذا إذا لم يثر ضحكى ! ذلك التعبير هو : تحسين العالم . لقد تعودتم على ترديد هذه الأغنية مع رفاقكم وجماعاتكم . وكان قبصركم وكل أنبيائى شديدي الولع بتلك الأغنية ، وكانت لازمتها تقول إن الروح الألمانية سوف توجد العالم .. يا صباغى ، يجب أن نتعلم كيف نكف عن الإنداء الغريب بأن أمر تحسينه فى أيدينا لعلنا يصرع سهم غزلاً . وعندما يأتى المصير إلى الإنسان من الداخل ، من عمق أعماق كيانه ، فإنه يقويه ، يحوله إلى إله .

إن الروح الوطنية لم تكن تنقص يوماً جوتها ، على الرغم من أنه لم يكتب أى نشيد وطنى فى عام ١٨١٣ . غير أن تقانيه فى سبيل الإنسانية كان أثنى بالنسبة إليه من تقانيه فى سبيل الشعب الألمانى الذى كان يعرفه ويحبه أكثر مما عرف وأحب أى شئ آخر . لقد كان مواطناً وطنياً فى عالم الفكر والحرية الداخلية والضمير الفكرى الشامل . كان فى أفضل لحظات فكره يرى توارىخ الأمم ليس كأقدار منفصلة ، مستقلة ، وإنما كجزاء مكملة لحركة كلية .

فلنشارك بمظاهرة ضد الحرب

تشن ين

ترجمة :عبد العزيز السيد

«ما هو أضخم الاستثمارات في الأرض؟»
قلت له:

المال المدفوع للحروب هو الأضخم

سألني ابني:

«ما هو الضرر الأقوى في العالم؟»

قلت له:

أقوى الأضرار ما يتعرض له الناس أثناء

الحروب!

قال ابني:

«أني أريد السلام!»

فلنشارك ، إذا بمظاهرة ضد الحرب

في عىق الأهداف

سألتنى ابنتى،

«ما هو الجبل الأعلى في الأرض؟»

قلت لها،

الجبل الذى يتكون من الهياكل العظمية

التي خلفتها الحروب هو الأعلى!

سألتنى ابنتى،

«ما هو النهر الأطول في العالم؟»

قلت لها :

النهر الممتلئ بالدماء .

التي سببتها الحروب هو الأطول!

قالت ابنتى:

«إنى لن أحارب»

سألني ابني:

(مهدة إلى الروائية الهندية ارون داني روى)

دانيلا جوزيفي

ترجمة محمد الشوكاني

لأني أعيش كما تعيشين أنت

في عمق أهداف الصواريخ النووية

فهل أهرب من نيويورك

وتهربين أنت من نيودلهي؟

لكن إذا ما هربنا سيصير أصدقاؤنا رماداً،

وسيتحول أطفالنا الأحبة رماداً

وستصبح حدائقنا التي زرعناها رماداً

وستقتني كل الطيور التي نراقبها من نوافذنا

كل يوم

وسيفنى جيراننا الذين نقرئهم السلام كل

صباح

وستندثر بيوتنا المشيدة وفق هوانا

وستحترق كل الكتب المصطفة على أراجنا

فمن سنحب ونهوى حين يتلاشى كل ذلك

ومن يا ترى سيقابلنا حين نعود إلى منازلنا

قابلين بنا كما نحن؟

الأخرى أن نظل في منازلنا

ملتفين حول أنفسنا ، قرب أطفالنا الأحبة

وقرب أصدقاؤنا ، وحدائقنا بوشجرنا

لأننا نحبهم جميعاً

ولنتخيل كم هو مؤسف أن نموت الآن

ولنا أن نتناسى الخطر المصدق بنا

حتى يصبح اللغاء الشنيع مألوفاً لنا

ونتظر كل يوم نشرة الأخبار الجوية

وننتظر كل يوم العدالة للمحرومين

وبدلاً من ذلك نستمع إلى أخبار

«القدرة على توجيه الضربة الأولى»

أخبار تأتي من الهند وباكستان

ومن روسيا وأمريكا

وكأنما الجميع يناقشون لعبة شطرنج

أو نتائج لعبة البسيبول

ثم نتتبع بما سيأتي

ونتحدث عن أفلام وثائقية

تحكي عن هيروشيما ونجازاكي

وتومض كرة نارية ضخمة

تخلف أجساداً محروقة تعيق انسياب

الجدول

وتخلف أطفالاً بيكون

رؤوسهم صلع ، جلودهم كوتها النار

تطفئ حرارتها الشديدة

توهج عيونهم إلى الأبد

أمهات يتنفسن بصعوبة

أجساد آباء وأطفال محروقة ينبعث منها

بخان أسود ،

ماء مسسم بمزيج يزيث كثيف ، هواء

ملتهب

والسرطان زرعوه في كل مكان

موت خبيث خلفوه لمن لم يولد بعد

مهزول وراثياً في البنور

في ماء الرجل والبويضات

تتذكر امرأة انصهرت تماماً مع سلام

عمارة

تتخيل أنفسنا منصهرة تماماً مع الصلب

والأسمنت

كياننا كله يغرق بقعة دم على رصيف مشاة

ويتخيل أطفال المستقبل ، أطفالاً مرضى

مشوهين

يشيرون نحو بقعة دم كانت كياننا كله
قائلين:

«كانت شاعرة!» ليست «تلك» بل «ذاك»
الشيء!

ألمح زوجي يقرأ جريدته تحت ضوء المصباح
أفكاره نتاج ملايين من سنين التشبوع
والارتقاء

تبخر منها العقل والإحساس
أعرف قطرة مرقطة تدعو على مدى الطريق
تختفي تحت هذا السلم أو ذاك
فهل ستصبح هي الأخرى بقعة إشعاع
نشط

بقعة برتقالية أو بقعة قاتمة على قارعة
الطريق؟
آه ففي لحظة ستقتلع زهور السوسن
الرقية

والورد وأوراق الحديقة
كلها ستتحول في طرفة عين إلى رماد!
ولا مكان حينئذ يحتمي سكان مدننا
«ردع نووى» يا لها من دعاية شنيعة!
يطير ساستنا في مهمات سلام
تنتهي ببيع أسلحة لطفاء يتقاتلون
فلماذا نسمح بهذا؟
لماذا نحصى الإعلام ، التي تبقينا رهائن
تحت وإبل من إطلاق النار
وتلوج سرمدية؟
لماذا نحتمل بناء الموت

من يبتز البشرية جمعاء
من يبتز أرضنا وروائعها الجميلة؟
كيف لنا أن نكتب قصيدة أخرى
في زمن لا قيم للموسيقى وفنون الكون
عند أغبياء بلهاء
أشجار أعطيناهم زمام قيادة الكون ؟
نحن نعيش على خط النار -جميعا هناك-
ابنتي الحبيبة بجذائلها الطويلة الصهباء
زوجي مع جريدته ،والقطعة المرقطة
وزهور السوسن القرمزية المتوهجة في
حديقتنا

والشجيرات الفاتحة عطرأ
أنت أرونداتي ،هناك في نيودلهي
وأنا ، هنا في نيويورك
كلنا في مرمى أهداف طغاة العالم القتل
ما زلنا نأمل أن نسلم من طفيانهم
ويسلم معنا من نحب
(*) شاعرة أمريكية من أصول إيطالية ،
نشرت أكثر من عشرة دواوين شعرية ، فاز
أحدها بجائزة الكتاب الأمريكي السنوي .
(١) أرونداتي روى كاتبة وروائية هندية
شهيرة بدفاعها عن المضطهدين في جميع
أنحاء العالم ، كانت أول من كتب عن خطورة
حرب الرئيس الأمريكي بوش ضد الإرهاب ،
والتي رأت أنها ستتحول إلى حرب مدمرة
للإنسانية كما كتبت ضد السلاح النووي وضد
الدول التي تمتلكه ، وهي داعية سلام شهيرة .

لنمارس الحب ، لا الحرب

جيرنش كنتزمان

هل أنت متضايق من حرب أمريكا (...) على العراق ؟ هل أنت غاضب من أن الحرب تسوق باعتبارها إحدى معارك الحرب على الإرهاب فيما الحقيقة غير ذلك ؟ أنا غاضب لذلك ، وعلى شاككتي ممثلتان من مدينة نيويورك تعارضان الحرب ولكن ليس ثمة وسيلة للتعبير عن ذلك ، فقررتنا عقد جلسة لقراءة مقاطع من المسرحية الكوميدية الشهيرة المناهضة للحرب (LYSISTRATA) لؤلؤها اليوناني أريستوفان ، وفيها تقرّر نساء اليونان إنهاء دوامة من الحروب التي لا معنى لها بالامتناع عن ممارسة الجنس مع الرجال حتى يوقف هؤلاء القتال.

انتشر الخبر ، واستطاع مشروع (Lysistrata) ... أن ينظم (1,000) قراءة مماثلة في (59) بلدا .. صحيح أن المسرحية كتبت قبل أكثر من (2000) عام ، ولكن مهلاً ، فقد كان أريستوفان يعلم تماما كيف يجذب المعجبين إلى المسرح ، وأعني هنا أن من شأن مثل هذه المسرحية أن تجعل (ديك تشيني) يحمر وجهه خجلاً ، فبينما تمارس النساء في المسرحية تصرفات مثلية جنسية ، يقبع الرجال في حسرة ، ويضيف لمعاناً الرجال القسم الذي قطعت النساء معتزلات الجنس ، بالآ يذلن أنفسهن . ياسلام ! قد يكون ذلك جديداً علينا نحن الأمريكيين لكن يبدو أن الناس قد عرفوا التعرّى قبل اختراع الكرسي الخلفي في سيارات (الشفرويه) .

لقد دعيت لمشاركة الممثلين في أداء المقطوعات ، وهو من دواعي فخري ، ولكن عندما عرضت النص على زوجتي وأنا أقرأ في الفراش (واحسرتاه) ذات ليلة ، تطوعت فوراً للقسم بالامتناع عن الجنس . فاعترضت قائلاً: « لكنني معارض للحرب » فما كان منها إلا أن أدارت ظهرها لي وهي تغقم شيئاً عن التضحية لأجل الوطن .

قد يكون مشروع (Lysistrata) مجرد قرصة يسارية ، ولكنه يكشف الكثير عن أمريكا الليبرالية والمحافطة ، ليس من الناحية السياسية فقط ، بل الثقافية كذلك.

« مصابات نيويورك »

القتل كعقيدة

محمد عبد الرحيم

مقدمة

يقوم الفيلم بتشريح الولايات المتحدة تشريحاً حاداً وقاسياً، وتعد هذه الطريقة في الرؤية النقدية للمجتمع الأمريكي هي طريقة تميز بها « أوليفر ستون » في معظم أفلامه ، التي منها على سبيل المثال لا الحصر ..

(مولود في الرابع من يوليو / J.F. K / قتل بالبطرة) .

إلا أن « مارتن سكورسيزي » ينضم إلى هذه الرؤية ، متوقفاً بوعي شديد أمام بدايات نشوء الولايات المتحدة لا كولة ، بل كفكرة ، هذه البدايات التي ترسم التفاصيل والحدود والتكوين النفسي لهذا الكيان الجبار الآن ، والمسمى بـ « الولايات المتحدة الأمريكية » والذي يحمل بذور انهياره منذ النشأة وحتى الاستقرار .

وعن طريق أفكار طوباوية نشأت في عقل كل من طرفي الصراع في الفيلم يتم استعراض طريقة وطبيعة تفكير الإنسان الأمريكي الآن - مع ملاحظة أن أحداث الفيلم تنتمي إلى فترة الحرب الأهلية الأمريكية وبداية توحيد الولايات - حتى يتلاشى كل تعجب أو اندهاش ، مادامت أن البدايات دائماً هي التي تقود إلى النتائج .

وهم الصراع

إن كلاً من طرفي الصراع (الجزار / القس) تحركه أفكارا طوباوية تحمل قيماً نقيية ، نجح

السيناريو في جعلها متوازنة إلى أقصى حد ، دون تفصيل إحداها على الأخرى ، وذلك ما بين المناضل (صاحب البلد) راعى التقاليد وحرمة الأرض المقصورة على أهلها وبين الأجنبي (رجل الدين) ممثل كلمة الله فوق هذه الأرض وكل منهما يرى نفسه الأحق بأن تصبح كلمته هي الأعلى .

ونظراً لوم كل منهما (مع ملاحظة أن هذا الوم الخفي هو الذى يتضح فى النهاية) وهم أن كلاهما على حق ، فقد تساوت كفتاهما ، فان أصحاب الأرض الأصليين لم يذكروا على الإطلاق (الهنود الحمر) وهى إرهابية ذكية لما سيحدث بعد ذلك ، لأن هذه الأرض سوف تختار رجالها رغم أنف الجميع ، ورغم طوباويتهم الساذجة ليصبح كل من سولت له نفسه أن يحمل ولو جزءاً ضئيلاً من قيمة ما ، أيا كانت سواء .. الشرف / الأمانة / الصدق - كل من وجهة نظره - سيكون المثال الأمثل لى يصبح جديراً بدخوله إلى متحف التاريخ.

إن كلاً من الجزار والقس وابنه بعد ذلك ، يمثلان البطل النبيل فى التراجيديات الإغريقية فكل منهم يحمل فكرة رومانسية تنقله وتحركه وتسيطر عليه ، رغم اختلاف وجهات النظر وطريقة الصراع (ابن القس الذى ألقى بالكتاب المقدس فى النهر بمجرد خروجه من دار الرعاية) وبما أنهم فى متحف منذ البداية ، رغم الزخم الخادع للأحداث التى وقعت فيها فان الصراع الأساسى يدور فى عقولهم فقط . إنهم كالأطفال المنعزلين تماماً ، والمنشغلين دائماً بألعابهم الطفولية ولغتهم الخاصة التى لن يفهمها وإن يهتم بها أحد . فكل هذا الصخب وكل هذا النضال وهذه الدماء ، ماهى إلا ألعاب صبية ، لا تثير إلا سخرية عين بعيدة تترصدهم وتسخر منهم دون شفقة أو رحمة ، هى عين العصابة أو العصابة الحقيقية ، وليس هؤلاء الحالمون السذج.

مشاهد ذات دلالات

- الصخب الحاد جداً فى مشهد الإعداد للمعركة بين القس والجزار ، من حيث الآلات والناس وطريقة العمل .. و .. وفور أن يفتح الباب ، فالصمت التام هو سيد الموقف ، فأرض النقاط الخمس التى شهدت المعركة لن تكون لهما على الإطلاق

- علاقة الحب والتبجيل التى يخلها الجزار للقس ، وإصرار الجزار بعد الانتصار عليه بالآتمس جثته ، بل ويجب الحفاظ عليها ، ثم الاحتفال السنوى الذى يقيم الجزار بمناسبة قتل القس ، ماهو إلا احتفال بنضال القس ، فهو يستمد قيمة نضاله من قيمة ضحيته (أليس ماكان يؤرقه بعد ذلك أنه قتل آخر الشرفاء فى المدينة) .

- المدينة التى أحبها ابن القس ماهى إلا إحدى صنائع الجزار وضمن ممتلكاته وقد أصبحت جسداً مشتركاً بينهما ، كالأرض التى يقف عليها تماماً ، وهى مشوهة الجسد .

- مشهد الصلاة كل حسب طريقته .. الجزار / ابن القس / الأرستقراطيون (العصابة الحقيقية) وكلمة « آمين » ختاما الصلاة كل منهم ، ختام يليق بآله كل منهم .

- خرافة الثأر .. فالقس قبل موته لم يقتل الجزار ، بل تركه مع عاره يتآلم ويبكى وبالتالي لم يقتل الجزار ابن القس أخذاً بالثأر

وذلك قبل المعركة الأخيرة بينهما وقد تسامحا وقد اكتشفا الخدعة بعد فوات الأوان.
- تكرار مشهد جرح الوجه لدى الابن قبل المعركة ، كما فعل الأب (القس)
- الدعاية الإعلامية لكل شئ: إلى كل من تطأ قدمه الأرض سواء للانضمام لأحد الحزبين أو حضور قداس الأحد .

- التجنيد الإجبارى والإغواء بالوجبات الثلاثة للجنود (المرتزقة وهم أجنبى من الأصل)
وصعودهم إلى نفس السفينة التى تفرغ حمولتها من النعوش الذهبية.
- حوار الأرستقراطيين حول اضطرابات المدينة وحركات النساء فى الخلفية وكأتهن لوحة من اللوحات والجميع فى عالم آخر منعزل عن التأثيرين الذين لا يمثلون لهم إلا مجرد أصوات انتخابية.
- قلادة القس التى هى سبب تعلق ابنه بالفن (تركة الجزائر) بعد ذلك.
- العين الزجاجية للجزائر ، التى لم تتضح فى البداية ، وقبل اغلاقها إلى الأبد بعد موته يتضح أنها على شكل النسور الأمريكى.

- الإعداد لحرب النثار ما بين الجزائر وابن القس والأسلحة القديمة السانجة ثم الحقيقة المتمثلة فى بارود المدافع المنصوبة على الشاطئ ، وهما لا يزالان فى حلمهما الطفولى وكأتهما أشباحاً من عالم زائل مختلف ، يحجبهما غبار الأبنية المنهدمة والبارود المشتعل.

- طبيعة الأرض التى لم تتغير رغم تغير شكل المباني بمرور الزمن ، منذ بداية الفيلم وحتى الآن (المشهد الأخير)

السرد

اتخذ السرد من البداية حتى النهاية شكل التعليق فالسارد هو الراوى من داخل الأحداث (ابن القس) / ليوناردو دى كابريو ، منذ طفولته وحتى النهاية ليتبادل هذا التعليق موقعه فى المشاهد التى لم يكن بها أو مطلعاً عليها وذلك لخلق توازن سردي بينه وبين (الجزائر / دانيال دى لوى ثم يتم قطع الخطوط الفرعية للأحداث فجأة وبطريقة غير متوقعة ، تدفع بالأحداث للأمام وفق التكوين النفسى للشخصيات كقتل الجزائر لمرشح الانتخاب صاحب العصى التى يسجل عليها أرواح ضحاياها ، فالقتل بدافع الولاء للمبدأ ، وكذلك قتل الفتى لصديقه الخائن بدافع الرحمة ثم الفلاش باك السريع أو اللحظى كاستدعاء من ذاكرة الفتى وهو يتذكر أصغاء والده بعين الطفل.

وربما .. تكون النهاية المتوقعة هى مقتل الاثنين معاً ، بيد القوى الحقيقية (العصابة) ، ولكن الراوى سوف ينقطع سرده ، لذلك ظل على قيد الحياة ، وربما هى نهاية أكثر واقعية ليعانى وحده عذاب كل من أراد تأسيس مدينة فاضلة فى مخيلاتهم أو أحلامهم ، لم يكن لها أبداً أن تقام فوق هذه الأرض التى لاتصادق إلا الشياطين.

إن أفكار الفيلم التى تم طرحها بكل جرأة كان لابد أن تصيب أمثالنا بالصدمة ونرى أنفسنا وقد أصبنا بما يمكن أن يطلق عليه . « الخضاء العقلى » فماذا لو استخدمنا هذه النظرة النقدية والتشريحية فى أمور مؤرقة ومريكة فى نفس الوقت.

بلوغ القمة

إلى ريتشل كورى قصيدة رفضها الصحافة الإسرائيلية

شعر : هافينا بيدايا

ترجمة : سيد وازن

وفاء الناشطة الأميركية ريتشل كورى ، المؤيدة للقضية الفلسطينية ، تحت جرافة البلدوز الإسرائيلية فى رفح (جنوب غزة) ، عندما كانت تحاول اعتراض مدم الجنود الإسرائيليين منزلا فلسطينيا ، أوجت بقصيدة للشاعرة الإسرائيلية هافينا بيدايا « المسألة والمؤنة بعمق ، كما قالت عنها جريدة « ليبراسيون » الفرنسية ، والشاعرة تدرس فى جامعة بن جوريون فى بيرزيت ، وقصيدتها التى نقلها إلى العربية (عن الفرنسية) ، رفضت صحيفة « ها آرتس » أن تنشرها . إلا أن الشاعرة لم تلبث أن نشرتها عبر الانترنت .

عندما يقترب البلدوز ، تنقلب الأرض أمامه وتتكس
عندما تنتصبين أمامه ، تدفعك التلال إلى الأسفل ، وتسقطين
عندما تتسلقين تلة ، يجب أن تصلى القمة ، لتحفظى توازنك منكبة على فك البلدوز ، ويبقى أمامك قليل من
الوقت لتقفزى جانبا

واتهريسى وتختبئى ، وتواصلى الصراخ ، جانبا
بعد السقوط يبقى أن نعرف إن كان البلدوز سيتوقف ، وإن كان ممكنا
أن تنتشل الجسد الذى سقط تحت
ولكن إذا تراجع البلدوز وواصل قلب الأرض فالجرفة تقدر أن تجرح أيضا
عندما يقترب البلدوز ، تنقلب الأرض
عندما يقترب البلدوز ليدمر ، ترفض الأرض
أن تسمعها تتكلم بالعبرية مسمية نفسها « البديل » !
إيه ، التربة ترتث كما فى يد خراف ، فى يد فلاح ، فى يد مزارع !
ادفعى واحفرى ، ادفعى واحفرى

إيه ، ثغر الحفرة !
إيه ، ثغر الحفرة !
تلك التي تحمل طرف المجرفة كانت تبغى أن تصرخ في وجه القرية :
كفى هدماً للبيت
كفى حفراً في أحشاء المرأة الحية
اندفعى واحفرى ، اندفعى واحفرى
لقد سقطت في ثغر الحفرة ، سقطت في الحفرة
إيه أيها البيت
إيه يا أحشاء المرأة الحية
اندفعى واحفرى ، اندفعى واحفرى ، أيها الثور السكران
عندما يقترب البلنوزر ليديم ، لا تتمكن الأرض ، بذاكرتها العبرية ، من
أن تترك البلنوزر له فك
فك من معدن
هل أكل اليهود ، في مفاهم ، بفك من معدن ، وماذا نفهم نحن بكلمة « فك » ؟
الأرض تحفر في ذاكرتها ولا تجد إلا كلمة « جوف المقلاع » .
هنا يحشر الأعداء ، كلهم
يحشرون مثل حجر رمى عليهم بلا راحة
بينما العشاق موقوفون بحزمة الحياة
ولكن بما أن العالم الآن مقلوب ، رأساً وعقباً ، ماذا علينا أن نقول ؟
عندما تتقلب أحشاء الأرض ، فهي تريد أن تتقيأ
أن تتقيأ الحياة المنغمرة فيها قبل أوانها
لكن الدم سال ويات من المستحيل وقفه
إلا أنها تحاول أن تتقيأ الكلمات التي تجهلها
كلمات ألفى عام من المنفى بلا صوت
وعندما تحاول أن تصرخ بجهد جهيد ، شكوى
ريتشل تنهمر حجارة القداسة في الجوار
حجارة كريمة ، حجارة ملتمعة ، حجارة حياة ، حجارة حياة مختصرة
اندفعى واحفرى ، اندفعى واحفرى ، أيها الثور السكران
أختك التي مكثت في محرابها لتوقفك ، بلغت طرف المقلاع وكلتها لست
طرف صولجان عليك سكران
وقد قضى الأمر
اندفعى واحفرى ، اندفعى واحفرى
أختك ، صوتها من دم
اندفعى ، احفرى ، اصرخى
اندفعى ، احفرى من الداخل
اندفعى ، احفرى الأرض .

أنّا ماري شيميل Annemarie Schimmel (١٩٢٢ - ٢٠٠٣)

أ.د. محمد عوني عبد الرؤوف

شاهدت الأستاذة دكتور لنا ماري شيميل في عديد من المؤتمرات التي تعقدها جمعية المستشرقين الألمان حين كنت أدرس في ألمانيا الغربية . وكنت أعجب بالدراسات التي تقدمها في هذه المؤتمرات ، إذ كانت عميقة دائما تتناول فيها جميع نقاط دراستها في إسهاب ، وكانت موضوعية جادة في إلقاءها .

ورجعت إلى ما كنته عن فريدريش ريكرت ، وما جمعته من لشعاره وترجماته عن الشعر العربي بخاصة ، ومقامات الحريري ومعاني القرآن الكريم ، حين كنت أعد كتابي عن فريدريش ريكرت ، فكان حديثها ثريا شيقا . ودعيتي لزيارتها في منزلها بمدينة بون - العاصمة آنذاك - فسمعت بالدعوة وحرصت على تلبيةها . وعندما ذهبت إليها في الموعد المحدد ، ودققت جرس باب المنزل نزلت إلي من شقتها بالدور الثاني لفتحت الباب ، وصعدت إلى أعلى ، وهي في تمام الصحة والنشاط بالرغم من أنها كانت في الرابعة والستين من عمرها . وفوجئت بأن الشقة كلها تكاد تكون مكتبة ولا تكاد حوائط الغرف تظهر من خلف المكتبات العالية ، وإن كان بها أرائك يمكن أن تستخدم في الاستلقاء عليها أو النوم . وقضينا وقتا نتحدث في كافة الموضوعات اللغوية والإسلامية ، فكان حديثها في شتى مجالات المعارف العربية والإسلامية عيقا ممتازا . وكانت نموذجاً للسيدة المتخصصة في الآداب واللغات الشرقية بحق .

وما زلت أذكر الكثير من حديثها ، وأستعيده فأزدد إعجابا بمعارفها ، وقدرتها على الحديث في مجالات شتى . غفر الله لها فقد قدمت للعلم دراسات جليلة ، وكانت دائما موضوعية في تعاملها مع الآخرين ، محبة للإسلام والمسلمين ، وكانت نموذجا للمستشرق الذي لا يحمل عليهم ، ولا يحرف النصوص لينال منهم أو يسيء إليهم . بل دافعت عنهم أمام من يتناولهم بغير ما تحب أو يحبون .

ولدت لنا ماري في ٧ من إبريل عام ١٩٢٢ . وبذلت دراسة اللغة العربية، ولم تكن قد تجاوزت الخامسة عشرة من عمرها . وتعرفت المصادر العربية وأصول الحضارة الإسلامية . وتقدمت في دراستها حتى نالت درجة الدكتوراه عام ١٩٤١ عن رسالتها بعنوان :

Kalif und Kadi

"الخليفة والقاضي في مصر في القرون الوسطى المتأخرة" .

ثم حصلت على درجة الأستاذية عام ١٩٤٦ وهي في الثالثة والعشرين من عمرها عن رسالتها بعنوان:

Die Strukturen der unter der Mamluken in ypten

"البنية الاجتماعية لطبقة العسكريين في زمن المماليك في مصر" من جامعة ماربورج ، وقامت بالتدريس بها . ثم رحلت إلى تركيا، وقامت بالتدريس بجامعة أنقرة عام ١٩٥٤ وذلك بكلية الشريعة الإسلامية . وكانت تحاضر الطلاب باللغة التركية، كما درست الأدب التركي القديم . وعادت إلى ألمانيا، ودرست بجامعة بون عام ١٩٦١ وعندما حصلت على لقب أستاذة في الثقافة الهندية الإسلامية من جامعة هارفارد بالولايات المتحدة عام ١٩٦٧ انتقلت إليها وارتبطت بها وظلت حتى عام ١٩٩٢ .

وقد حصلت لنا ماري شميل على درجة الدكتوراة الفخرية من كثير من الجامعات منها: جامعة اسطنبول، وجامعة أوبسالا، وجامعة طهران وحصلت على جوائز عديدة من مختلف البلدان الشرقية والغربية، مما يدل على أنها كانت تتمتع بتقدير كبير في الشرق والغرب.

تعد لنا ماري شميل صيدة المستشرقات الألمانيات وهي من الخبراء القماء الأوائل في الدراسات الصوفية الإسلامية، كما كانت ذات خبرة واسعة في الفن الإسلامي وفن الخط العربي، وتبين خبرتها وقدرتها على فهم الشعر الإسلامي فيما قامت به من ترجمات للشعر الفارسي والشعر العربي وشعر اللغات الإسلامية الأخرى التي تربو كتبها فيها على مائة كتاب (حوالي ١٠٥ كتاباً ودراسة) وهي تحظى بتقدير العالم الإسلامي أكثر من غيرها من المستشرقين، إذ كانت وحدها تمثل جسراً بين الثقافة الإسلامية، والحضارة الغربية . وفي عام ١٩٥٨ قامت بزيارتها الأولى إلى الباكستان، فقبلت بحفاوة كبيرة، وحصلت هناك على وسام الهلال والامتياز Hilāl-e-Imtiaz . وأطلق اسمها على شارع جميل بمدينة لاهور تحوط به الأشجار من الجانبين . وخصصت جائزة لإبداع المرأة باسمها عام ١٩٨٨ .

كانت تتمتع ضياء الحق الرئيس الباكستاني وتبرر أعماله، وتعجب كثيراً بالعلامة للشاعر محمد إقبال، وترجمت له جافندامه Javidname إلى الألمانية شعراً . ومما يذكر لها ويرفع من قدرها عند العالم الإسلامي هجومها على سلمان رشدي عند صدور كتابه "آيات شيطانية"، ووصفته بالإلحاد . وأيدت ما قرره الخميني من إهدار دمه . وكُتبت أنه لم يكن من المفروض أن ينشر كتابه، لأنه يؤذي مشاعر المسلمين، ولا يصح أساساً أن ينتقد المراء شريعة أو عقيدة سواء نقداً مباشراً أو في أي صورة بلاغية أو فنية . وتساءلت هل يمكن أن يفعل ذلك ببعض آيات الإنجيل، وهل كان العالم الغربي يسمح له بذلك؟ وبينت أن مثل هذه الآراء لا بد أن تبعد عن النصوص الدينية . وقد جر عليها ذلك عدلوة زملائها المستشرقين، وعدلوة الرأي العام . ونادى الكثيرون بضرورة استرداد وسام السلام الذي أهداه إليها الناشرون الألمان . ولكنها لم تهتم، ولم يؤثر هذا على حياتها أو دراستها التي ظلت تقوم بها في دأب، وتحرص عليها حتى عند ركوبها الطائرة في رحلاتها العديدة حتى

توفيت وهي في الثمانين من عمرها يوم ٢٨ من يناير سنة ٢٠٠٣ بعد أن زلت قدمها فوقعت على الأرض وأصيبت بكسر، فنقلت على الفور إلى المستشفى حيث لجريت لها عملية جراحية، وتوفيت بالمستشفى.

والألماري شمل اهتمامات كثيرة، فهي تعنى بالدراسات الإسلامية وبالتصوف خاصة علاقتها بالحضارات المختلفة في البلاد الإسلامية مثل تركيا، وإيران، والباكستان، كما تشيد بالدراسات الإسلامية بالهند، وترجم من اللغات الإسلامية جميعا (عربية وفارسية وتركية وأردية ... إلخ) إلى اللغة الألمانية. تتناول هذا في دراسات مستقلة بكتبها أو بأبحاثها، ومقالات تتناول فيها الإسلام في عدد من المجلات العلمية كما نقلت الكثير من مختارات الشعر العربي المعاصر إلى اللغة الألمانية.

وقد شاركت في إصدار مجلة فكر وفن عشر سنوات (من ١٩٦٣ إلى ١٩٧٣). أما عن كتبها التي بلغت ١٠٥ كتب ودراسة في مجالات متخصصة أو في مسلمات تصدرها المعاهد والجامعات ودور النشر الإسلامية أو الغربية المهمة بالترت الإسلامي أو باحاضر المسلمين وبلادهم. وهي في مجالات متعددة وإن كانت جميعا لا تخلو من العناية بالتصوف والإشارات إليه وإلى موضوعاته.

ونقدم للقارئ العربي مجموعة منها كي يطلع على نوعية ما كتبه المستشرقة أستاذ ماري شميل ويعترف قدراتها وسعة معارفها.

وقد كتبت عنها الصديق الأرميل أ.د. مصطفى ماهر أستاذ اللغة الألمانية وآدابها بكلية الآداب مقالته بمجلة الهلال (عدد ديسمبر ١٩٩٥ ص ١١٢-١١٩) بمناسبة حصولها على جائزة السلام الألمانية لعام ١٩٩٥. كما ترجم لها بكتابة "المانييا والعالم العربي عام ١٩٧٤ (ص ١٧٢-٢٠٧) دراسة تبين تأثير الأدباء الألمان في القرن الثامن عشر، وللصف الأول من القرن التاسع عشر بالأدب العربي وكذلك ورد ذكرها في ترجمته لكتاب رودي بارت "الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية" (القاهرة عام ١٩٦٨).

ويقول الدكتور مصطفى ماهر في مقاله بالهلال عنها:

"فهي إذا مشغولة بأدب الأمم الإسلامية التي تتقن من لغاتها العربية، والتركية، والفارسية، والأردو، والسندية على الأقل. واهتمامها يشتمل العصور المختلفة من الماضي إلى الحاضر. وقد نشرت في مجلة (فكر وفن) العديد من النماذج المترجمة عن الشعر العربي المعاصر، ثم أصدرت في عام ١٩٧٥ كتابا عن "الشعر العربي المعاصر" (١٦١ صفحة) يبدأ بدراسة منهجية، ويضم نماذج من شعر نازك الملائكة، ويذر شكر السياب، وعبد الوهاب البياتي، ومحمد القيتوري، وصالح عبد الصبور، وأحمد عبد المعطي حجازي، وفدوى طوقان، وسامح القاسم، ومحمود درويش، ونزار قباني، وتوفيق صايغ، وأدونيس.

أما في مجال الدراسات الإسلامية فتتوزع اهتمامات ألماري شميل على ثلاث مجموعات من الموضوعات: للتصوف التعريف بالإسلام الدراسات الإسلامية المتخصصة.

ولعل من المفيد لتبيين موقفها من العرب ومن المسلمين أن نذكر ما كتبه في مقدمة أحد الكتب الذي نشرته لأحد أعمال (ريكرت).

فلاهتمامها بالشاعر المستشرق فريدريش ريكتر (١٧٨٨-١٨٦٦) أصدرت عن دار كارل شيلمان بمدينة بريمن عام ١٩٦٣ كتابا له عنوان "شعراء شرقية" Orientalisch Dichtung بمناسبة مرور ١٧٥ عاما على ميلاد الشاعر المبدع واللغوي الضليع (فريدريش ريكتر) الذي ما زال معروفا لدى المتكلمين بالألمانية بشعاره الغنائية، وإن كان معظمهم لا يعرف أنه قام بترجمة الكثير من روائع الأدب الشرقية إلى اللغة الألمانية، وكان لمينا في ترجمته محافظا على نقل النص معنى ومبلى إلى القارئ الألماني، الأمر الذي جعله

ينشغل كثيراً بفن القول للشرقي ، ويعجب به ، فيحاول أن يبتدع قوالب وأوزان جديدة للشعر الألماني لتتفق وما يقوم بترجمته من أشعار .

وقد قدمت الأستاذة المستترقة دكتورة أنماري شيمل لهذه المجموعة بمقدمة طويلة تقع في ٤٠ صفحة تحدثت فيها عن الأحداث التاريخية التي اتصل فيها الشرق الأدبي بالغرب ، وكيف أن الحروب الصليبية التي اندلعت عام ١٠٩٦ ساهمت في إعطاء الأوربيين فكرة صحيحة عن الإسلام ، وعن المسلمين وخلق المحارب للمسلم الذي أصبح صلاح الدين الأيوبي مثالا نموذجيا له عندهم ، ومن ثم أصبح الأدباء يكثر من الكتابة عن الشرق متأثرين به ، أخذين عنه ، مؤمنين به أحيانا ، متحيزين ضده أحيانا أخرى . وتحدثت عن دور الأدباء الألمان في العصور القديمة في هذا الصدد ، ونور من خلفهم أمثال هردر ، وجوته ، وريكرت ، ويوسف فون همربورجشتال .

أولاً: دراسات إسلامية

- Zur Lage in der
In: Atti dell VIII Congr. int. stor. rel., 446-447, (1955)
عن الحالة العقائدية في هذا الوقت (الأنية) بتركيا (١٩٥٥)
قرأت بالمؤتمر الدولي العربي والإسلامي / نابولي ، (١٩٦٧)
- The idea of prayer in the thought of Iqbal
MW 48, 205-222, (1958)
فكرة الصلاة في رأي إقبال
عالم المسلم / عدد ٤٨ ص ٢٠٥-٢٢٢ ، (١٩٥٨)
- Schriftsymbolik im Islam
In; FSE. , 244-254 Berlin, (1959)
رموز الكتابة في الإسلام
الكتاب التذكاري للمستشرق كينل / برلين ، (١٩٥٩)
- Des im Volksglauben
In: WI 6, 71-90, (1959)
النور في العقائد الشعبية التركية
عالم الإسلام عدد ٦ ص ٧١-٩٠ ، (١٩٥٩)
- Einige Bemerkungen zu Muhammad Iqbal Gāwīdnāme
In: Wo 2, 520-527, (1959)
بعض الملحوظات عن "جافيندنامي" لمحمد إقبال
عالم الشرق عدد ٢ ص ٥٢٠-٥٢٧ ، (١٩٥٩)
- Babur Padishah, the poet, with an account of the poetical talent in his family.
In: IC 34, 125-138, (1960)

بابور الشاعر وقصة العبقرية الشعرية في أسرته.
مجلة الثقافة الإسلامية / حيدر آباد عدد ٣٤ ص ١٢٥-١٣٨ ، (١٩٦٠).

- The Western influence on Sir Muhammad thought.
In Proceedings of the International Congress of the
International Association for the History of Religions,
705-708, Tokyo (1960).

المؤثرات الغربية على فكر مير محمد إقبال
بمحضر المؤتمر الدولي للاتحاد الدولي للدراسات التاريخية والدينية ٧٠٥-٧٠٨ طوكيو ،
(١٩٦٠).

- Der Koran: Aus dem Arabischen von Max
Henning.

Einleitung und Anmerkungen von A. Schimmel.
Stuttgart (1960).

القرآن: ترجمة (معاينه) من العربية (إلى الألمانية) للمستشرق ماكس هنج
تقديم وتعليق لنا ماري شيمل ... شنتجارث (١٩٦٠).

- Yunus Emre. (1961).
In: Namen 8, 12-33

يونس امري
نامن ٨ ص ١٢-٣٣ ، (١٩٦١).

- The place of the prophet of Islam in thought.
In: [s] st 1, 111-130, (1962).

مكانة نبي في الإسلام عند إقبال
الدراسات الإسلامية: جريدة معهد الدراسات الإسلامية/الباكستان المنة الأولى العدد الأول
١١١-١٣٠ ، (١٩٦٢).

- Leben in der
In: ZKA 12, 195-197m (1962).

الحياة الدينية في تركيا ، (١٩٦٢).

- Translation and commentaries of the in Sindi
language.

In: Orient 16, 224-243, (1963).

ترجمات وتفسير القرآن الكريم في اللغة السندية ، (١٩٦٣)

- The veneration of the Prophet Muhammad, as reflected in
Sindhi poetry.

In: The Saviour God: Comparative studies in the concept of the salvation, presented to E.O. James, 123-143, Manchester, (1963).

تجليل النبي محمد (ص) كما يتجلى في الشعر السندي
ظهر في: الإله المخلص: دراسات مقارنة في مفهوم التخليص، مقدمة إلى إي أو جيمس
١٢٣-١٤٣ منشستر ، (١٩٦٣).

- Wing. A study of the religious ideas of Sir Muhammad Iqbal.

Leiden (Studies in the History of Religion SV1), (1963).

جناح جبريل. دراسة في المثل الدينية عند سير محمد إقبال
ليدن (دراسات في تاريخ الأديان) / العدد السادس ، (١٩٦٣).

- Some glimpses of the religious life in Egypt during the later Mamluk period.

In: Isl St. 4, 353-392, (1965).

بعض النظرات الخاطفة على الحياة الدينية بمصر في الحقبة الأخيرة للمماليك.
مجلة: دراسات إسلامية / العدد الرابع ص ٣٥٣-٣٩٥ ، (١٩٦٥).

- Islam II. Historia. Religionum. Religions of the present.

Leiden, (1971).

الإسلام / جزء ثان: تاريخ أديان الأديان في الوقت الحاضر.
ليدن ، (١٩٧١).

- Die neue tschechische mit einem
die neusten tschechischen orientalistischen
Arbeiten.

In: WO 7, 154-162, (1973).

ترجمة القرآن (الكريم) الحديثة إلى اللغة التشيكية (مع نظرة على أحدث أعمال الاستشرق
التشيكية).

بمجلة عالم الشرق / العدد السابع ص ١٥٤-١٦٢ ، (١٩٧٣).

- In: Man and his salvation; studies in memory of S.G.F. Brandon, ed. by Eric J Sharpe and R. and John Hinnels, 221-242. Manchester, (1973).

وسيلة إسلامية حميمة للخلاص
بكتاب: رجل وخلاصة ؛ دراسات في الكتاب التذكاري لبراندون . نشره إريك جي شارب ،
٢٠٠ ، جون هيملز ص ٢٢١-٢٤٢ / منشستر ، (١٩٧٣).

- The ornament of the saints: the religious situation in Iran. in pre-Savid times In: IS 7, 88-111, (1974).

زينة القديسين: المواقف الدينية بـإيران
الدراسات الإيرانية بمجلة مجتمع الدراسات الإيرانية / لوس أنجلوس العدد السابع ٨٨-١١١ ،
(١٩٧٤).

- The meaning of prayer in Mowlana Jalaloddin work.

In: Afghanistan 27, 33-45, (1974).

دلالة الصلاة (للتضرع) في عمل مولانا جلال الدين البلخي.
بمجلة أفغانستان / العدد ٢٧ ص ٣٣-٤٥ ، (١٩٧٤).

- The celestial garden in Islam.

In: The Islamic garden, ed. by E.B. Macdougall and R. Ettinghausen, 11-39.

Washington (Dumbarton Oaks Colloquim on the History of Landscape Architecture IV), (1976).

في "الجنة في الإسلام" نشرها إي . ب. ماكجوجل ، ر. اتينهاوزن ١١-٣٩
واشنطن (دومبارتون أوكس ، حلقة نقاش عن تاريخ المناظر الطبيعية المعمارية
ج ٤ ، (١٩٧٦).

- Denn dein ist das Reich: Gebete aus dem Islam.

und mit einem Vorwort von Sergio

Kardinal Pignedoli. Freiburg, (1978).

صديقك الأحلي من العسل هو ملكوت الله (ترجمة حرة): صلوات عتد المسلمين اختصار
وترجمة مع مقدمة من سرجيو كاردينال بجنودولي . فرييبورج ، (١٩٧٨)

- Rumi: ich bin der wind und du bist das Feuer; Leben und Werke des grossen Mystikers. (1978).

الرومي: أنا الريح ولت النار ؛ حياة وأعمال الصوفي الكبير . ديسلدورف (١٩٧٨).

- A new Czech translation of the Qur'an. Some notes on the activities of Czech scholars in the field of Islamic studies.

In: St ISI 15, 171-176, (1978).

ترجمة تشيكية لمعاني القرآن . بعض الملحوظات عن نشاط العلماء التشيكي في حقل
الدراسات الإسلامية، في مجلة دراسات عن الإسلام . مجلة ربع سنوية تصدر عن المعهد
الإسلامي الهندي ، نيونلهي ، ١٩٦٤ (العدد ١٥ ص ١٧١-١٧٦ ، ١٩٧٨).

- Und Muhammad ist sein Prophet. Die Verehrung des Propheten in der islamischen (1981).

ومحمد رسول الله. تكريم النبي محمد (ص) في التدين الإسلامي ديسلدورف (١٩٨١).

- Islam in the Indian Subcontinent, Leiden, (1980).

الإسلام في شبه القارة الهندية ، (١٩٨٠) .

ثانياً: التصوف:

- Islamic Names ; Edinburg Univ., (1989).

أسماء إسلامية ، جامعة إدينبرج ، (١٩٨٩) .

- Zur Geschichte der mystischen Liebe im Islam .

In: Wo 1 (1947 . 52), 495-499, (1947).

تاريخ الحب الصوفي في الإسلام.

مجلة عالم الشرق: (١٩٤٧ ٥٢) ص ٤٩٥-٤٩٩ ، (١٩٤٧).

- Die Bildersprache Dschāleddīn Rūmī's. Walldorf
Hessen

(zur Sprach-und Kulturgeschichte des Orients
11), (1950)

فنية اللغة عند جلال الدين الرومي
دراسات عن لغة وثقافة الشرق ، (١٩٥٠) .

- Some aspects of mystical prayer in Islam.

In: WI 2, 112-125, (1952).

بعض سمات الصلاة (الابتهالات) الصوفية في الإسلام .

مجلة عالم الإسلام ، ص ١١٢-١٢٥ ، (١٩٥٢) .

- Studien zum Begriff der mystischen Liebe in der
Mystic. o. O., (1954).

دراسة عن دلالة العشق في التصوف الإسلامي المبكر

دون ذكر مكان النشر ، (١٩٥٤) .

- Ibn Khafif: an early representative of Sūfism.

In: JPHS 6. 147-173, (1958).

ابن خفيف: ممثلاً للصوفية المبكرة

مجلة المجتمع التاريخي للباكستان ، العدد ٦ ص ١٤٧-١٧٣ ، (١٩٥٨) .

- Rose und Nachtigall

In: Numen 5, 85-109, (1958).

الوردة والبلبل
نومن: العدد الخامس ص ٨٥-١٠٩ ، (١٩٥٨).

- The origin and early development of Šūfism.

In: JPHS 7, 55-67, (1959).

أصول التصوف وتطوره المبكر .
المجتمع التاريخي للإسلام ، (١٩٥٩).

- The martyr-mystic Hallāj in Sindhi folk-poetry.

Notes on a mystical symbol.

In: Nomen 9, 161-200, (1962).

الشهيد الصوفي الحلاج في الشعر الشعبي السندي . ملحوظات على رمز صوفي
في مجلة نومن ، العدد التاسع ص ١٦١-٢٠٠ ، (١٩٦٢) .

- Sufismus und Heiligen verehung im terlichen
. Eine Skizze.

In: FS W. Caskel, 274-289 Leiden, 1968

توفير الصوفية والأولياء في العصور الوسطى المتأخرة بمصر . رسم تخطيطي بالكتاب
التذكاري للمستشرق كاسل ، ١٩٦٨

- Al-Halladsch, der Gottesliebe. Leben und
Legende.

, rsetzt und eingeleitet. , 1968

الحلاج، شهيد العشق الإلهي . حياته والأساطير حوله
لخفكار، وترجمة ، وتقديم كولن ١٩٦٨ .

- Shāh Ināyat Shāhīd of Jhōk, a Sindhi mystic of the early
18th century.

In: Liber amicorum. Studies in honour of C.J. Blacker, 151-
170. Beidon (Studies in the history of Religions. Supplements to
Numen 17), (1969).

شاه عنايت شاهيد من جوك ، صوفي سندي في أوائل القرن الثامن عشر بالدراسات التي
قدمت على شرف بلاك ١٥١-١٧١ . بيدون (دراسات في تاريخ الأديان) ، (١٩٦٩) .

- Mirza Asadullah Ghalib, en occasion de su muerte.

In: Humbolt (Hamburg) 38, 99-105, (1969)

مرزا آسد الله غالب
هملت (هامبورج) ٣٨ ص ٩٩-١٠٥ ، (١٩٦٩) .

- Mir Dards Gedanken das von Mystik und Wort.

In: Festgabe deutscher Iranisten zur 2500 Jahrfeier Iran, hrsg. von W. Eilers, 117-132. Stuttgart, (1971).

أفكار مير داردز عن الصلة بين التصوف والكلمة .
بالكتاب التذكاري للمستشرقين الألمان (المختصين في الدراسات الإيرانية) بمناسبة الاحتفال
بمرور ٢٥٠٠ سنة على إيران. نشره إيلزر ص ١١٧-١٣٢ / شنتجارت ، (١٩٧١).

- Mirza Ghalib, Woge der Rose, Woge des Weines,
, (1971).

ميرزا غالب: غمرة الورد ، وغمرة الخمر
زبورخ ، (١٩٧١).

- The Sufi ideas of Shaykh Ahmad Sirhindi.

In: WI 14, 199-202, (1973).

الأفكار الصوفية عند الشيخ أحمد سرهندي
بمجلة عالم الإسلام والعدد الرابع عشر ص ١٩٩-٢٠٢ ، (١٩٧٣).

- Šāh Abdul - Latīfs Beschreibung des wahren Sufi.

In; FS. F. Meier, 263-284, Wiesbaden, (1974).

وصف شاه عبد اللطيف للصوفي الحق.
بالكتاب التذكاري للمستشرق فريتر ماير ص ٢٦٣-٢٨٤ ، (١٩٧٤).

- Zwei Abhandlungen zur Mystik und Magie des Islams von.
J.v. Hammer-Purgstall. Mit Einleitung und Anmerkungen
herausgegeben von A. Schimmel.

Wien (Akad. d. Wiss., Philols.-hist. Kl.
Sttzungsberichte, 293. Band, 4. Abh.), (1974).
مقالتان عن التصوف والمحر في الإسلام لجوزيف فون هامر - بورجشتال. مع مقدمة وتعليق
من أناماري شيميل.

فينا (الأكاديمية العلمية النمساوية / فلسفة تاريخ. تقرير جلسة ٢٩٣ ج ٤ ، (١٩٧٤).

- A spring day in Konya according to Jalāl ad-Dīn Rumī.

In: The scholar and the saint. ed. by P.Y. Chelkowski,
255-273. New York, (1975).

يوم من أيام الربيع في قونية وفقا لما جاء لدى جلال الدين الرومي .
للمعلم والعالم ، نشره ب.ي. كليشكوفسكي ص ٢٥٥-٢٧٣ . نيويورك ، (١٩٧٥).

- *Mystische Motive in der modernen islamischen Dichtung.*

In: *Weg in die Zukunft*. FS Anton Antweiller, 216-228.

Leiden (Studies in the history of religions 32), (1975).

المؤثرات الصوفية بالشعر الإسلامي الحديث.
نشر في "طريق إلى المستقبل". الكتاب التذكاري لانتون انتوير من ٢١٦-٢٢٨.
ليدن (دراسات في التاريخ والأديان ٣٢)، (١٩٧٥).

- *Pain and Grace: a study of two mystical writers of eighteenth-century Muslim India.*

Leiden (Studies in the history of religions. Supplements to Numen 36, (1976).

لم ورحمة: دراسة عن كاتبين صوفيين من مسلمي الهند بالقرن الثامن.
ليدن (دراسات في تاريخ الأديان. تكملة لnumen ٣٦)، (١٩٧٦).

- *Sufi literature. In Afghanistan 29, 76-87, (1976).*

أدب صوفي. مجلة أفغانستان / العدد ٢٩ ص ٧٦-٨٧.

- *Mystical Dimensions of Islam. Chapel Hill (1976).*

أبعاد صوفية في الإسلام. شابل هل ١٩٧٦.

- *As Through a Veil: Mystical Poetry in Islam. Neu York, (1982).*

كما لو كان من وراء (خلال) حجاب. شعر إسلامي. نيويورك، (١٩٨٢).

- *Das Mysterium der Zahl / f.c. Endres u.A. Schimmel,*

, (1984).

أسرار العدد / ف.س. اندرس، وألماري شيميل (١٩٨٤).

- *A Study of the works of Jalaloddin Rūmī, (1978).*

دراسة لأعمال جلال الدين الرومي (١٩٧٨).

- *Deciphering the Signs of God: A Phenomenological Approach to Islam, (1994).*

لكشف عن الإشارات الإلهية: محولة فينومينولوجية (ظاهريّة) لفهم الإسلام، (١٩٩٤)

- *Look! This is Love: Poems of Rūmī, (1994).*

نظّر ! هذا هو الحب: شعر الرومي ، (١٩٩٤).

- Make a Shield from Wisdom, (1995).

صنع من الحكمة درعاً ، (١٩٩٥).

كتب وفن:

- Muhammad Iqbal 1873-1938. The ascention of the poet.
In: WI 3, 145-157.

محمد إقبال ١٨٧٣-١٩٣٨ . صغود شاعر
مجلة عالم الإسلام / العدد الثالث ص ١٤٥-١٥٧.

- Sir Muhammad Iqbal: Das Buch der Ewigkeit. Aus dem Persischen (1957).

سير محمد إقبال: كتاب الخلود . ترجمة من الفارسية (إلى الأملية) ، ميونخ ، (١٩٥٧).

- Orientalische Dichtung in der von F.
(1963).

Hrsg. und eingeleitet von A. Schimmel, Bremen.

أشعار شرقية في ترجمة فريدرش ريكتر
نشرتها وقدمت لها أنماري شيميل / برلين (١٩٦٣).

- Muhammad Iqbal. Botschaft des Ostens (als Antwort auf Goethes West-Diwan). Aus dem pers. u.
eigeleitet von A. Schimmel. Wiesbaden, (1963).

محمد إقبال سفير الشرق (إجابة عما ورد بالديوان الشرقي للشاعر الغربي لجوته).
ترجمة (إلى الألمانية) من اللغة الفارسية وتقديم أنماري شيميل. فيسبادن ، (١٩٦٣).

- The symbolical language of Maulānā Jalāl ad-Dīn Rūmī
In: St ISI, 26-40, (1964).

اللغة الرمزية عند مولانا جلال الدين الرومي ، (١٩٦٤).

- Ein Frauenbildungsroman auf Sindi: Mirzā Qalīch Bēg's, Zīnat. (1964).

مجلة دراسات في الإسلام ص ٢٦-٤٠

In: Der Islam 39, 210-225

رواية باللغة السندية: مرزا قليش بك زينة
في مجلة الإسلام ٣٩ ، ٢١٠-٢٢٥

- Rumi, Galāl ad-Dīn. Aus dem Diwan. Gedichte tragen und eingeleitet von A. Schimmel. Stuttgart (Unesco Sammlung Werke-Asiatische Reihe), (1964).
رومي ، جلال الدين . مختارات من ديوانه . ترجمة قصائد وتقديم لها من أناماري شميل . شتتجارت (مجموعة اليونيسكو لأعمال نموذجية / السلسلة الآسيوية . (١٩٦٤).
- persischer Poesie (von Friedrich 1788-1866), und eingeleitet von A. Schimmel Wiesbaden, (1966).
ترجمات لشعر فارسي (من فريدرش ريكتر ١٧٨٨-١٨٦٦) اختارتها وقدمت لها أناماري شميل / فيسبادن ، (١٩٦٦).
- Aus den Gedichten Maulānā Dschlāluddīn Rūmīs.
In: FS. W. Eilers, 257-264. Wiesbaden, (1967).
من أشعار مولانا جلال الدين الرومي .
للكتاب التذكاري للمستشرق فيلرز ، (١٩٦٧).
- Zu einigen Versen Mevlana Dschelaladdin Rumis.
In: Anatolica I, 124-134. (1967).
عن بعض أشعار مولانا جلال الدين الرومي
في مجلة أناتوليا عدد ١ ص ١٢٤-١٣٤ ، (١٩٦٧).
- Sir Muhammad Iqbal-Dichter und Reformer
In: Bustan 8, 3-8, (1967).
سير محمد إقبال شاعر ومصلح
في مجلة البستان / عدد ٨ ص ٣-٨ ، (١٩٦٧).
- Samiha Ayverdi Eine Istanbuler Schriftstellerin.
In: FS O. Spies, 569-585, Wiesbaden, (1967).
سميحة أيفردي كاتبة من اسطنبول
في للكتاب التذكاري لبروفسر أوتوشيبس / فيسبادن ص ٥٦٩-٥٨٥ ، (١٩٦٧).
- Maulānā Jalāluddīn Rūmī's story on prayer (Mathnawi III 189).
In: -ye Jan Rypha, 125-131. Prague
قصة جلال الدين الرومي عن الصلاة (المثنوي ١٨٩/٣)
في يادنمي يان ريبيكي ص ١٢٥-١٣١ / براغ ، (١٩٦٧).

- Iranische Kunst in deutschen Museen, hrsg. von H. Erdmann unter verwendung des Nachlasses von Kurt Erdmann, mit einem vor wort von A. Schimmel. Wiesbaden, (1967).

الفن الإيراني بالمتاحف الألمانية

نشره هـ. أردمان باستخدام ما خلقه كورت أردمان مع مقدمة من لاثماري شيمل، (١٩٦٧).

- The eternal charm of classical Persian poetry.

In: Islam and the modern age1, 65-69. (1969).

السحر الأبدي للشعر الفارسي الكلاسيكي.

بمجلة الإسلام والعصر الحاضر ، العدد الأول ص ٦٥-٦٩ (١٩٦٩).

- Islamic calligraphy.

Leiden (Iconography of Religions), (22,1), (1970).

الخط الإسلامي

ليدن (أيقونات دينية ٢٢ ، ١) ، (١٩٧٠).

- Sindhi literature.

In: Mahfil 7, 71-80, (1971).

الأدب السندي

بمجلة المحفل / العدد السابع ص ٧١-٨٠ ، (١٩٧١).

- Aus dem Goldenen Becher.

Gedichte von 13.

Jahrhundert bis in unsere Zeit. Aus dem

von A.

Schimmel.

Istanbul (Başbakan) ik

Musteşar igi ,

Yay

inlari, (1973).

من "الكأس الذهبي". أشعار تركية من القرن الثالث عشر إلى العصر الحاضر. ترجمة من

التركية لاثماري شيمل

استنبول ، (١٩٧٣).

- Ein unbekanntes werk Josephs von Hammer-Purgstall

In: WI 15, 129-145, (1974).

عمل غير معروف لجوزيف فون هامبورجشتال

بمجلة عالم الإسلام العدد ١٥ ص ١٢٩-١٤٥

- Some reflections on Pakistani culture.

In: Scrutiny I, 3-6, (1974).

بعض الأفكار في الثقافة الباكستانية
بمجلة سكرويتي / العدد الأول ص ٣-٦ ، (١٩٧٤).

arabische Lyrik, eingeleitet u.
von A. Schimmel. /Basel (Literatisch-
Reihe des Instituts Auslandsbeziehungen,
Stuttgart, Bd. 17), (1975).

"أشعار غنائية عربية معاصرة". اختيار وتقديم وترجمة ألأماري شيمل. تيبينجن/بازل (السلسلة
الأدبية الفنية لمعهد العلاقات الخارجية ، شتتجارت جـ ١٧) ، (١٩٧٥).

- Poems. In: Edebiyat 1. 171-175, (1976).
أشعار . في أدبيات العدد الأول ص ١٧١-١٧٥ ، (١٩٧٦).

- Zur Verwendung des Halladj-Motivs in der indopersischen
Poesie.

In Melanges Henry Corbin, 425-447. Tehran, (1977).
عن استخدام مؤثرات (أو الحوافز) عند العلاج في الشعر الإيراني الهندي
في مزج هنري كوربين ص ٤٢٥-٤٤٧ / طهران ، (١٩٧٧).

- Some thoughts about future studies of Iqbal.

In: JSAMES 1, 75-81, (1977).
بعض الأفكار عن دراسات مستقبلية عن إقبال.
في جريدة دراسات جنوب آسيا والشرق الأوسط / العدد الأول ص ٧٥-٨١ ، (١٩٧٧).

- The triumphal sun. A study of the works of Jalāloddin Rumī.
London / The Hague, (1978).
الشمس الانتصارية. دراسة عن أعمال جلال الدين الرومي . لندن ، (١٩٧٨).

- Mirror of an Eastern moon (variations on Maulana Jala-
uddin thoughts) London / The Hague, (1978).
مرآة قمر شرقي (تغيرات في أفكار مولانا جلال الدين الرومي) ، لندن (١٩٧٨).

- Gedanken zu zwei des Mogulherrschers Šāh Ālam
Āftāb Roemer, 545-561, Wiesbaden /
Beirut (Beiruter Texte und Studien 22, (1979).

خواطر عن صورتين للحاكم المغولي شاه عالم الثاني آفتاب.
بالكتاب التذكاري للمستشرق ريمر ص ٥٤٥-٥٦١ فيمبدان / بيروت (نصوص ودراسات
بيروتية) ٢٢ ، (١٩٧٩).

- Hāfiz and his critics. In St Isl 16, 1-33, (1979).

حافظ ونقاد
بمجلة دراسات عن الإسلام. مجلة ربع سنوية تصدر عن معهد الدراسات الإسلامية بالهند.
نيودلهي ١٩٦٤ ، (١٩٧٩).

- aus Pakistan. Aus dem Sindhi und heraus
gegeben von A. Schimmel. (Die der
Welt literatur), (1979).

حكايات من الباكستان . ترجمتها عن السندي ونشرتها لئاماري شميل.
ديسلدورف (حكايات في الأدب العالمي) ، (١٩٧٩).

- Die Schriftarten und ihr Kalligraphischer Gebrauch.

In: GAPI, hrsg. von w. Fischer, 198-209. Wiesbaden,
(1984).

أنواع الخط واستخدامات فنونه.
كتاب أسس فقه اللغة العربية (ج ١ ، ٢) ص ١٩٨-٢٠٩ ، (١٩٨٤).

- A two coloured Brocade: The imagery of Persian Poetry,
(1992).

قطعتان (من القماش) الملون المذهب: أيقونة الشعر الفارسي ، (١٩٩٢).

مؤلفات تاريخية واجتماعية وفلسفية:

- Kalif und Kadi in atterlichen

In: WI 24, 1-128, (1948).

الخليفة والقاضي في مصر بالعصور الوسطى المتأخرة (رمنالة دكتوراه : ١٩٤٨)
مجلة عالم الإسلام / عدد ٢٤ ص ١-١٢٨ ، (١٩٤٨).

- Einzetzungsurkunden mamlukischer Emire,

In: Wo 1 (1947-52) 302-306, (1947).

وثائق تعيين أمراء المماليك.
مجلة عالم الشرق ١ (١٩٤٧-١٩٥٢) ص ٣٠٢-٣٠٦ ، (١٩٤٧).

- Ibn Chaldun.

Abschnitte aus. dem Mugaddima.

(Civitas Gentium, Schriften zur Soziologie u.
Kultur-philosophie. (1951).

ابن خلدون: فصول مختارة من المقدمة .
تيلينجن (نصوص مختارة عن علم الاجتماع وفلسفة الحضارة) ، (١٩٥١).

- Where East meets West. 1952
In: Pakistan Misc. (1952) 69-74
حيث يلتقي الشرق مع الغرب ١٩٥٢.
في جريدة باكستانية (١٩٥٢) ٦٩-٧٤
- Some notes on the cultural activity of the first Usbek rulers.
In: JPHS 8, 149-166, (1960).
بعض الملحوظات عن النشاط الثقافي (الحضاري) لحكام أوزبك الأوائل
مجلة المجتمع التاريخي الباكستاني / العدد الثامن ص ١٤٩-١٦٦ ، (١٩٦٠)
- Neue zur Volkskunde von Sind.
In: WI 9, 237-259, (1964).
إصدارات فلكلورية جديدة من السند.
مجلة عالم الإسلام / العدد التاسع ص ٢٣٧-٢٥٩.
- Pakistan, Ein Schloss mit tausend Toren, (1965).
الباكستان ، قصر ذو ألف بوابة ، زيورخ (١٩٦٥).
- Pakistan-eine Skizze,
In: Wo 4, 128-143, (1967).
باكستان رسم تخطيطي .
مجلة عالم الشرق / العدد الرابع ص ١٢٨-١٤٣ ، (١٩٦٧).
- Muhammad Iqbal as seen by an European historian of religion.
In: St Isl 5, 53-82, (1968).
محمد إقبال كما يراه أوروبي متخصص في تاريخ الأديان.
مجلة دراسات إسلامية / العدد الخامس ص ٥٣-٨٢ ، (١٩٦٨)
- Sind through the centuries. In: Der Islam 53, 120-123, (1976).
السند على مر العصور . مجلة الإسلام / عدد ٥٣ ص ١٢٠-١٢٣ ، (١٩٧٦).
- دراسات لغوية:
- Kleine arabische Sprachlehre (mit E. Harder u. A. Schimmel. Heidelberg (11. Auf 1.), (1968).
كتاب صغير لتعليم اللغة العربية (مع حل للتمرين) ألفه: هاردر، وشيميل
هايدلبرج (الطبعة الثانية) ، (١٩٦٨).

- German contributions to the study of Indo-Pakistani linguistics. Hamburg (Publications by the German-Pakistan Forum 5), (1981).

إسهامات ألمانية في الدراسات اللغوية الهندو-باكستانية.
هامبورج (نشریات تصدر عن المنتدى الألماني الباكستاني-العدد الخامس) ، (١٩٨١) .

الجوائز التي حصلت عليها:

1. Friedrich Preis der Stadt Schweinfurt, 1965
وهو وسام يحصل عليه من يعملون على ترابط الشعوب بأعمالهم الأدبية ، وكانت أول من حصل عليه.
2. das Bundesverdienstkreuz erster Klasse, 1981.
وسام الاستحقاق (مصاب) من الطبقة الأولى (من ألمانيا عام ١٩٨١).
3. der Friedenspreis des Deutschen Buchhandels, 1995.
وسام السلام من الناشرين الألمان ، ١٩٩٥ .
وهو وسام يعطى لشخصيات متميزة تخدم بالكتاب قضايا السلام والتفاهم بين البشر بمناسبة انعقاد معرض الكتاب الألماني بفراנקفورت قلدها لياه رئيس الجمهورية الألمانية.

أسماء الكتب التذكارية المختصرة:

- Caskel. W. = Festschrift Werner Caskel, zum 70. Geburtstag. 5. 1966, gewidmet von Freunden und . Hrsg. von E. . Leiden, 1968.
- Eilers, W. Festschrift Wilhelm Eilers. Document der internationalen Forschung zum 27. September 1966. Hrsg. von G. Wiessner. Wiesbaden, 1967.
- Meier, F. Islamiwissenschaftliche Abhandlungen, Fritz Meier zum 60. Geburtstag. Hrsg. von R. Gramlich. Wiesbaden, 1974.
- Roemer, H.R. = Die islamische Welt zwischen Mittelalter und Neuzeit. Festschrift H. R. Roemer zum 65. Geburtstag. Hrsg. von U. Haarmann und P. Bachmann. Wiesbaden / Beirut 1979, (Beiruter Texte und Studien 22).

- Rypka, J. = Charisteria orientalia praecipue ad Persiam pertinentia (Ioanne Rypka volumen sacrum). Ediderunt F. Tauer, v. , I. Hrbek. Praha, 1956.
- Spies, O. = Der Orient in der Forschung. Festschrift Otto Spies zum 5. April 1966. Hrg. von W. Hoenerbach. Wiesbaden, 1967.

أسماء المجلات والكتب المكتوبة بالختصار:

- GAP = Grundriss des arabischen Philollgie Bd. I u. II Wiesbaden.
- IC = Islamic Culture. The Hyderabad quarterly review Haiderabad 1927 f.f.
- JPHS = Journal of the Pakistan Historical Society 1923.
- JSAMES = Journal of South Asien and Middle Eastern Studies.
- MW = The Muslim World. Harrisburg. Pa. 1911 f.f. (47, 1957 f.f.).
- Is Iranian Studies. Journal of the society for Iranian Studies. Los Angeles u.a., 1968.
- ISI st = Islamic Studies. Journal of Islamic Research Institute, Pakistan (formerly: Central Institute of Islamic Research) Karachi u. Islamabad 1962.
- St ISI Studies in Islam. Quarterly journal of the Indian Institute of Islamic Studies. New Delhi, 1964.
- WI = Die Welt des Islam. Leiden.
- WO = Die Welt des Orients. wissenschaftliche zur Kunde des Morgenlandes, I. 1947 / 1952, f.f. 2. 1954 / 1959 f.f.

أسماء المؤتمرات المختصرة:

Atti dell. III = congresso di studi arabie islamic. Napoli 1967

إبن رشد مفكر من طراز فريد

١.د . عبد السلام نور الدين*

جمعت شخصية ابن رشد الأندلسي ماغات الفيلسوف الاسلامي في المشرق ، ليس فقط في التماسك العقلي ولكن أيضا في تكامل بناء الشخصية الانسانية ، فلم يكن ابن رشد متملقا يراهن على التزلف شأن أبي يعقوب يوسف الكندي أو أبي تمام - مع الخليفة العباسي المعتصم . وقد دفع ابن رشد ثمننا باهظا لترفعه عن الصفائر واعتزازه بذاته مع أبي يوسف يعقوب سلطان الموحدين ، بأن أحرقت كتبه ، ولعنته العامة ؛ وذاق مرارة التشرد والنفي . لم يستصغر ابن رشد نفسه يوما كما فعل الامام أبو حامد الغزالي حينما وصف نفسه في كتابه " فضائح الباطنية " بـ " الخادم المطيع " أمام الحضرة السلطانية نظام الملك السلجوقي التي أمرته أن يصنف كتابا يفضح فيه الباطنية وغوائل علمهم : (حتى خرجت الأوامر الشريفة المقدسة النبوية المستظهرية بالاشارة الى الخادم في تصنيف كتاب في الرد على الباطنية مشتمل على الكشف على بدعتهم وضلالهم فرأيت الامتثال حتما والمصارعة في الارتسام حزما - إذ قال الله تعالى وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم)

يبدو أن تقاليع طبائع الاستبداد في النولة الفارسية القديمة التي استقى منها الغزالي نموذجه المثالي للتقابل والتماثل بين الحضرة السلطانية والحضرة الإلهية قد صاغت الشخصية والعقلية على نحو ترفع فيه الحضرة السلطانية إلى مقام الألوهية لتكون على مشارف الإدراك كما قد بين الإمام الغزالي في كتابه " الجامع العوام عن علم الكلام . : (لكن ينبغي أن يعلم أن الحضرة الإلهية محيطة بكل مافي الوجود ، إذ ليس في الوجود إلا الله سبحانه وتعالى وأفعاله ، فالكل في الحضرة الإلهية ، كما أن جميع أرباب الولايات في المعسكر حتى الحراس هم من المعسكر ، فهم في جملة الحضرة السلطانية ، فنعلم أن كل مافي الوجود داخل في الحضرة الإلهية ، ولكن كما أن السلطان له في

ملكته قصر خاص وفي فناء قصره ميدان واسع وإذك الميدان عتبة يجتمع عليها جميع الرعايا ، ولا يمكنون من مجاوزة العتبة ولا إلى طرف الميدان والجلوس فيه على تفاوت في القرب والبعد بحسب مناصبهم .

إذا كان الغزالي قد قفز مباشرة من مطلوبه كما لخصه في " المنقذ من الضلال " أن تكون حقائق الأمور واضحة بذاتها إلى القموض المطلق بالقوص في الباطن . واستبعاد الحواس والعقل ، فقد لبث ابن رشد كل سنين عمره يدافع عن البرهان العقلي باعتبار إعمال العقل والوصول إلى البرهان واجبا شرعيا وقد فصل ذلك في فصل المقال.

وإذا كان ابن سينا إسماعيلي النحلة باطني السلوك ، يتأرجح أحيانا بين قدم العالم والظلق والفيض والإبداع وتارة أخرى بين الأفلاطونية والأرسطية ثم يجمع بين التصوف والعقلانية دون أن يمنعه كل ذلك أن يكون طبيبا تجريبيا بارعا عاشقا للعلم غارقا في اللذة الحسية بعد رفع الأكلام وجفاف الصحف ، فإن الشيخ الرئيس يبدو مهرجا إلى جانب ابن رشد المتمسك بالمنطق والسلوك والأخلاق الذي لا يتخلى عن الحصاد العقلاني للأرسطية وينبذ بعيدا الأفلاطونية المحدثة التي طبعته المشرق بميسمها الفنوصي واختلاطها بأشباح من النزعات المتضاربة وهي تتجول بين أروقة المسيحية في روما والاسكندرية ثم في هجرتها إلى فارس وعودتها مرة أخرى بعد تقمصها حلا ماثوية زرادشتية نورانية لتجد لها مقاما كبيرا في أروقة الفارابي وابن سينا وإخوان الصفاء ورث ابن رشد تقاليد القاضي الذي يجهد نفسه ككفيع مجتهد في الكشف عن مناهج الأدلة من أسرته ذات التاريخ العريق في مزاوله تلك المهنة بعد أن أضاف إليها علوم وتجارب الطب وآلة المنطق التي تعصم مراعاتها الذهن من السقوط في الضلال والتهاافت . لم يكن ابن رشد خامل الذكر في عصره أو بعيدا عن نبض مجتمعه وحركته أو بمنأى عن مجتمع الدولة التي لا تغفل أن تمسه أيضا بشئان يدها الماكرة والفاخرة ، فاستمد من الحكمة والطب والقضاء وفقه الدولة والحياة مالم يتوافر لغيره من فلاسفة الإسلام في بيئة جد جديدة ليست هي مريية الأمويين في الشام أو مدينة العباسيين في أرض السواد وفارس وبلاد ماوراء النهر والسند والهند أو أرض البربر في قرطاجنة ومراكش ولكن كل ذلك في أرض أخرى جمعت بين أوروبا المسيحية التي أدخلت إلى الإسلام وتجري فيها يتابعه من روافد وثنية ويهودية فشككت فكريا جديدا للعالم الجديد الذي تشكل فيما بعد.

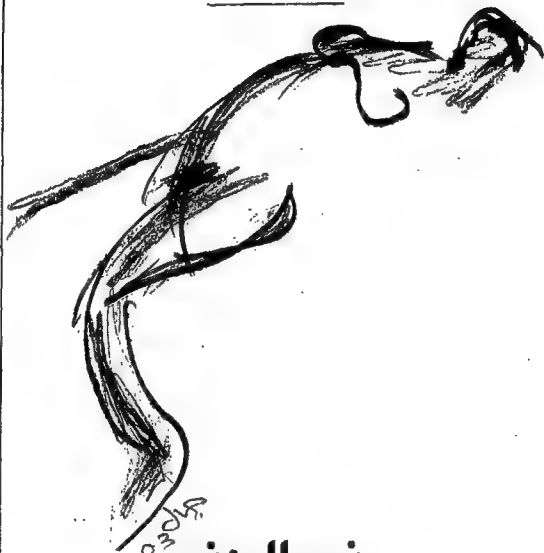
أن أسبانيا التي تعربت وأسلمت لم تتخل لحظة عن تراثها الأوروبي القديم ، وأن هبرت عنه بصيافات أخرى طبقا للحال والمقال ، وكان ابن باجة السرقطي وابن طفيل وابن رشد والقرطبي التلوير المشر لذلك اللقاح الفريد ، وفي ضوء ذلك علينا أن نتقهم ظلال ذلك الجدل النثير الذي نسب ابن رشد يهوديا ونصرانيا ومسلما متماسكا في ذات الوقت ثم أتى محيي الدين ابن عربي وأضاء بوحده وجوده ذلك الوجدان الأندلسي الذي تقبل كل ذلك في تجانس مدهش.



ایں اہل

Wheeler
63

الديوان الصغير



«فسى العنف»

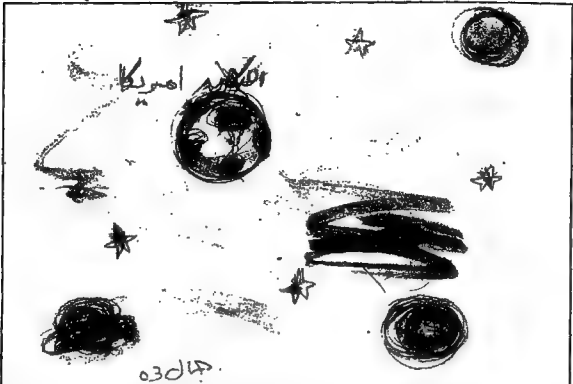
(فرانز فانون : المارتينيكي الأصل .. الجزائري النضال .. الإنسانى التفكير)

إعداد وتقديم : عبد الحميد البرنس

مثلث أحداث ١١ سبتمبر نقلة جوهريّة داخل مسار الفكر السياسي المعاصر ، فقد تبدّى ذلك جلياً ، وعلى نحو دال ، في تجاوز الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها الرئيسيين لدور هيئة الأمم المتحدة كإرث إنساني تم عبر تراكم طويل لفض المنازعات بين الدول ومناقشة وإدارة الإشكاليات ذات البعد العالمي ، إن لم نقل تسخير هذه الهيئة في مرحلة أولى أعقبت سقوط الاتحاد السوفيتي لأغراض استخباراتية وكغطاء لممارسة القهر ضد شعوب وأنظمة تعارض أو تقف على النقيض من الترجية للإنساني للرأسمالية ، بما أسهم ويسهم كما يدلنا ما يحدث الآن من غزو العراق في سيادة قانون الغاب أو عودة الشكل الكلاسيكي للاستعمار.

دخلياً ، اتخذت الإدارة الأمريكية الحالية ما حدث في ١١ سبتمبر مسوغاً لانتهاك الحريات الشخصية (التنصت على المكالمات الهاتفية دون إذن نيابي مثلاً) واعتقال الأفراد لمجرد انتمائهم العرقي أو الجغرافي (ملاحق شرق أوسطية) ناهيك عن الحق في المعرفة (قرار الرئيس الأمريكي بالتمتع الإعلامي على مجريات الحرب على العراق) - والذي بلغ ذروته بمذبحة الصحفيين في بغداد قبل سقوط المدينة ويرى مراقبون أنه ربما تكون مجزرة كبرى قد ارتكبت في غياب الإعلام والتعلم) استبعاد أفراد مسلمين أو من أصول عربية والوقوف دون استكمال دراستهم لبعض العلوم مثل الطيران) ، مع خلق حالة قصوى ودائمة من الاستنفار للرأي العام بتقيد بوجود خطر دائم يهدد حياته في كل لحظة (جريمة الجمرّة الخبيثة .. مثلاً آخر ، وهذا ملمح أساسي لحل التناقضات الداخلية داخل بنية أي نظام رأسمالي (مفهوم العدو الخارجي المتريص) وفي هذا الصدد ، نحن نعلم منذ ماركس أن مفهوم الحرب ظل يشكل على الدوام أحد الحلول الجذرية لتماسك النظام الرأسمالي وإنقاذه من أخطار الكساد ، إن النظام الرأسمالي هنا يبدو واقعياً مثل شخصية (دراكولا) ، أو مصاص الدماء ، إذ يتجدد نظام المجتمع الرأسمالي وتجرى الحيوية في مختلف وجوهه السياسية والاقتصادية والاجتماعية بمجرد أن تعمل الآلة العسكرية وتبدأ في الدوران خارجياً ، بدأت الولايات المتحدة الأمريكية بعد أحداث ١١ سبتمبر في تعميق هيمنتها على العالم من طريق تطبيق سياسة (الانتقام) ، وهي ذات السياسة التي يطلق عليها في بعض وائثر صنع القرار الأمريكي تعبير (القضاء المبكر على الإرهاب) أو الحرب الاستباقية وإذا كان ثمة إرهاب ، فإن الولايات المتحدة الأمريكية لا تعمل هنا سوى على مستوى (التنتاج) ، فمعظم الأحداث والوقائع خلال النصف الثاني من القرن العشرين تقوينا على نحو من الإنماء إلى أن النظام الرأسمالي ممثلاً في أحدث نماذجها (أمريكا) كان (السبب) الجوهري في نشوء موجات العنف في العالم . إن الولايات المتحدة الأمريكية للأسف الشديد لم تستوعب درس المادى عشر من سبتمبر جيداً : ما حدث كان صراعاً بين النظام الرأسمالي بين ما أنتجه هذا النظام نفسه (سواء من طريق دعم الأنظمة القمعية في دول العالم الثالث ، أو عن طريق تخريب الاقتصادات النامية بواسطة صندوق النقد والبنك الدوليين وبغيرهما من المؤسسات المالية ، أو عن طريق تخليق نخبة من الوكلاء وظيفتهم الأساسية تتمثل في ربط بلدانهم بالدورة الرأسمالية العالمية من موقع التخلف أو التبعية).

من جهة أخرى ، إذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية ، قد شرعت منذ سبعينيات القرن الماضي في السير وفق مبدأ هنري كيسينجر القائل إن على أمريكا أن تصنع الحدث لا أن تنتظر وقوعه ، ينبغي علينا كشعوب واقعة تحت هيمنة قوى داخلية وخارجية تحول يوماً بوم تحررنا الكامل وتقدمنا أن نعمل على صوغ استراتيجية تحرر لا تكون عرضة لما هو انفعالي أو أتى أو عارض ، نمتلك زمام المبادرة لا المقاومة ، نتلق من وضع (الفعل) لا وضع (رد



القول) ، سواء أكان ذلك عن طريق النقد لمختلف المضامين الفكرية والسياسية لأشكال حركات التحرر السابقة، أو عن طريق رد الاعتبار لأدبيات فكرية وسياسية تم استبعادها لأسباب أيديولوجية خاصة بطروفي ومؤسسات الحرب الباردة ولا تزال تمتلك الكثير من وهج الإلهام، أو عن طريق دراسة التغيرات الجوهرية التي طرأت على ضوء منجزات الثورة العلمية الثالثة ، وما إلى ذلك.

على ضوء هذه الخلفية ، تقدم خلال صفحات (البيان الصغير) نص الفصل الأول من كتاب فرانز فانون (مجنون الأرض) ، الذي يشكل عن حق إحدى علامات الفكر السياسي الحديث ، فافمية فانون تتجلى هنا في كون العنف السائد الآن على مستوى عالمي يتطلب تحليل بنياته ومضامينه ومواقفه التي أجاد فانون تحديد مختلف جوانب البعد النفسي والاجتماعية والسياسي والتاريخي لها على ضوء تفاعلات الواقع الجزائري خلال الحقبة الكولونيالية ، كما أن العنف قبل فانون ، وهذه حقيقة نقرها الباحثة الليبرالية الألمانية حنة أرندت في كتابها (في العنف) ، نادراً ما كان موضع تحليل أو دراسة ، على الرغم من الدور الذي لعبه العنف دائماً في شؤون البشر ، وهذا لا ينفي في الواقع حقيقة «أن هناك أدبيات وفيرة تبحث مسائل الحرب والعمليات العسكرية ، لكن كل هذه النصوص تهتم بأنواع العنف، وليس بالعنف نفسه» ، ومع كل ذلك ، تبقى الإشارة إلى أن تصورات فانون حول العنف ، لا تكتسب أهميتها من ذاتها المشروطة على المستويين التاريخي والاجتماعي ، بقدر ما تكتسب ذلك من طبيعة المنهج الجدلي الذي أنتجها ، والمنهج البعدي الذي يتعامل مع معطيات الواقع وفق مبدأ «الخصوصية التاريخية، ولا وفق رؤية مابوية مطلقة ، أو مفاهيم ومقولات «قبلية» ، فالثورة هي في خاتمة المطاف «ممارسة» ، والنظرية النقدية «التي تعجز عن التحول إلى ممارسة تصبح عقبة في وجه الممارسة الثورية» ، على حد تعبير جورج طرابيشي.

ع ١.

سواء ألقنا تحريراً وطنياً ، أم نهضة قومية ، أم انبعاثاً شعبياً ، أم اتحاداً بين الشعوب ، وكيف كانت العناوين المستعملة والمصطلحات الجديدة فإن محو الاستعمار إنما هو حدث عنيف دائماً . فإن محو الاستعمار ، على أى مستوى نرسمه : سواء أكان مستوى لقاء الأفراد بعضهم ببعض ، أم مستوى تسمية القوادى الرياضية بأسماء جديدة ، أم مستوى التشكيل الإنسانى الحفلات الكوكبتيل وأجهزة الشرطة ومجالس إدارة المصارف القومية أو الخاصة ، إنما هو إحلال «نوع» إنسانى محل «نوع» إنسانى آخر ، إحلالاً كلياً ، كاملاً ، مطلقاً ، لا مراحل انتقال . وفى وسعنا طبعاً أن نبين أيضاً انبثاق أمة جديدة ، وقيام دولة جديدة مع علاقاتها الدبلوماسية واتجاهها السياسى والاقتصادى ، ولكننى إنما اخترت أن أتحدث عن هذا النوع من المحو الذى يحدد فى البداية كل إزالة للاستعمار . والحق أن دليل النجاح إنما هو تبديل صورة المجتمع تبديلاً تاماً . وهذا التبديل يستمد خطورته الخارقة من أنه قد أريد إرادة ملحة شديدة . فإن ضرورة هذا التبديل قائمة فى وجدان وحياة الرجال والنساء المستعمرين على حالة فجأة جارفة قاهرة . ولكن احتمال هذا التبديل يعيشه أيضاً وجدان «نوع» آخر من الرجال والنساء ، هو نوع «المستعمرين» ، على صورة مستقبل مروع رهيب .

إن محو الاستعمار ، وهو يستهدف تغيير نظام العالم ، إنما هو ، كما ترون ، برنامج لقلب النظم قلباً مطلقاً . ولكنه لا يمكن أن يكون شمة عملية سحرية أو زلزلاً طبيعياً أو تفاهماً ودياً ، أى أنه لا يمكن أن يفهم ولا يمكن أن يعقل ، ولا يمكن أن يصبح واضحاً لنفسه ، إلا بمقدار ادراك الحركة الصانعة للتاريخ التى تهب له شكله ومضمونه . إن محو الاستعمار إنما هو نزاع بين قوتين متعارضتين أساساً ، قوتين تستمد كل منهما صفاتها الخاصة من ذلك التكوين الذى يفرزه الظرف الاستعمارى ويفنيه . إن التجابه الأول الذى تم بين هاتين القوتين إنما تم تحت شعار العنف ، كما أن تساكنتهما - أو قل استغلال المستعمر للمستعمر - إنما تلاحق بدعم قوى من الحراب والمذابح . إن المستعمر والمستعمر يعرف أحدهما الآخر من زمان طويل . والمستعمر حين يقول إنه يعرفهم ، هو على حق فيما يقول . فالمستعمر هو الذى صنع المستعمر وما يزال يصنعه . إن المستعمر يستمد حقيقته ، أى خيرات ، من النظام الاستعمارى .

ومحو الاستعمار لا يمكن أن يعبر عبيراً دون أن يلاحظه أحد ، لأنه يتناول الوجود ، لأنه يغير الوجود تغييراً أساسياً ، لأن أناساً مشاهدين يسحقهم أنهم ليس لهم ماهية ، يلقى محو الاستعمار هذا فيحلبهم أناساً فعالين ممتازين يدخلون تيار التاريخ دخلاً راسخاً . إن محو الاستعمار يبيت فى الوجود أيقاعاً خاصاً يجذب به الرجال الجدد ، ويحمل إلى الوجود لغة خاصة وإنسانية جديدة . إن محو الاستعمار لهو خالق رجال جدد حقاً . ولكن هذا الخلق لا يستمد مشروعيته من أية قوة فوق الطبيعة . إن المستعمر «الشيء» يصبح إنساناً بمقدار ما يحقق من عمل لتحرير ذاته .

ففى محور الاستعمار يجب إذن تغيير الوضع الاستعمارى تغييراً كاملاً ، ويمكن أن يقوم تعريفه ، إذا أردنا أن نصفه وصفاً دقيقاً ، فى هذه العبارة المعروفة : «الأواخر سيصبحون الأوائل» . إن محو الاستعمار تحقيق لهذه الجملة . ولذلك فإن كل محو للاستعمار هو من ناحية الوصف نجاح .

إن محو الاستعمار حين يعرض عارياً ، يكشف من خلال مساماته كلها عن رصاصات حمر وخنجر دامية . ذلك أنه إذا كان على الأواخر أن يصبحوا هم الأوائل . فإن هذا لا يمكن أن يتم إلا بعد قتال حاسم مميت يخوضه

الطرفان المتنازعان . إن هذه الإرادة الثابتة التي تريد أن تنتقل الأواخر إلى طليعة الصف ، وأن هذه الإرادة الثابتة التي تريد أن تنتقل الأواخر إلى طليعة الصف ، وأن تجعلهم يتسلقون «بسرعة مفرطة كما يقول بعضهم» الدرجات المعروفة التي يتألف منها مجتمع منظم ، هذه الإرادة لا يمكن أن تقتصر إلا إذا أُلقت في الميزان جميع الوسائل وميتها وسيلة العنف طبعاً .

إنك لا تستطيع أن تفكك نظام مجتمع من المجتمعات سهما يكن بدايتاً ، ببرنامجه كهذا البرنامج مما لم تعزم أمره منذ البداية ، أي منذ وضع هذا البرنامج نفسه ، على أن تحطم جميع العواجز التي ستقاضيها في طريقك والمستعمر الذي يقرر أن يحقق هذا البرنامج ، أن يكون له المحرك سهياً للعنف منذ زمن طويل لقد أدرك منذ ولادته إدراكاً واضحاً أن هذا العالم المضيق ، المزروع بأنواع المنع ، لا يمكن تبديله إلا بالعنف المطلق .

إن العالم الذي يسوده النظام الاستعماري هو عالم مقسم . ومن نافذة القول طبعاً ، على سعيد الوصف ، أن نذكر أن هناك مدناً للسكان الأصليين ومدناً للأوروبيين . إن هناك مدارس للسكان الأصليين ومدارس للأوروبيين ، كما أن من ناقل القول أن نذكر التمييز العنصري في جنوب أفريقيا . ومع ذلك فإننا حين ندخل إلى صميم هذا التقسيم ، نجني فائدة واحدة على الأقل ، هي أننا نستطيع عندئذ أن نبرز بعض خطوط القوى التي يضمها . إن دراستنا للعالم الاستعماري وتنظيمه وترتيبه الجغرافي ستتيح لنا أن نعين خطوط التداخل التي ستبدأ بها إعادة تنظيم المجتمع الذي تخلص من الاستعمار .

إن العالم المستعمر منقسم إلى عالمين . والخط القاسم ، أو الحدود الفاصلة ، إنما هي التكتلات ومراكز الشرطة والشرطي في المستعمرات هما المرجع القيم الشرعي الذي يستطيع المستعمر أن يرجع إليه وأن يخاطبه وهما الجهة التي ينطق بلسان المستعمر ونظام الاضطهاد . إننا نرى في المجتمعات التي تنتمي إلى الطراز الرأسمالي ، إن التعليم ، سواء أكان دينياً أم علمانياً . وتكوين المتعكسات الأخلاقية التي يأسسها الإبناء عن الآباء ، بالشرف المثالي الذي يستند إلى عمال يمنحون الأوسمة بعد خمسين عاماً أنفقوها في القيام بخدمات طليعية مستقيمة ، وتشجيع حب الاتزان والتعقل ، هذه الأشكال الجمالية لاحترام النظام القائم تخلق حول المستغل جواً من الخضوع والامتثال يخفقان فيه قوى الأمن تخفيفاً كبيراً . إننا نرى في البلاد الرأسمالية طائفة كبيرة من أساتذة الأخلاق والموجهين ، والمصلحين ، تفق حائلاً بين المستغل والسلطة الحاكمة . أما في المناطق المستعمرة فإن الشرطي والشرطي بحضورها المباشر وتدخلاتها السريعة الكثيرة ، يظللان على اتصال بالمستعمر وينصحا به بالعسا أو بالعداء المحركة ، أن لا يتحرك . وهكذا ترون أن وسيط السلطة الحاكمة يستعمل هنا لغة هي عنف صرف . إن الوسيط لا يخفف هنا الاضطهاد ولا يسدل على السيطرة حجاباً . أنه يعرضهما ، أنه يظهرهما . إن الوسيط يحمل العنف هنا إلى بيوت المستعمر وإلى ألبنته .

والمنطقة التي يسكنها المستعمرون لا تكمل المنطقة التي يسكنها المستعمرون . إن هاتين المنطقتين تتعارضان ، ولكن لا في سبيل وحدة أهلي . إنهما تخضعان لمنطق أرسطي صرف ، إنهما تخضعان لبدأ التناهي المتبادل ، فلا سبيل إلى مصالحة : إن أحد الطرفين زائد يجب أن يزول . إن مدينة المستعمر «المستوطن» مدينة صلبة مبنية بالحجر والحديد ، مدينة أنوارها ساطعة وشوارعها معبدة بالأسفلت ، وصناديق القمامة فيها ما تنفك تبلغ نقابات ضرفها الآخرون ، ولا أروها يوماً ، ولا خلوماً بها يوماً . والمستعمر لا ترى قماماء عاريتين قط ، اللهم إلا على شواطئ

البحر ، ولكن الآخرين لا يمكن أن يقتربوا منها اقترابا كافيا ، فثمان تحميها أحذية متينة ، مع أن شوارع مدينتها نظيفة ، ملابس ، لا تقوب فيها ولا حمى.

أما مدينة المستعمر ، أو مدينة السكان الأصليين ، أما القرية الزنجية أما بلدة الأماي ، أما الحى الذى يحظر على الأوربيين أن يتجولوا فيه ، فهو مكان سيئ السمعة يسكنه أناس سيئو السمعة فيه يولد المرء أين كان وكيف كان . فيه يموت المرء أين كان ، ويلى شئ كان . هو عالم بعد فواصل ، الناس يتكدسون فيه بعضهم فوق بعض ، والاكواخ تتكدس فيه بعضها فوق بعض . إن مدينة المستعمر مدينة جائحة ، جائحة إلى الخبز ، واللحم ، وإلى الأحنية ، وإلى اللحم ، وإلى النور . مدينة المستعمر مدينة جائحة ، مدينة راکمة ، مدينة متدحرجة فى الوحل . إنها مدينة زنوج مدينة عرب . والنظرة التى يلقونها المستعمر على مدينة المستعمر هي نظرة شهوة هي نظرة حسد . إن المستعمر يحمل بالتملك ، بجميع أنواع التملك : يكل على المائدة التى يكل عليها المستعمر ، أن ينام حسود والمستعمر لا يجهل هذا ، فهو حين يلاحظ نظرة المستعمر خلسة ، يقول فى مرارة «إنهم يريدون أن يحتلوا مكاننا» هذا صحيح : ما من مستعمر الا ويحمل مرة فى اليوم على الأقل ، أن يأخذ مكان المستعمر.

هذا العالم المقسم ، هذا العالم المقسم قسمين ، يسكنه نوعان مختلفان والطابع الخاص الذى يطبع النظام الاستعماري ، هو أن الوقائع الاقتصادية هو أن الفروق الاقتصادية والتفاوت الكبير فى طراز المعيشة ، لا تستطيع أن تحجب الوقائع الإنسانية حين نترك النظام الاستعماري فى واقعه المباشر ، نلاحظ أن ما يقسم العالم إنما هو أولا انتساب المرء أو عدم انتسابه إلى نوع معين ، إلى عرق معين . إن البنيان التحتي الاقتصادي هو المستعمرات بنيان فوقى أيضا . السبب هنا نتيجة : المرء غنى لأنه أبيض وأبيض لأنه غنى . لذلك كان على التحليلات الماركسية أن تخفف من حده قليلا حين تعالج مشكلة المستعمرات وحتى مفهوم المجتمع السابق الرأسمالية ، الذى أجاد ماركس دراسته ، يتطلب هنا إعادة التفكير فيه ماهية العبد غير ماهية الفارس ، ولكن لابد من الاستناد إلى الحق الإلهي لإضفاء صفة الشرعية على هذا الفرق القائم ، إن الأجنبي فى المستعمرات قد جاء من مكان آخر ، وفرض نفسه بدافعه وآلاته فالمستعمر يظل أجنبيا رغم نجاحه فى التطويع ورغم التملك الذى حققه لنفسه . إن ما يميزه الطبقة الماكمة أولا وقبل كل شئ ليس هو المصانع ولا الأملاك ولا الرصيد فى البنك ، وإنما النوع الحاكم هو أولا وقبل كل شئ ، والنوع الذى جاء من مكان آخر ، النوع الذى لا يشبه السكان الأصليين هو نوع «الآخرين».

والعنف الذى سيطر على ترتيب العالم الاستعماري والذى عمل بلا كلل على تعطيم صور الحياة الاجتماعية لدى السكان الأصليين ، يخرب بلا قيود طراز الاقتصاد ، وأشكال المظهر ، والملبس ، سيطلب به المستعمر وسيؤلاه ، فى اللحظة التى يقرر فيها أن يكون هو التاريخ أصلا ، فإذا الجمهور للمستعمر يهوى على هذه المدن المنوعة عنه . إن تعطيم العالم الاستعماري هو بعد الآن صورة واضحة المعالم بيئة السمات للعمل الذى يجب على المستعمر أن يقوم به ، صورة يفهمها كل الفهم كل فرد من الأفراد الذين يتألف منهم الشعب المستعمر ، ويستطيع أن يستعيد ما ثم يستعيد ما مرة بعد مرة وتعطيم العالم الاستعماري لا يعنى أنه سيحافظ على ممرات بين المنطقتين ، بعد إزالة الحدود التى تفصل أحدهما عن الأخرى .

إن تعطيم العالم الاستعماري لا يعنى إلا شيئا واحدا هو إزالة إحدى هاتين المنطقتين فإما لنفها فى أعماق أعماق الأرض ، وإما طردها من البلاد.

وتغيير المستعمر للعالم الاستعماري ليس معركة عقلية بين وجهتي نظر ليس خطابا في المساواة بين البشر ، وإنما هو تأكيد عنيف لأصالة تفرض مطلقة . إن العالم الاستعماري عالم ثنائي ، المستعمر لا يكتفى بأن يحدد مجال المستعمر ، باستعمال القوة المادية بأي بواسطة شرطته وبركه ، وإنما هو يجعل من المستعمر روح الشر وخلصته ، كانه يدل بذلك على أن الاستغلال الاستعماري كلى شامله ، إنهم لا يكتفون بأن يصفوا المجتمع المستعمر بأنه خال من القيم . إن المستعمر لا يكتفى بالقول إن القيم قد فزحت عن المجتمع للمستعمر ، أو أنها لم توجد فيه يوما . وإنما هو يعلن أن السكان الأصليين لا سبيل لنفاذ الأخلاق إلى أنفسهم ، وإن القيم لا وجود لها عندهم بل إنهم انكار للقيم ، أو قل إنهم أعداء للقيم فالمستعمر بهذا المعنى هو الشر المطلق . إنه عنصر متلف يحطم كل ما يقاربه ، عنصر مخرب يشوه كل ماله صلة بالجمال أو الأخلاق ، إنه مستودع قوى شيطانية ، إنه أداة لقوى عمياء أداة لا وعي لها ولا سبيل إلى إصلاحها ، وهذا مسيو ماير يقول جادا في الجمعية الوطنية الفرنسية : إن علينا أن لا نلوث الجمهورية بانخال الشعب الجزائري إليها . ذلك أن القيم تتسم وتكسد على نحو لا يمكن إصلاحه متى جعلناها تحتك بالشعب المستعمر . إن عادات المستعمر وتقاليده وخرافات ، خاصة خرافاته على بعينها علامة هذا الانحطاط وهذا الفساد القائم في تكوينه ذاته . وإنك يجب أن تضع على مستوى واحد مييدات الحشرات التي تنقل الأمراض والديانة المسيحية التي تحارب الهرطقات والغرائز والشر في مهدها . إن التقدم في القضاء على العمى الصغراء والتقدم في نشر دين الانجيل أمران متشابهان . ولكن البلاغات المظفرة التي تنثرها الإرساليات التبشيرية تدلنا على أن خمائر الضياع الملتبقة في جسم الشعب المستعمر هي على جانب كبير من القوة . وحديثنا هنا عن الديانة المسيحية . ولا حق لأحد أن يدهش من ذلك . إن الكنيسة هي في المستعمرات كنيسة بيض . كنيسة أجنبية . إنها تدعو الإنسان المستعمر إلى طريق الله ، وإنما تدعوه إلى طريق الإنسان الأبيض . إلى طريق السيد المستط ، إلى طريق المضطهد الغاشم . وأنتم تعلمون أن في تاريخ اليعتات التبشيرية هذا كثيرا من المكلفين وقليل من المختارين . وتمشى هذه الثنائية أحيانا إلى أقصى منطقتها ، فتجرد المستعمر من إنسانيته ، حتى لتعد حيوانا . انظر إلى اللغة التي يتكلمها المستعمر حين يتكلم عن المستعمر ، تجد أنها اللغة المستعملة في وصف الحيوانات : إنهم يستعملون هذه التعابير : زحف العرق الأصفر ، أرواث المدينة الأصلية قطعان الأهالي ، تفريخ السكان ، تنمل الجماهير ، إلخ . إن المستعمر حين يريد أن يحسن الوصف وأن يجد الكلمة المناسبة ، يرجع دائما إلى الألفاظ المستعملة في وصف الميوان . والأوروبي قلما يلبث على هذه الألفاظ المشتعلة على استعارات . ولكن المستعمر الذي يدرك غرض المستعمر ، يعرف فوراً ما انصرف إليه ذهن صاحبه . وهذا بعض ما يجرى على لسان المستعمر من مصطلحات : هؤلاء السكان الذين يبدون على الأرض ، هذه الجماهير المستهترقة ، هذه الوجوه التي فر منها كل معنى إنساني ، هذه الأجسام المترهلة التي لا تشبه شيئا من الأشياء ، هذا القطيع الذي لا رأس له ولا ذنب هؤلاء الأطفال الذين لا يبدو أن لهم أهلا ، هذا الكسل المستلق تحت الشمس ، هذه الحياة التي تشبه حياة النباتات الخ.. ولقد تكلم نجول عن: الجموع الصغراء ، وتكلم مسيو موريك عن الكتل السوداء والسمرء والصغراء التي تهم أن تنتفع أواجهها . إن المستعمر يعرف هذا كله ، ويضبط كلما اكتشفت نفسه حيوانا في أقوال الآخر . ذلك أنه يعرف أنه ليس بحيوان . وهو في الوقت الذي يدرك فيه أنه إنسان ، يأخذ يشهد أسلحته ليحقق انتصار إنسانيته . ومتى أخذ المستعمر يرسخ أقدامه على قواعد ، ويقلق المستعمر ، (أفندي) إليه رجلا أخيرا يحدثونه في

مؤتمرات الثقافة» عن خصائص القيم الغربية وعن غناها . ولكن كلما دار الحديث على القيم الغربية حدث لدى المستعمر نوع من التصلب والتشنج العضلي . إنهم في فترة التحرر من الاستعمار يناشدون عقل المستعمرين ، ويعرضون عليهم قيما أكيدة، ويشرحون لهم في كثير من الأفاضلة أن التحرر من الاستعمار يجب ألا يعنى التقهقر إلى وراء ، وأن عليهم أن يعتمدوا على قيم مجرية وطيدة راسخة غير أن ما يحدث هو أن المستعمر حين يسمع خطابا عن الثقافة الغربية، يفرغ خنجره أو يلمسه في مكانه ليتأكد من وجوده . ذلك أن العنف الذي كفل بتفوق قيم البيض ، وأن العدوان الذي لايس المركة الظافرة التي خاضتها هذه القيم من أنماط الحياة والفكر الخاصة بالمستعمرين ، يجعلان المستعمر يسخر حين يتحدث أحد أمامه عن هذه القيم . إن المستعمر لا يتوقف أثناء فترة الاستعمار عن عمله في إنهالك المستعمر وتطحيمة ، إلا إذا اعترف له هذا بتفوق قيم البيض اعترافا صريحا واضحا . وفي فترة التخلص من الاستعمار تسخر الجماهير المستعمرة من هذه القيم ذاتها ، بل تهينها وتبصقها بصقا . وهذه الظاهرة تكون في العادة مقننة ، ذلك أن بعض المثقفين قد قاموا ، أثناء فترة الاستعمار ، بحوار مع برجوازية البلاد الاستعمارية لقد كان الاستعماريون لا يرون أهل البلاد المستعمرة إلا كتلة غير متميزة والشخصيات القليلة التي أتبع للبرجوازيين الاستعماريين أن يعرفوها من أهل البلاد لم تؤثر تأثيرا كافيا في تلك النظرة المباشرة لتحملهم على تعديلها . أما فترة التحرر من الاستعمار فإن البرجوازية الاستعمارية تسعى في كثير من الحماسة المحمومة إلى عقد صلات بالنبذة المثقلة ومع تلك النخبة المثقفة انما شرعوا في ذلك الحوار حول القيم . إن البرجوازية الاستعمارية ، حين تدرك عجزها عن الاستمرار في السيطرة على البلاد المستعمرة ، تقدر أن تتخوض معركة خلفية في ميدان الثقافة ، والتكتيك . وما إلى ذلك ولكن الأمر الذي يجب ألا يغيب عن البال هو أن السواد الأعظم من الشعوب المستعمرة لا يمكن أن تنفذ إليه هذه المشكلات الخلقية الأساسية عند الشعب المستعمر ، إنما هي الأرض . لأنها هي القيمة المحسوسة الملموسة ، الأرض التي تكفل الضيق والتي تكفل الكرامة طبعاً ولكن الكرامة التي تكفلها لا شأن لها بكرامة الشخصية الإنسانية التي يتحدث عنها الاستعماريون . إن الشعب المستعمر لم يسمع يوماً بهذه الشخصية الإنسانية الخيالية وما وراءه على أرضه . بل علم عنه هو أنه يعتقل لغير ذنب جناه ، وأنه يضرب وأنه يجرع ، أنه لم ير في يوم من الأيام استاذاً من أساتذة الأخلاق ، ولا رجلاً من رجال الدين المسيحي ، يأتي لينتقل عنه اللطمات ، أو ليمطيه قسماً من خبزه.. الأخلاقية عند المستعمر هي أن يتخلص من غطرسة المستعمر ، هي أن يحمل حنقه الضامع ، أي أن يطرده من الميدان طرداً كاملاً . إن المبدأ القائل بأن البشر جميعاً متساوون سيتحقق في المستعمرات متى اعتبر المستعمر أنه ند المستعمر ، ومتى خطا خطوة أخرى فقرر أن يقتل في سبيل أن يكون أكثر من المستعمر وما هو ذا قرر أن يحل محل المستعمر ، أن يأخذ مكانه ، يوزك ترون عالماً برعته ينهار ، عالماً مايداه ومعنوا . إن المثقف الذي تبع الاستعماري في سلام في عالم جديد ، ولكن الأمر الذي يعنى عنه ، لأن الروح الاستعمارية قد تغلغلته فيه مع طرائقها في التفكير ، هو أن المستعمر لن يمه البقاء ولا التعايش السلمي متى زال الوضع الاستعماري . ليس مصادفة أن الأقلية الأوربية التي تسمى «ليبرالية» قد أطلقت رأياً حتى قبل أن تبدأ المفاوضات بين الحكومة الجزائرية والحكومة الفرنسية ، فقالت إنها تطالب بأن تكون لها جنسيتان . إنك حين تنتظر إلى الأمور على المستوى المجرد تفرض على المستعمر المستوطن أن يشب في الجهول وثبة محسوسة . يوجب أن نعترف بأن المستعمر المستوطن يعلم حق العلم بأنه ما من أقوال طنانة رنانة يمكن أن تقوم مقام الواقع.

يكشف المستعمر إذن أن حياته وتنفسه وخفقات قلبه لا تختلف عن حياة المستعمر وعن تنفسه وعن ضربات قلبه . ويكتشف أن جلد المستعمر ليس خيرا من جلد رجل من السكان الأصليين . ويحدث هذا الاكتشاف مرة أساسية في العالم . إن كل ما يحس به المستعمر من ثقة جديدة ثورية إنما ينبع من هذا : إذا كان لحياتي من القيمة مثل ما لحياة المستعمر ، فإن تخيفتي يعد الآن نظيره ، لن تسمرنى في مكاني لن يجمنى صوتي لن اضطرب أمامه لن أعيا به لن يريكنى وجوده ، بل إننى منذ الآن أعد له من الكائن ما يحطه في القريب لا يجد لنفسه مخرجاً غير الهرب .

فلما أن الوضع الاستعماري يتميز بأنه يفرض على العالم انقساماً ثنائياً والتحرر من الاستعمار يوحد هذا العالم ، إذ يخلصه من فقدان التجانس بقرار جنري ، يوحد على أساس الأمة وعلى أساس العرق أحيانا . إنكم تعرفون تلك الكلمة القوية التي قالها الوطنيون السنغاليون مشيرين إلى مناورات رئيسهم سنغور : «لقد طلبنا أن تصبح الوظائف للأفريقيين بها» هو سنغور يجعل الأفريقيين الأفريقيين معنى هذا أن المستعمر قادر على أن يدرك ادراكاً مباشراً مطلقاً هل تحقق التخلص من الاستعمار أم لا : فالحد الأدنى المطلوب هو أن يصبح الأواخر هم الأوائل .

ولكن المثقف المستعمر يدخل على هذا المطلب بعض التعديلات ، ولا يعوزه أن يخترع لهذه التعديلات ما يسوقها ويبررها ، فيتكلم عن الاستعانة بموظفين إداريين ، وموظفين فنيين وبأخصائيين غير أن المستعمر يترك أن هذه التمرعات إن هي إلا مناورات تخريبية وليس نادراً أن تسمع من يقول هنا وهناك : «ما فائدة الاستقلال إذن؟» .

في المناطق المستعمرة التي شب فيها فضال حقيقي من أجل التحرر من الاستعمار ، في المناطق التي سال فيها دم الشعب ، في المناطق التي أتاح فيها طول المرحلة المسلحة للمثقفين أن يعودوا إلى القواعد الشعبية يشاهد استئصالاً حقيقياً للأفكار التي استخدمها هؤلاء المثقفون من الأوساط البرجوازية الاستعمارية : إن البرجوازية الاستعمارية قد استطاعت في حوارها الفرجسي مع نفسها ، وبواسطة رجالها الجامعيين ، أن تفرس في أعماق فكر المستعمر أن الماهيات تبقى خالدة رغم جميع الأخطاء التي تنسب إلى البشر ، وهم يعنون الماهيات الغريبة طبعاً وكان المستعمر يسلم بهذه الأفكار فكان حارساً يقظاً مكلفاً بالدفاع عن الثقافة الاغريقية اللاتينية أصبح يقف في ثنية من ثنائه عقله . أما أثناء الكفاح من أجل التحرر في اللحظة التي يسترد فيها للمستعمر اتصاله بشعبه ، فإن هذا الحارس المصطنع يتهشم ، فإذا جميع القيم التي تسمى قيم البحر الأبيض المتوسط التي تنادى بانتصار الشخصية الإنسانية ، وتدمر إلى الوضوح والجمال ، تصبح دمي لا حياة فيها ولا لون ، وإذا جميع تلك الغضب تبدو تركيبات ألفاظ ميتة . إن هذه القيم التي كان يلوح أنها تسمى بالنفس يتضح الآن أنها لا هائدة منها أو لا جدوى فيها لأنها لا تصل اتصالاً مباشراً بالمحركة المحسوسة التي يفوضها الشعب .

والفردية تأتي في طليعة هذه القيم لقد أخذ المثقف المستعمر عن أسانته أن على الفرد أن يؤكد ذاته لقد غرست البرجوازية الاستعمارية في ذهن المستعمر أن المجتمع مؤلف من أفراد لكل منهم ذاتيته الخاصة ، وأن يغوص في شعبه أثناء فترة الكفاح من أجل التحرير يدرك فساد هذه النظرية ، بل إن أشكال تنظيم الكفاح ستزوده بلغة جديدة . إن كلمات الأغ والأخت والرفيق كلمات نبنتها البرجوازية الاستعمارية غالاغ عندما هو محظفة النقود ، والرفيق عندما هو الصفة الرابعة . وهكذا يشهد المثقف المستعمر فناء جميع أصنافه احتراقاً بالنار : الأناثية

والانتقاد المتكبر والغباء الفر الذي يحمل صاحبه على أن يريد أن يكون له القول الفصل وسيكتشف هذا المثقف المستعمر الذي خربته الثقافة الاستعمارية ، سيكتشف أيضا أن المجالس التي تشكل في القرى قوة كبيرة. وأن اللجان التي تتألف من أفراد الشعب متانة هائلة. وأن الاجتماعات التي تعقد للى أو للخلية خصوية لغرضية كل فرد من الأفراد لن تكون عندئذ الا قضية جميع الأفراد ، لأنهم أما أن يكتشفهم جنود الاستعمار جميعا ، فيقتلهم جميعا ، وأما أن ينجوا جميعا ، إم «نجاح الفرد بنفسه» وهو شكل كافر من أشكال السلامة على في الميدان أمر مرفوض. ويكثر الناس منذ زمن من الحديث عن النقد الذاتي ، فهل عرفوا أولا أن هذا نظام «أفريقي» إن التقاليد سواء في اجتماعات «الجماعة» بأفريقيا الشمالية أو في الاجتماعات التي تعقد بأفريقيا الغربية تتوجب أن تقض النزعات التي تقوم في قرية من القرى على رؤوس الاشهاد وهذا نقد ذاتي جماعي طبعيا ، ولكن على شيء من المرح ، لأن جميع الناس يكونون بعيدين عن التوتر ولأنهم يريدون في آخر الأمر أشياء واحدة. إن المثقف ليهجر الحساب والسكوت والصلف والأفكار المخيبة بالأراء المتخفية والنشر. إن المثقف ليهجر هذا كله كلما غاص في الشعب ومن الحق أن نقول إن الجماعة تنفر من ذلك نفسه ، فتخلق ضوفا الخاص وتفكيرها الخاص.

ولكن يحدث أن تتم تصفية الاستعمار في مناطق لم يهزمها الكفاح التحرري هذا كافي. فإذا نحن نصادف هؤلاء المثقفين أنفسهم الذين يتصفون بالبراعة والمكر والصدق في تحقيق أغراضهم الشخصية ، وإذا نحن نجد فيهم عين أنماط السلوك وأشكال التفكير التي التقطوها من معاشرتهم للبرجوازية الاستعمارية ، لقد كانوا للاستعمار أبناء المذللين يوم الآن للسلطة أينما المذلون أيضا ، ينهبون الموارد الوطنية نهبا ، ويندفعون إلى الإثراء بالصفقات والسرقات المشروعة اندفاعا لا يعرف الرحمة من طريق الاستيراد والتصدير والشركات المغلفة بمضاريات البورصة والرشوة على أكتاف البؤس الذي أصبح الآن وطنيا . إنهم يطالبون في إلحاح أن تكون الأعمال التجارية في أيدي أبناء الأمة وحدهم ، أي أن تحصر الأسواق والفرص المئوية في أيدي الأمة وحدهم . ومعنى ذلك عندهم أن تحصر سرقة الأمة في أيدي الأمة. ولا شك أن نجاح أساليبهم الماكرة سرعانا ما يثير غضب الشعب وحنقه ، أثناء فترة القحط الوطني هذه ، أثناء ما يسمى بفترة التفتش. ذلك أن هذا الشعب البائس الذي نال استغلاله في الظروف اللاريقية والدولية الراهنة ، يسير نحو الوعي الاجتماعي بخطى حثيثة. وإن تلبث النفوس الصغيرة أن تترك هذه الحقيقة في وقت قريب.

لقد كان على المستعمر ، من أجل أن يستطيع فهم ثقافة مضطهدة وأن يفهم في رحابها ، كان عليه أن يقدم ضمانات ومن بين هذه الضمانات تبنى أشكال التفكير الخاصة بالبرجوازية الاستعمارية . نلاحظ هذا في عجز المثقف المستعمر من المحاورة ، لأنه لا يستطيع أن يتجرد عن ماهيته أزاء الموضوع أو الفكرة. أما حين يناضل في صفوف الشعب فإنه لا ينفك ينتقل من دهشة إلى دهشة . أن ما يراه من صدق الشعب وشفرة يسقط من يده والخطر الذي يتربص به عنيد أنما هو الاتساق الكامل. فإذا هو لا يزيد على أن يشي على كل جملة يقولها الشعب. وإذا كان جملة يقولها الشعب تصير في نفسه إلى حكمة لا يأتيها الباطل. على أن الفلاح المتعطل والجائع لا يدعن الحقيقة. إنهم لا يرضون أنهم الحقيقة ، لأنهم الحقيقة في وجودهم ذاته.

إن المثقف يتصرف في هذه الفترة تصرف رجل انتهازي رخيص والحق أن مناوراته لم تنقطع لحظة والشعب لا يريد أن يبعده أو يخرجه عما يريد الشعب هو أن يكون كل شيء مشتركا . ووجود ذلك الميل الغريب إلى

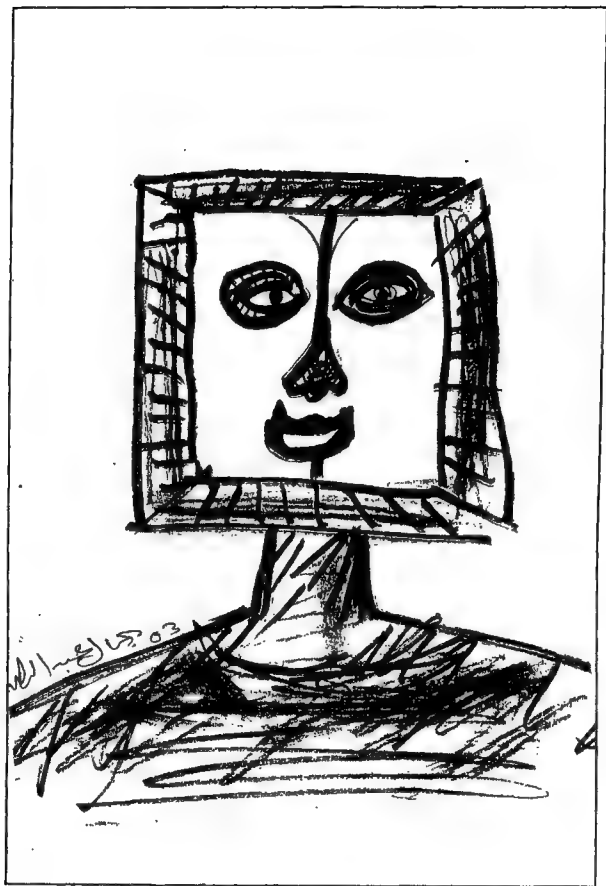
التفاصيل لدى المثقف هو الذى سيؤجل انغماس المثقف فى الموجة الشعبية العارمة . لا لأن الشعب عاجز عن التحليل . فهو يجب أن تشرح له الأمور . هو يجب أن يفهم مفاسل استدلال من الاستدلالات ، يجب أن يرى إلى أين هو ذاهب ، ولكن المثقف للمستعمر ، فى أول اتصاله بالشعب ، يركز اهتمامه على الصاق الهزيمة بالاستعمار . إنه وقد جرفته حركة الكفاح المتعددة الأشكال ، يعيل إلى التركيز على مهمات محلية يتابعها فى حساسة . ولكنه يسرف فى تقدير عظمتها . إنه لا يرى فى كل وقت . إنه يجرى بفكرة الفروع والاختصاصات والميادين . فيريد أن يطبقها على هذه الآلة الجبارة التى تخطو وتتجم ، أعنى الثورة الشعبية . إنه وقد انخرط فى القيام بأعمال معينة فى الجبهة ، يتفق له أن ينسى وحدة الحركة ، حتى إذا وقع أخفاق محلى ما ، رأيته يستسلم للشك ، بل واليأس أيضا . ولا كذلك الشعب ، فإنه يتخذ من البداية مواقف اجمالية الأرض والخبز : ماذا علينا أن نعمل حتى نحصل على الأرض والخبز ؟ وهذه النظرة العنيدة التى ينظرها الشعب ، هذه النظرة التى تبدو فى الظاهر محدودة ضيقة ، هى فى حقيقة الأمر ، مثال النظرة التى تفنى العمل وترفضه بالقوة وتكفل له النجع .

وهناك مسألة أخرى يجب أن نقف عندها أيضا ، هى مسألة الحقيقة . إن الشعب يرى ، فى جميع الأزمان ، أن عليه أن لا يقول الحقيقة إلا لأهل وطنه وما من حقيقة مطلقة ولا من خطاب عن النفس الصادقة الشاففة يمكن أن يضعف موقفه هذا . إن المستعمر يرد على كذب الاستعمار بكذب مماثل . إن سلوكه صريح مع أهل وطنه ، منكشخ غامض مع المستعمرين . الحق عنده هو ما يجعل انهيار النظام الاستعماري ، هو ما يسهل بزوغ الأمة . فى الوضع الاستعماري ليس هناك سلوك يلزم قول الحقيقة ، وليس الخير أيضا إلا ما يلحق ضررا بالمستعمرين .

وهكذا نرى الانقسام الثنائي الأول الذى كان يسود مجتمع المستعمرات يظل قائما فى فترة التحرير من الاستعمار . ذلك أن المستعمر لا يكف أبدا عن أن يكون هو العدو ، هو الخصم ، هو الإنسان الذى يجب القضاء عليه . إن المظهد يخلق فى منطقته حركة ، هى حركة السيطرة والاستغلال والنهب .

وفى المنطقة الأخرى ، يقضى المستعمر المنهوب هذه الحركة على قدر ما يستطيع يقضى هذه الحركة التى تمضى بغير توقف من شواطئ البلاد إلى قصور «الوطن» ومستودعاته . إن الأرض فى هذه المنطقة المجمدة ساكنة لا تتحرك ، وأشجار النخيل تتمايل أمام السحب ، وأمواج البحر تتواثب على حصى الشاطئ والمواد الأولية تذهب وتجرى مسوغة وجود المستعمر ، بينما يجشئ المستعمر وهو أقرب إلى الموت منه إلى الحياة مسترسلا فى حلم واحد خالد لا يتغير . إن حياة المستوطن ملحة أشبه بلوبيسه . إنه البداية المطلقة : هذه الأرض ، نحن صنعناها ، هو السبب الفعال المستمر : «إذا نحن ذهبن ، زال كل شئ» ، وارتدت هذه الأرض إلى القرون الوسطى ، وليس أمامه إلا أشخاص خاملون تهدمهم الأمراض «والعادات الموروثة عن الأجداد» ، إنهم إطار جامد يشبه أن يكون من معدن ، يحف بهذا النشاط المتحرك المتجدد الخلاق الذى يقوم به الاستثمار الاستعماري .

نعم إن المستوطن يصنع التاريخ ويعرف أنه يصنعه . هو يستشهد دائما بتاريخ وطنه الأم ، فيشير إشارة واضحة إلى أنه هنا امتداد لذلك الوطن الأم . ومعنى هذا أن التاريخ الذى يكتبه ليس تاريخ البلد الذى ينهب خيرات بل تاريخ أمته فيما تقوم به من طغيان واغتصاب وتجويع . ولا يمكن أن يدلل المستعمر هذا الجمود الذى حكم عليه به إلا إذا قرر أن ينسى تاريخ الاستعمار ، تاريخ النهب والسلب ، وأن يوجد تاريخ الأمة ، تاريخ تصفية الاستعمار . عالم حواجز ، عالم انقسام ، عالم جمود ، تماثيل : تماثيل الجنرال الذى احتل البلاد ، تماثيل المهندس الذى بنى



الجسر ، عالم واثق من نفسه عالم يسحق يصخوره الظهور التي قشرت جلودها السباط ، هذا هو عالم المستعمرات .
إن السكان الأصليين في هذا العالم أناس محجوزين ، وليس التمييز العنصري إلا شكلا من أشكال هذا الحجز في
العالم الاستعماري . إن أول شيء يتعلمه السكان الأصليون هو أن يلزموا أملاكهم ، وأن لا يتجاوزوا الحدود . لذلك
كانت الأحلام التي يجعلها السكان الأصليون أحلاما عضلية أحلام فعل ، أحلام هجوم وعوان . أنا أعلم بأنني أثب
، بأنني أركض بأنني أتسلق . أعلم بأنني أضحك بأنني أجتاز نهرا بقفزة ، بأن طائفة من السيارات تطاربنى ولا
تدركنى . إن المستعمر ، أثناء الاستعمار ، لا يفتأ يحرق نفسه من الساعة التاسعة مساء إلى الساعة السادسة
صباحا .

والمستعمر الذي ترسبت في عضلاته روح الهجوم والعنوان هذه ، إنما يصيبها أولا على ذويه . فهذه هي الفترة
التي نرى فيها الزنوج يقضى بعضهم على بعض ، ونرى فيها رجال الشرطة والقضاء يذهلون من فرط انتشار
الجرائم في شمال أفريقيا . وسنرى فيما بعد تحليل هذه الظاهرة^١ . ويكتفينا الآن أن نقول إن المستعمر يكون إزاء
الوضع الاستعماري في حالة توتر دائم . إن عالم المستوطن عالم عدو ينفذه نبذا ، ولكنه في الوقت نفسه عالم
يستهوئ المستعمر ويثير فيه الحسد . لقد كان المستعمر يعلم دائما أن يأخذ مكان المستعمر . أنه لا يعلم أن يصبح
مستعمرا ، ولكنه يعلم أن يحل محل المستوطن المستعمر . إن هذا العالم المعادي الثقيل الوطأة ، الذي لا يكف عن
العنوان ، لا يمثل في نظر المستعمر جحيما ينبغي الابتعاد عنه بالأسى سرعة ممكنة ، وإنما يمثل جنة تناول
تحميها زبانية رهيبة ، فتنتع عنها الجمهور المستعمر بكل ما أوتيت من قوة غاشية .

إن المستعمر يعيش في خشية دائمة ، لأنه لعجزه عن فهم تلك العلامات الكثيرة التي تفصل العالم الاستعماري
عن عالمه ، لا يعرف في لحظة من اللحظات أو تجاوز الحد المرسوم أم لا . إن المستعمر ، في هذا العالم الذي رتبته
الاستعماري ، منذب دائما . وهذا الذنب ليس ذنبا مقترفا ، وإنما هو نوع من اللعنة . ولكن المستعمر لا يعترف في
قرارة نفسه بأي حكم يصدرونه في حقه لقد سيطروا عليه ، ولكنهم لم يطوعوه بلعد عدوه متخلفا عنهم ، ولكنه غير
مقتنع بأنه لوهم . إنه ينتظر بفارغ صبر أن يخل المستعمر قليلا حتى ينقض عليه . لا يمكن أن نقول من المستعمر
أنه قلق أو خائف . فهو في عضلاته مترقب دائما . إنه يتوقع في كل لحظة أن يترك دور الطريدة ليمتل دور الصياد .
إن المستعمر شخص مضطهد يعلم دائما أن يصبح مضطهدا . وهذه الرموز الاجتماعية : رجال الدرك والأبواق
التي تلعلل أصواتها هي التكنات ، والاستعراضات العسكرية والعلم المرفرف في الفضاء ، هذه الرموز الاجتماعية
التي تكبت وتعرض في آن واحد ، لا تعنى عنده «لاتتمرك» بل تعنى : «هينى ضربتك تهيئة جيدة . لهذا مال
المستعمر إلى أن ينام وأن ينسى ، فإن غطرسة المستعمر وحرصه على تجريب قوة النظام الاستعماري يذكركه دائما
بأن المعركة الكبرى لا يمكن تأجيلها إلى غير نهاية وهذا الاندفاع إلى احتلال مكان المستعمر يفضي فيه توترا عضليا
في كل لحظة . ونحن نعلم أن وجود المالجز في ظروف انفعالية نفسية يقوى الميل إلى الحركة .

إن العلاقات بين المستعمر والمستعمر هي علاقات جماعة بجماعة والمستعمر يقاوم كثرة العدد بكثرة القوة . إن
المستعمر إنسان مصاب بداء الميل إلى العرض . واهتمامه بسلامته يحمله على أن يذكر المستعمر جهازاً بأنه هو
السيد : أنا هنا السيد فيثير في المستعمر غضبا يكبحه هذا حين يهم أن يخرج . إن المستعمر موثق بالأغلال القوية
التي أحكم الاستعمار أطباق حلقاتها عليه ولكننا رأينا أن المستعمر لا يحصل إلا على تجميع ظاهري ، أما في

الداخل فيظهر الرجل في حالة غليان . وهذا التوتر العضلي ينطلق من حين إلى حين انفجارات دامية : معارك قبلية وزناعات بين أفراد.

فعلى مستوى الأفراد نشهد أموراً تخالف المنطق حقاً : فبينما نرى المستعمر أو الشرطي يستطيعان من أول النهار إلى آخره أن يضربا المستعمر وأن يهيناه وأن يركباه، نجد المستعمر يشهر سكينه عند أبسر نظرة عدائي أو هجومية يليقها على مستعمر آخر ، لأن آخر ما يبقى للمستعمر هو أن يدافع عن شخصية تجاه موطنه . ولما كانت الصراعات القبلية استمرارا لأحداث قديمة مفروسة في الذاكرة طُلبان المستعمر حين يخوض معارك الثأر بكل ما أوتي من قوة ، إنما يحاول أن يقنع نفسه بأن الاستعمار لا وجود له ، وأن الأمور تجري كما كانت تجري في الماضي ، وأن التاريخ يستمر . ومن الواضح كل الوضوح أن هذا السلوك على مستوى الجماعات . نوع من ذلك «السلوك الهروبي» المعروف بكل هذا الانغماس في دم الأخوة يمكن أن يعنى من رؤية العدو الحقيقي ، وأن يؤجل خوض المعركة التي لا بد من خوضها ، ألا وهي المعركة المسلحة ضد الاستعمار . إن المعارك التي تقوم بين القبائل إنما هي تدمير للذات ، وهذا التدمير هو إحدى الطرق التي بها يتحرر المستعمر من توتر عضلاته . وهذا السلوك كله إنما هو انتحار تجاه الخطر ، انتحار يسمح للمستعمر الذي تقوى بذلك حياته وتتشد سيطرته ، أن يقول بهذه المناسبة نفسها أن هؤلاء الناس ليسوا هؤلاء وهناك وسيلة أخرى يعتمد عليها المستعمر من أجل أن لا يعبا بالمستعمر ، وهي الدين . فبواسطة الإيمان بالقدر يجرد المضطهد من المسؤولية ، باعتباره أن الله علة كل شيء ، فهو الذي أراد هذه الآلام وهذا البؤس وهو الذي رسم هذا المصير ، فعلى الفرد أن يقبل هذا القناء الذي أراده الله ، وهكذا يخضع للمستعمر منعا للقضاء والقدر ويصل من ذلك بنوع من تحقيق التوازن الداخلي ، إلى هدوء كهو الصخر . وتجري الحياة في أثناء ذلك . ومن الضراقات المرعبة ، الكثيرة في المجتمعات المتخلفة ، إنما يعضى المستعمر . يستمد أسبابا تمنع روح الهجوم عنده من الانطلاق ، فهو يتصور وجود جن شريرة تترقب به كلما حاول أن يتحرك ، ويتصور وجود بشر أسود ، وبشر آفاح ، وكلاب لها ست أرجل ، وقيلان ، وعدد لا نهاية له من الكائنات الصغيرة أو العملاقة ، تبني من حوله محرمات وسنوباً وموانع أربب من العالم الاستعماري نفسه . إن هذه الاعتقادات السحرية التي يعج بها مجتمع السكان الأصليين تحقق في الحياة الجنسية وظائف معينة . فمن خصائص المجتمعات المتخلفة أن الفريضة الجنسية فيها أمر جماعي ، عائلي لقد وصف علماء الأجناس أوضح وصف تلك الظاهرة التي أصبحت الآن معروفة ، وهي أن الرجل ، في بعض المجتمعات ، حين يرى في المنام أنه ضاجع امرأة غير امرأته ، يجب أن يعلن ذلك للناس ، وأن يدفع للزواج المجنى عليه أو للأسرة المجنى عليها غرامة من هذا النوع أن يعمل لهما عدة أيام وهذا دليل على أن المجتمعات التي توصف بأنها سابقة على التاريخ تقيم للاشعور وزناً كبيراً .

إن هذا الجو الخرافي السحري الذي يخيف الفرد يتصرف تصرفاً واقعياً لا سبيل إلى الشك فيه ، وهو إذ يبيت الرعب في الفرد ، يدخل هذا الفرد في تقاليد بلده أو قبيلته ، يدخله في تاريخهما ، وهو في الوقت نفسه يطمئنه ، يعطيه حقوقاً ويمنحه هوية . إن عالم الأسرار في البلدان المتخلفة هو عالم جماعي لا شأن له بغير السحر . إنه إذ يفقد تلك الأغلال الوثيقة ويحطى أكر أعمالاً بعينها على شبات جامد ، إنما يؤكد لى استقرار عالم هو عالم هو عالمنا ، صدقوني إذا قلت لكم أن أشباح الغيلان مرعبة أكثر من المستعمرين . ولا تكون مشكلة للمستعمر عندئذ أن

يصقئ أمره مع العالم الاستعماري المصفح بالحديد ، وإنما تكون مشكلته أن يفكر ثلاث مرات قبل أن يبول أو ييصق أو يخرج في الليل.

إن القوة الغيبية السحرية تبدو له قوى جبارة ، وبذلك له قوى جبارة ، وبذلك تصغر قوى المستعمر في نظره كثيرا ، وتخرج من نطاق اهتمامه ، ولا يكون عليه بعد ذلك أن يكلفها ، لأن أعداء الضرافين هم الذين يرهيبونه قبل كل شيء. وهكذا تتحل الأمور كلها في معارك دائمة على مستوى الهمم والخيال.

ولكن حين يجئ كفاح التحرير ، فإن هذا الشعب الذي كان قبل ذلك مقسما إلى طوائف وهمية ، هذا الشعب الذي كان فريسة رعب هائل لا يفلب وكان مع ذلك سعيدا بضياعه في ربيعة الأوهام ، يتبدل أثناء كفاح التحرير ، وينظم نفسه تنظيمًا جديدًا ، ويخلق في وسط الدم والدموع مهمات واقعية جدا ، مباشرة جدا ، بتقديم الطعام للمجاهدين ، والقيام بأعمال الحراسة والمراقبة ، ومساعدة الأسرى المحرومة مما يقيم الأود ، والنهوض بعباءة زوج قتل أو سجن ، تلك مهمات محسوسة ملموسة يدعى إليها الشعب أثناء كفاح التحرير.

والحياة الانفعالية لدى المستعمر في العالم الاستعماري تجرى على السطح كجرح نازف ، والنفس تنقبض وتتقصد ، وتفرغ شحنتها مظاهر عضلية جعلت بعض كبار العلماء يقولون عن المستعمر إنه إنسان مصاب بالهستيريا . إن هذه الانفعالية المتوفرة التي يراقبها حرس لا يرون ، ولكنها تتمثل بنواة الشفصية رأسا ، لابد أن تجد لنفسها في تلك الانحلال الحركية التي تلاحظ أثناء حدوث النوبة.

وعلى جانب آخر نرى انفعالية المستعمر تتطرق في أنواع من الرقص يخرج بصاحبه عن طوره ، ويجعله في حالة من النشوة ، ولذلك كان على كل دراسة تتناول العالم المستعمر أن تعنى حتما بفهم ظاهرة الرقص والمس . إن المستعمر يفرج عن نفسه في هذه الطلقات الصاخبة التي تجد فيها العدوانية مهما تكن حادة ، ويوجد فيها العنف مهما يكن مباشرا ، مجارى وسبلا إلى التحول والتلاشي . إن حلقة الرقص حلقة اباحية ، حلقة تحمى وتجزئ لغفي ساعات محددة من أيام معينة ، يجتمع رجال ونساء في مكان بذاته ، ويأخذون يقومون على مرأى من القبيلة بحركات تمثيلية يوم ظهرها بثها فوضى ، ولكنها في حقيقة الأمر منظمة جدا ، طباسيب مختلفة ، كهر الرأس واحتواء الظهر وانفاد الجسم كله إلى وراء ، تبدل الجماعة جهدا كبيرا في سبيل أن تخرج ذاتها ، أن تعبر عن نفسها وكل شيء مباح في الحلقة (والأمكنة التي يتم فيها ذلك كله أمكنة مقسمة: الجبل الصغير الذي يصعدون إليه كأنما يقتربوا من القمر ، والصفة التي ينحدرون إليها كأنما ليظهروا الوحدة بين الرقص والتطهر . وإذا كان كل شيء مباحا فأنهم لم يجتمعوا إلا من أجل أن يدعى للفرقة الجنسية المتجمعة ، والعدوانية المكبوتة أن تنفجر انفجار البركان . يجب أن تتخفف النفس من أثقالها : فما هم يقومون بأعمال ترمز إلى القتل ، وبحركات تمثل الفرنسية ، ويتفعّل تصور الإبادة . إن عليهم أن يتخففوا من هذا كله والوهم والخيال فبذلك تتطرق حمم الغضب من أعماق النفس انطلاقا فتأثف البركان من باطن الأرض.

وما هي إلا خطوة أخرى حتى نجد أنفسنا أمام ظاهرة المس ، ظاهرة شعور الفرد بأنه معسوس ، بأن كانتا غيبيا قد تسلل إليه واستحوذ عليه . إن تلك الجلسات التي نشهدها لدى هؤلاء الناس إنما هي ظاهرة مس وتحرر من المس: مس من الجن والشياطين والأشباح والأرباب ، إلخ . فهذه الأنواع التفتت في الشخصية، والازنواج في الشخصية، من التحلل في الشخصية ، إنما تقوم بوتليفة أساسية في تخمين السكون في العالم المستعمر . إن

الرجال والنساء يذهبون إلى تلك الجلسات وقد نفذ صبرهم وتوقفت أعصابهم حتى إذا عادوا كان الهدوء والسلام والسكون يهيمن على القرية.

ولكننا نشهد في أثناء كفاح التحرير براء المجتمع من أمراض هذه الطقوس أن المستعمر حين يجعل ظهره إلى الجدار ، وتوضع السكين على عنقه ، أو يقرب السلك الكهربائي من أعضائه الجنسية ، يضطر إلى هجر تلك الفزعيات ، إنه بعد أن أنفد من عمره سنوات في الأوهام والأخيلة ، بعد أن غرق في تلك التهاويل الغريبة ، يمسك الآن رشاشه بيده ، ويقاثل القوى التي كانت وحدها تنكر وجوده وكيانه ، أعنى قوى الاستعمار والمستعمر الشاب الذي ينمو ويترعرع في هذا الجو من الحديد والنار يستطيع أن يسفر - وهو يسفر حقا - من الأجداد والأشباح والخيول ذات الراممين ، الموتى الذين يستيقظون ، والجن الذين يترقبون أن يتناهب المرء حتى يتسللوا إلى جسمه إن المستعمر يكتشف الواقع ويبدله حين يقوم بحركة تضاللية ، ويمارس العنف ، ويعمل في سبيل التحرير.

لقد رأينا هذا العنف أثناء فترة الاستعمار يدور على فراخ ، ورأينا شحاته تفرغ في الرقص أو في الحفلات التي تعقد لطرد المغاريت من المسوسين ، ورأينا يستنفذ في خصومات يقتل فيها الأخوة أخوتهم. والمسألة الآن هي أن نقبض على هذا العنف الذي ينحرف عن سبيله ويضل عن غايته. لقد كان قبل الآن ينصرف في تهرات خرافية ، وكان يحاول أن يكشف مناسبات انتحار جماعي ، غير أن ظروفنا جديدة ستقبح له الآن أن يغير اتجاهه.

هناك على مستوى التكتيك السياسي وطى مستوى التاريخ مسألة نظرية هي على جانب عظيم من خطورة الشأن ، يطرحها في العصر الراهن تحرير المستعمرات ، هذه المسألة هي: متى يمكن القول أن الوضع قد نضج إلى الحد الذي يجب فيه القيام بحركة تحرير وطني ؟ ومن هي الطليعة التي يجب أن تقوم بهذه الحركة المعلن القضاء على الاستعمار قد اتخذ أشكالا مختلفة وصورا متعددة فإن العقل يتردد إزاء هذه المسألة ، ويمتنع عن القطع برأى فيما هو قضاء حقيقي على الاستعمار ، وفيما هو تصفية كاذبة للاستعمار . وسنرى أن على الإنسان الذي قرر الانخراط في المعركة أن يحدد الوسائل والتكتيك ، أي أن يعين السلوك والتنظيم ، وإلا لم يكن الأمر إلا اندفاع أعمى ، مع ما يستتبعه هذا الاندفاع الأعمى من مخاطر الرجعة والانتكاس.

ما هي القوى التي تقترح على المستعمر في فترة الاستعمار أن يصب عنقه في طرق جديدة وأن ينفق طاقاته في أعمال جديدة؟ هذه القوى هي أولا الأحزاب السياسية والنخبة المثقفة أو النخبة التجارية. ونحن نعلم أن ما يميز بعض التشكيلات السياسية هي أنها تتأدى بمبادئ ، ولكنها تتمتع عن إطلاق شعارات وحمل النشاط الذي تقوم به هذه الأحزاب السياسية الوطنية إنما هو في فترة الاستعمار نشاط من النوع الانتخابي ، هو سلسلة من المقالات الفلسفية السياسية حول فكرة حق الشعوب في تقرير مصيرها ، وحق البشر في الكرامة والخير ، هو ترديد لا يقطع للمبدأ المقاتل «إن لكل فرد صوته» ، إن الأحزاب السياسية الوطنية لا تلج أبدا على ضرورة استعمال القوة ، لأن هذا ليس قلب النظام القائم واستئصاله من جنوده . إن هذه الأحزاب السياسية أحزاب مسألة ، تتأدى بالمشروعية ، وتناصر في حقيقة الأمر النظام الجديد . ولا تريد على أن توجه إل البرجوازية الاستعمارية هذا الطلب : «اعطونا مزيدا من السلطة» . أما النخبة المثقفة ، فهي في مسألة العنف ليس لها وجه تعرف به ، هي عنيفة في الأقوال ، إصلاحية في المواقف والأعمال . إن المنظمات السياسية الوطنية البرجوازية تقول شيئا وتعنى غيره .

ويجب أن نفسر هذه الخاصة التي تميز الأحزاب السياسية الوطنية بأمرين في أن واحد هما نوع قاداتها . إن قاعدة الأحزاب السياسية الوطنية تتألف من أفراد من سكان المدن وهؤلاء العمال والفلاحون وأصحاب الحرف والتجار الذين بدأوا يستفيدون من الوضع الاستعماري ولو استفادة ضئيلة ، هؤلاء لهم مصالح خاصة . وما تطالب به هذه القاعدة الشعبية في الأحزاب السياسية إنما هو تحسين أحوالها وزيادة أجورها .

والحوار بين هذه الأحزاب السياسية والاستعمار لم ينقطع يوماً ، فهي تبحث في تحسين الأحوال وفي التمثيل الانتخابي ، وفي حرية الصحافة وحرية الاجتماع . إنها تبحث في الإصلاحات . ولذلك يجب ألا يدهشنا أن نرى عدداً كبيراً من السكان الأصليين ينتمون إلى فروع المنظمات السياسية الموجودة في البلد المستعمر . إن هؤلاء يناهون بشعار مجرد : «السلطة لطيفة البروليتاريا» ناسحين أن شعارات وطنية هي التي يجب أن تكون أساس الحركة في منطلقتهم . إن المثقف المستعمر ينفق طاقته الهجومية في صبوة مكشوفة إلى التشبه بالعالم الاستعماري لقد وضع طاقته الهجومية في خدمة مصالحه الخاصة ، وهي مصالح أفراد . وبذلك تنشأ ، بسهولة ، طبقة من العبيد المحررين فردياً ، إن ما يطالب به المثقف هو تكثير عدد هؤلاء المحررين هو إقامة طبقة من المحررين . ولا كذلك الجماهير ، فإنها لا تهدف إلى زيادة فرص نجاح الأفراد . إن ما تريده ليس هو الحصول على الحقوق التي يتمتع بها المستعمر ، بل هو أخذ مكان هذا المستعمر . إن الكثيرة الساحقة من المستعمرين تريد أن تستولي على مزرعة المستعمر . ليس هدفهم أن يكونوا والمستعمر أنداداً متنافسين ، وإنما هدفهم أن يطولوا محله .

إن العناية التي تتقدم بها معظم الأحزاب السياسية ، تغفل طبقة الفلاحين دائماً ، مع أنه من الواضح أن طبقة الفلاحين في البلاد المستعمرة هي الطبقة الثورية الوحيدة . إن هذه الطبقة لا تقضي أن تخسر بالثورة شيئاً ، بل تطمع أن تكسب بالثورة كل شيء والفلاح ، المنبوذ ، الجائع ، هو الإنسان المستغل الذي يكتشف قبل غيره أن العنف وهذه هو الوسيلة المجدية . إنه امرئ ليس عنده حل وسط ، ولا مجال منده لتسوية ، والقوة وحدها هي التي تحدد في رأيه بقاء الاستعمار أو زواله . إن هذا المستغل يدرك أن تحرره يقتضي استعمال جميع الوسائل ، وأولها القوة . حين أعلنت جبهة التحرير الوطني عام ١٩٥٦ ، بعد استسلام جي مواليه للمستعمرين الفرنسيين ، حين أعلنت في منشور شهير لها ، أن الاستعمار لا يرفع يده إلا إذا جعلت السكان في عتقه ، لم يجد أي جزائري صادق أن هذه الألفاظ عذيفة . لقد كان ذلك المنشور يطلق بإسنان جميع الجزائريين ويوضح عما رسخ في أعماق أعماق ضماثهم من أن الاستعمار ليس آلة مفكرة ، ليس جسماً مزوداً بعقل ، وإنما هو عنف هائل لا يمكن أن يخضع إلا لعنف أقوى .

وهين أذنت ساعة الحساب الحاسم ، رأينا البرجوازية الاستعمارية التي ظلت إلى ذلك الحين مبتعدة ، رأيناها تتدخل ، منادية بهذه الفكرة الجيدة التي هي في حقيقة الأمر من مبتكرات الدفاع الاستعماري ، ألا وهي «الاعتصاف» وقهمت النخبة المثقفة والاقتصادية المستعمرة من مناداة البرجوازية الاستعمارية نفس المصالح التي لها ، وأن من الضروري المستعجل والحالة هذه أن تبادر إلى عقد اتفاق معها يضمن السلامة للطرفين . إن الاعتصاف هو محاولة لتسوية المسألة الاستعمارية على مائدة خضراء قبل التورط في أية حركة لا سبيل إلى تراجعها ، قبل اوراق الدم ، قبل القيام بأى عمل مؤسف حتى إذا رأوا الجماهير ، قبل أن يصفوا الكراسي حول المائدة الخضراء ، تبلى أن تسمع غير صوت ضميرها ، فتبادر إلى استعمال الحرائق والقيام بهجمات هرعوا أي أفراد «النخبة» وقادة الأحزاب البرجوازية الوطنية- هرعوا إلى الاستعماريين يقولون لهم : الأمر خطير جداً . وليس يدري المرء كيف يمكن أن

ينتهى هذا كله . فلإيد من إيجاد حله لأيد من إيجاد تسوية .

وفكرة التسوية هذه مهمة جدا في ظاهرة التحرر من الاستعمار ، لأنها ليست بسيطة فالتسوية تتناول في الواقع النظام الاستعماري والبرجوازية الوطنية الناشئة . إن قادة النظام الاستعماري يكتشفون إن الجماهير هم أن تحطم كل شيء ، وتنتسف الجسور ، وتخريب المزارع ، وأنواع القمع ، والحرب ، ذلك كله يطن للاقتصاد طعنا قاسيا . والتسوية هم البرجوازية الوطنية أيضا ، فهذه البرجوازية الوطنية تخشى النتائج التي يمكن أن تنجم عن هذا الاعصار الجبار ، وتخاف أن تكتسبها هذه الريح العاصفة ، فلا تفتأ تقول للمعمرين : «لأننا ما زلنا قاندين على أن نوقف المذبحة ، فالجماهير لا تزال تثق بنا فأسرعوا إذا كنتم لا تريدون أن تعرضوا للمخاطر كل شيء» . وما هي إلا خطوة واحدة ، حتى ترى موجه الحزب الوطني يعلن معارضته لهذا العنف ، ويقول بصوت عال إن لا شأن له بهؤلاء الماوا ، لا شأن له بهؤلاء الزهابيين ، لا شأن له بهؤلاء النياحين . وهو في أحسن الحالات يقف في منطقة محرمة ، تفصل بين الزهابيين والمعمرين ، ويعرض نفسه موسيطا بين الطرفين ، ومعنى هذا أنه لما كان المعمرين لا يستطيعون أن يبيحوا الأمر مع هؤلاء الماوا ، فهو يتطوع للقيام بالمفاوضات . وهكذا نرى الناس الذين كانوا في مؤخرة الكفاح الوطني ، الناس الذين لم يشتركوا يوما في النضال يصبحون بنوع من البهلوانية طليعة المفاوضين في سبيل إيجاد تسوية لا شيء إلا لأنهم حرصوا دائما على أن تبقى الصلة قائمة بينهم وبين الاستعمار .

قبل المفاوضات ، تكتفي أكثر الأحزاب الوطنية ، في أحسن الأحوال ، بأن تلتزم المعانير لهذه «الوحيشة» . إنها لا تطالب بالكفاح الشعبي ، وليس نارا أن تراها تنتقد . في حلقات مغلقة ، تلك الأعمال التي تصفها صحافة البلد المستعمر ويصفها رأي العام بأنها منكرة كريمة . وهذه السياسة التجميدية تتحلل بالحرص على رواية الأمر رواية موضوعية . ولكن هذا الموقف الذي يقفه المثقف المستعمر ويقله قادة الأحزاب الوطنية ليس في حقيقة الأمر موقفا موضوعيا . وإنما الواقع أن هؤلاء الناس ليسوا على ثقة بأن هذا العنف الجامح الذي تعمد إليه الجماهير هو السبيل الأجدي إلى الدفاع عن مصالحهم الخاصة . ثم إنهم غير مقتنعين بجوى الأساليب العنيفة . وعندهم أنه لا يجوز الشك في أن كل محاولة لتحطيم الاضطهاد الاستعماري بالقوة إنما هي سلوك يئس ، سلوك انتحار ، ذلك أن دبابات المستعمرين والطائرات المقاتلة تحتل في آدمغتهم مكانا كبيرا فمضى قتل لهم : يجب علينا أن نعمل ، رأوا القنايل تتسابق فوق رؤوسهم .. ورأوا البوابات تزحف على طول الطريق ، ورأوا الرشاشات والشرطة ، فظلوا قاعدين لا يتحركون . أن مجزهم عن الانتصار بالعنف أمر لا حاجة إلى البرهان عليه ، إنهم يبرهنون على هذا العجز في حياتهم اليومية وفي مناوراتهم . إنهم يظنون عند ذلك الموقف الصبياني الذي تبناه أنجل في مجادلاته الشهيرة مع هرنج ذلك الجبل من الصبيان . «كما استطاع روينسون أن يحصل على سيف ، ففي وسعنا أيضا أن نتصور أن يظهر فاندروبي ذات صباح وفي يده مسدس مشحون» . وعندئذ تتقلب نسبة العنف رأسا على عقب ، فإذا فاندروبي هو الذي يامر وإذا روينسون هو الذي يكذب ويشقى .. فالمسدس يتقلب إذن على السيف ، بل إن أكثر عشاق البهيميات صبيانية في وسعهم أن يتصور أن العنف ليس فعل إرادة فحسب ، وإنما هو يقتضى شروطا تفضيلية واقفية جدا . ويقتضى على وجه الخصوص أدوات يتقلب أكملها على الأقل كمالا ، وإن هذه الأدوات ، عدا ذلك ، يجب انتاجها ، ومعنى هذا أن الذي ينتج أدوات العنف أكمل . يتقلب على من ينتج أدوات للعنف أقل كمالا ، وزيدة القول أن انتصار العنف يقوم على إنتاج الأسلحة وإنتاج الأسلحة يستند إلى الانتاج

بوجه عام .. أى يقوم إذن على «القوة الاقتصادية» على الدولة الاقتصادية ، على الوسائل المادية التى توضع تحت تصرف العنف» (١) . الواقع أن القادة الإصلاحيين لا يقولون شيئا آخر: «بئس شئ تريون أن تحاربوا المعمرين؟ بسكاكينكم؟ ببنادق الصيد التى عنكم؟».

صحيح أن الأدوات مهمة فى ميدان العنف ، لأن كل شئ يتوقف آخر الأمر على توزيع هذه الأدوات . ولكن تحرير الأراضي المستعمرة يتأتى بأشواء جديدة فى هذا المجال لقد رأينا مثلا أن نابليون ، فى حملة أسبانيا التى كانت حربا استعمارية تماما ، أجبر على التقهقر رغم جيوشه التى بلغت أثناء هجمات الربيع من عام ١٨١٠ رقعا هائلا هو ٤٠٠ ألف مقاتل . وكان الجيش الفرنسى أثناء ذلك يربع أوروبا كلها بمعدراته العربية ، ووسائل جنوده ، وعبقريه ضباطه العسكرية . لقد اكتشف الأسبان الذين كان يحركهم إيمان لا يتزعزع ، اكتشفوا تلك الطريقة فى حرب العصابات التى كان المقاتلون الأمريكان قد جربوها قبل خمسة وعشرين عاما فى محاربة الجيوش الإنجليزية . لكن حرب العصابات هذه التى يقوم بها المستعمر لا تكون أداة عنف فى وجه أدوات أخرى من أدوات العنف ، ما لم تكن عنصرا جديدا فى تلك العملية الشاملة ، عملية التنافس بين التروستات والاحتكارات.

فى أول الاستعمار كان يكفي فيلق واحد لاحتلال أراض واسعة: الكونجو ، نيجيريا ، ساحل العاج إلخ. أما اليوم فإن الكفاح الوطنى الذى يقوم به المستعمر يدخل فى طرف جديد جده مطلقة لقد كانت الرأسمالية ، فى فترة انطلاقها ، ترى فى المستعمرات ينبوعا لمواد أولية يمكنها أن تصبها فى السوق الأوروبية بعد تصنيعها . ولكنها بعد مرحلة تجمع رأس المال وصلت اليوم إلى تبديل مفهومها من الربح الذى يحققه مشروع من المشاريع . لقد أصبحت المستعمرات سوقا . إن سكان المستعمرات زبائن يشترون فإذا كان لايد للكثبان من أن تعزز إلى غير نهاية ، وإذا بطوت حركة التجارة ، أى إذا لم يعد فى الامكان تصدير المنتجات المصنعة كان هذا دليلا على أن الحل العسكرى يجب الابتعاد عنه . إن السيطرة العمياء التى هى من نوع الاستعباد لا تتر على البلد المستعمر أرباحا ، والفئة الاحتكارية من برجوازية البلد المستعمر لا تدعم حكومة سياستها هى سياسة السيف وهذه ، إن الصناعيين ورجال المال فى البلد المستعمر لا يرجون من حكومتهم أن تهلك السكان وإنما يرجون منها أن تصمى «مصالهم المشروعة» باتفاقات اقتصادية.

فهناك إذن تواطؤ موضوعى بين الرأسمالية وبين قوى العنف التى تنطلق فى الأراضي المستعمرة . ثم أن المستعمر لا يجابه المضطهد وحيدا ، هناك ، طبعاً ، المعونة السياسية والدبلوماسية التى تقدمها البلاد التقدمية والشعوب التقدمية . ولكن هناك التنافس خاصة ، هناك تلك الحرب الضارية التى تقوم بين العوائق الاقتصادية . إن مؤتمرا كمؤتمر برلين قد استطاع أن يقسم أفريقيا الممزقة إلى ثلاثة أجنحة أو أربعة: أما الآن فليس المهم أن تكون هذه المنطقة أو تلك خاضعة للسيادة الفرنسية أو البلجيكية ، وإنما المهم حماية المناطق الاقتصادية . إن القصف بالدافع وسياسة الأرض المحروقة قد حلت محلها الآن سياسة الاخضاع الاقتصادى . إن الاستعماريين لا يخوضون الآن حربا تاد ضد السلطان المتحدر . إنهم الآن أكثر لباقة وأقل نموية ، فهم يقررون أن يصفوا النظام العبقري تصفية سلمية.. إنهم يحاولون خلق غينيا ، ويزيلون مصدق ، ويخطئون إذن الزعيم الوطنى الذى يخاف العنف ، إذ يتصور إن الاستعمار ، «سيقتلنا جميعا» صحيح أن العسكريين يستمتعون على اللعب باللعب التى يرجع عهدها إلى أيام الفتح ، ولكن الأوساط المالية ما تلبث أن تردهم إلى الواقع.

ولذلك يطلبون إلى الأحزاب السياسية الوطنية العاقلة أن تعرض مطالبها واضحة ، وأن تبحث مع الشريك الاستعماري في جو هادئ لا تحركه العواطف عن حل يكفل مصالح الطرفين . وواضح أن هذه النزعة الإصلاحية الوطنية ، التي تبدو في كثير من الأحيان نوعاً من الكاريكاتور للعمل النقابي ، تعتمد دائماً إلى وسائل سلمية جداً إذا هي قررت أن تعمل . اضطرابات عن العمل في الصناعات القليلة الموجودة في المدن ، مظاهرات جماهيرية لتأييد الزعيم ، حجز سيارات النقل أو الماصلات المستوردة . إن هذه الأعمال كلها تحقق غرضين في أن واحد ، هي الضغط على الاستعمار واستنفاد قوى الشعب . وهذه الطريقة في تقويم الشعب تنجح في بعض الأحيان . وعندئذ ، من المناقشة حول المائدة الخضراء ، ينبثق هذا التضميب السياسي الذي يسمح للسيدة ميا ، رئيس جمهورية الجابون ، أن يقول في كثير من الأبهة والعظمة حين وصوله إلى باريس في زيارة رسمية «لقد استقلت الجابون ، ولكن بين الجابون وفرنسا لم يتبدل شيء ، بل كل شيء يستمر كما كان» والواقع أن التبدل الوحيد الذي تحقق هو أن السيد «ميا» قد أصبح رئيس الجمهورية الجابونية ، وأن رئيس الجمهورية الفرنسية يستقبله .

والدين الذي لا مناص منه يساعد البرجوازية الاستعمارية في محاولة التهذية التي تقوم بها . إن جميع القديسين الذين ملأوا القدر الأيسر من ضريرهم على القد الأمين ، الذين غفروا لمن أساء إليهم ، الذين تلقوا البصاق والامانة دون أن يخطئوا ، إن هؤلاء جميعاً يستشهد بهم ، وأفراد النخبة في البلاد المستعمرة ، هؤلاء العبيد الذين أعتقوا ، لابد أن ينتجوا بديلاً للقتال حين يكونون على رأس الحركة . إنهم يستعملون عبودية أخوتهم من أجل أن يخلج منهم المستعبدون ، أو من أجل أن يزودوا الجماعات المالية ، المتنافسة مع المضطدين ، بمضمون أيديولوجي إنساني الزعة هولهم بمثابة المصباح المرشد . إنهم لا يتجهون بندايتهم أبداً إلى العبيد ، إنهم لا يفعلون ذلك حقاً في يوم من الأيام ، ولا يحاولون أن يعبقوا قوى هؤلاء العبيد تعبئة حقيقية ، إنهم يلوحون توليها بأن تعبئة الجماهير هي السلاح الحاسم الذي سيؤدي إلى نهاية النظام الاستعماري» كاتما بنوع من السحر ، متظاهرين أن هذا هو ما يعتقدونه حقاً وصديقاً مع أنه في قرارة أنفسهم كذب . وبطبيعة الحال لابد أن يوجد في هذه الأحزاب السياسية بوبين أعضاء قياداتهم ، أناس ثوريون يديرون ظهورهم لهزلة الاستقلال الوطني من وهي وفهم . ولكن هؤلاء سرعان ما تتزعم آلة الحزب من تخلاطهم ومبادئهم واستيادتهم فإذا بهؤلاء الثوريين يعزلون شيئاً بعد شيء ، ثم يبعدون عن الحزب صراحة وفي الوقت نفسه ، يعرف عليهم البوايس الاستعماري . كان هناك نوعاً من التوافق والتلازم . فإذا صاروا في المدينة غير آمنين على أنفسهم ، وصار أعضاء الحزب يتحاشونهم ، ونبتتهم سلطات الحزب ، رأينا هؤلاء المنبوذين الذين تلذذ أمينهم شرراً محرقة يذهبون إلى الأرياف ، وهناك يدركون وفي رؤوسهم دوار أن جماهير الفلاحين تفهم عنهم بنصف كلمة ، وتطرح عليهم قورا هذا السؤال الذي لم يهينوا جوابه «متى نبدأ»؟

ستحدث فيما بعد عن هذا اللقاء بين الثوريين الآتين من المدن وبين القرويين . وإنما يحسن الآن أن تعود إلى الأحزاب السياسية ، لنبين أن أعمالهم مع ذلك طابعا تقدميا . إن الموجهين السياسيين يتحدثون في خطبهم عن الأمة . إنهم «يسمون» الأمة . وبذلك تلذذ مطالب المستعمر شكلا . صحيح أنه ليس هناك مضمون ، صحيح أنه ليس هناك برنامج سياسي واجتماعي ، صحيح أنه ليس هناك إلا شكل غامض مبهم ، ولكن هذا الشكل قوسى ، إنه إطار ، وهو ما نسميه بالعد الأدنى من المطالب . إن رجال السياسة الذين يخطبون ، ويكتبون في الصحف الوطنية ، يجعلون الشعب يطم ، صحيح أنهم يتحاشون فكرة نسف النظام القائم ، ولكنهم في الواقع يثبتون في ضمائر المستمعين

والقراء خمائر رهيبة تهيب للنفس وهم كثيرا ما يستعملون اللغة الوطنية أو لغة القبائل ومن شأن هذا أيضا أن يغذى الحلم ، وأن يسمح للخيال بالطواف خارج النظام الاستعماري هذا إلى أن هؤلاء السياسيين يقولون أحيانا: نحن العرب ، نحن الزوج وهذه التسمية المثقلة بالاحتقار في عهد الاستعمار تتلقى بذلك نوعا من الاحترام والتقدير. إن السياسيين يعمون بالنار . ومن أجل ذلك رأينا أحد السياسيين الأفريقيين يسر إلى جماعة من المثقفين الشباب منذ مدة سيرة قوله: فكروا قبل أن تخاطبوا الجماهير لأن الجماهير ، تتهب مشاعرهما بسرعة. هنالك إذن مكر من التاريخ يتم في المستعمرات على نحو رهيب.

حين يدعو أحد السياسيين الشعب إلى اجتماع ، فيمكن أن نقول إن في الهواء دما . ومع ذلك فإن هذا السياسي لا يعنى في أكثر الأحيان إلا دباظهاره قواه .. دون استعمالها غير أن هذا التحرك المتصل - من ذهاب وإياب واستماع إلى خطب ، واعتقال أفراد من الناس ، وترحيل الزعماء ، إلخ - هذا التحرك المتصل يشعر الشعب بأنه قد أن هو أن يفعل شيئا والأحزاب السياسية ، في مثل هذه اللحظات الطققة ، تكثر ندائاتها إلى ناحية اليسار طالبة إلى الشعب أن يلتزم الهدوء ، بينما هي تتطلع بانتظارها إلى ناحية اليمين تستكشف الألق وتحاول أن تحذر ما يخبئه الاستعمار من نيات.

والشعب يستعمل أيضا بعض الأحداث من حياة الجماعة في سبيل أن يحافظ على شكله ، وأن يصون طاقته الثورية من ذلك أن قاطع الطريق الذي يصمد لمطاردات رجال الدرك أياما بكاملها ، أو الذي يقتل في معركة خذبة بعد أن يقتل أربعة من رجال الشرطة أو خمسة ، أو الذي ينتحر حتى لا «يسلم» رفاقه ، هؤلاء جميعا بالنسبة إلى الشعب منارات ، وقنوت ، وهبطاله وليس يجدى طبعاً أن نقول عن فلان من هؤلاء الأبطال أنه لص ، أو رجل فاسد ، أو مخطف فإنه يكفي أن يكون هذا الرجل الذي تطارده السلطات الاستعمارية قد أساء إلى أحد المستعمرين أو إلى أملاك أحد المستعمرين حتى يفرق بينه وبين المذنب العادي تفريقاً واضحاً.

ويجب أن نشير أيضاً إلى الدور الذي يلعبه في ظاهرة التضخيم هذه تاريخ المقاومة الوطنية عند الفرنج الاستعماري . إن الوجوه الكبرى الذي تظل ماثلة في خيال الشعب المستعمر ، إنما هي وجوه أولئك الذين قانوا المقاومة الوطنية أثناء الاحتلال . إن وجوه بيهانزين ، وساوندياتا ، وساموري ، وجيد القادر تعود إلى الحياة بقوة كبيرة في الفترة التي تسبق بدء الكفاح ، وعويتها هذه بشير بأن الشعب يتعباً لأن يستأنف السير ، لأن يوقف الزمن الميت الذي حمله إليه الاستعمار ، لأن يصنع التاريخ.

إن انبثاق الأمة الجديدة ، وتدمير النظام الاستعمارية هما إما ثمرة صف يقوم به الشعب المستعمر ، وأما ثمرة العنف الذي تقوم به شعوب أخرى مستعمرة فيضبط على النظام الاستعماري.

إن الشعب المستعمر ليس وحيداً في المعركة . وحدوده تظل تتسرب منها الأنباء والأصداق رغم الجهود التي يبذلها الاستعمار . إنه يكشف أن العنف يملأ الجو ، وأنه يخلق هذا وهناك ، وأنه هنا وهناك يقتصر على النظام الاستعماري لهذا العنف الذي يقتصر لا يقوم لدى المستعمر بلور النبا الذي يطلعه على الأحداث ، وإنما هو يحضه على العمل. إن الانتصار الكبير الذي حققه الشعب الفيتنامي في ديان بيان فورلوم يعد انتصاراً فيتنامياً فحسب ، فمنذ شهر تموز من عام ١٩٥٤ أصبحت المسألة التي يطرحها الشعوب المستعمرة على نفسها هي المسألة التالية: وماذا يجب أن نعمل حتى نحقق ديان بيان فورلوم؟ كيف يجب أن نفعل حتى نحقق ديان بيان فورلوم؟ وما من

مستعمر كان يستطيع أن يشك في إمكان تحقيق انتصار كذلك الانتصار الذي تحقق في ديان بيان فو. وأصبحت عناصر المسألة هي هذه: أعداد القوى ، تنظيمها ، تصيد موعد البدء في المعركة . وهذا العنف الذي يملأ الجو لا يبذل المستعمر فحسب ، بل يبذل أيضاً الاستعماريين الذين يدركون أن معارك كثيرة سيكون مصيرها كمصير معركة ديان بيان فو. ولذلك فإن ذمرا كبيرا منظم يحتاج الحكومات الاستعمارية ويستولى عليها .

فإذا حثيهم يدور حول ضرورة استباق الأمور ، ضرورة تحويل حركة التحرير إلى جهة اليمين ، ضرورة تجريد الشعب من الحجج التي يتذرع بها ، وإذا هم يقولون: «يجب أن نبادر بسرعة إلى تحرير المستعمرات» يجب أن نحرر الكونغرس قبل أن تتحول إلى جزائره يجب أن نقترح على قانون الدستور لافريقيا ، يجب أن نبادر إلى خلق «رابطة الشعوب الفرنسية» يجب على كل حال أن نحرر المستعمرات ، يعني أن علينا أن نحرر المستعمرات .. وهم يبادرون إلى هذا التحرير بسرعة تبلغ من الشدة إنهم يفرضون الاستقلال على هوفويت بوايبي فرضا . وهكذا يرد الاستعمار على استراتيجية ديان بيان فو التي يرسمها المستعمر باستراتيجية أخرى ، هي استراتيجية منع الاستقلال واحترام سيادة الدول.

ولنعد الآن إلى ذلك العنف الذي يملأ الهواء والذي رأيناه ، قبل اكتمال نخسجه ، يفرغ شحناته في غير الطرق السلمية . إن هذا العنف ، رغم التحولات التي فرضها عليه الاستعمار ، إذ جعله ينصرف في نزاعات قبلية أو محلية ، يسير الآن في طريقه . إذن فالمستعمر يعرف عدوه بوسمى أنواع الشقاء التي يقاسيها ، ويضع في هذا الدرب الجديد كل ما في حقه وغضبه من قوة هائلة . ولكن كيف تنتقل من العنف الذي يملأ الهواء إلى العنف الذي يتدفق في كفاح ما هو الشيء الذي يفسد الرجل هناك أولا هذه الواقعة ، وهي أن هذا التطور يقصد على المعمر طمأنينته . إن المعمر الذي يعرف «هؤلاء الأماهي» ، يدرك من بادات كثيرة أن هناك شيئا هو بطريق التبدل والتغير لقد أصبح يندر أن يقع على أناس «طيبين» مسلمين ، من هؤلاء الأماهي ، وأصبح الأماهي يصمتون حين يقترب منهم أحد المعمرين . والنظرات في بعض الأحيان قاسية ، والأوضاع والأحداث تدل على روح الهجوم دلالة واضحة والأحزاب السياسية تتحرك وتكثر اجتماعاتها ، وفي الوقت نفسه يزداد عدد رجال الشرطة ، وتصل امدادات عسكرية أن المعمرين ولا سيما الزراعيين المنعزلين في مزارعهم ، هم أول من يحس بالخطر فيطالبون باتخاذ اجراءات قوية . وتعتمد السلطات فعلا إلى اتخاذ اجراءات لاثبات قوتها ، فتقتل زعيما أو زعيمين بوتنظم استعراضات عسكرية يقوم بمناورات وتطلق طائراتها في السماء . ولكن هذه المظاهرة وهذه التدريبات الحربية ورائحة البارود هذه التي تملأ الجو في هذه الايام لا تحمل الشعب على التراجع والتقهقر ، بل إن المدافع والحراش تذكي نار الهجوم فيه . ويسود جو بطولي يريد فيه كل فرد أن يبرهن على أنه مستعد لكل شيء وفي هذه الظروف تتطلق الطلقة من تلقاء نفسها ، لأن الأعصاب متوترة والخوف يملأ النفوس ، والناس قد تركز إحساسها على الزناد فما هو إلا حادث تافه حتى يبدأ إطلاق الرصاص : ذلك ما حدث في سطيف بالجزائر ، وفي الكارير سنترال بمراكش وفي مورمانجا بمغشقر . ولكن أعمال القمع التي تقوم بها السلطات الاستعمارية لا تحطم انتفاضة الشعب ، بل تعجل نمو الوعي القومي . إن النوازل في المستعمرات إنما تعزز الوعي الذي أخذ ينمو ، لأنها تدل على أن القوة وحدها هي التي تقض المشاكل بين المضطهدين والمضطهدين . ويجب أن نذكر هنا أن الأحزاب السياسية لم تطلق شعار الثورة المسلحة ، ولا هي أضحت هذه الثورة . إن جميع هذه الأعمال العنيفة ، إن جميع هذه الأفعال التي ولدها الضوف ، ولم يشأ

السياسيون أن تقع . وإنما باغتهم الحوادث مباغتة . وفي هذه اللحظة يستطيع الاستعمار أن يقرر اعتقال القادة الوطنيين . ولكن حكومات البلاد الاستعمارية تعرف اليوم حق المعرفة أن حرمان الجماهير من زعيمها أمر خطر كل الخطر . لأن الشعب عندئذ ، وقد فقد لجامه ، ينتفع إلى العنف والإرهاب والأعمال الوحشية اندفاعاً قوياً يوصل العنان لفرائذه الدموية فيفرض على الاستعمار إطلاق سراح الزعماء الذين تقع على عاتقهم هذه المهمة الصعبة وهي أن يعينوا الهدوء والسكينة . وهكذا فإن الشعب المستعمر الذي إنطلق من تلقاء ذاته يستعمل العنف في سبيل تحقيق تلك المهمة العظيمة ، مهمة تحطيم النظام الاستعماري . يجد نفسه بعد برهة قصيرة مقتصرًا على المناداة بهذا الشعور الميث القديم : «إطلاق سراح زيد أو عمر من الناس» ، وعندئذ يطلق الاستعمار سراح هؤلاء الناس ، ويبحث الأمور معهم ، وتبدأ ساعة الاحتفالات الإبتهاج الشعبية.

وفي حالة أخرى لا يسع جهاز الأحزاب السياسية بقاء ولكن القمع الاستعماري والحركة التي يقوم بها الشعب من تلقاء ذاته رداً على ذلك القمع ، ما يليثان أن يجعلوا القاعدة الشعبية في تلك الأحزاب تطفئ على قياداتها . فالجماهير تقابل القوى العسكرية بعنف قوى ، فيتردى الوضع بالنسبة إلى الاستعمار ، والسياسيون الذين لم يعتقلوا يصبحون على الهامش أناساً متعطلين لا خير فيهم ولا في بيروقراطيتهم وبرامجهم الحكيمة ، فهم يعيشون عن الحوادث ، ولكنهم لا يتورعون عن التبرجع الكاذب فقرامهم ويتحدثون باسم الشعب المضطهد ، والاستعمار في العادة يتهاوت بشراة على هذه النفاقية ، ويهيل هؤلاء العاطلين إلى مفاوضات ، فما هي إلا ثوان أربع حتى يمنحهم الاستقلال ، ويكون عليهم بعد ذلك أن يعيدوا النظام إلى نصابه.

جميع الناس شاعرون إذن بهذا العنف ، وليست المسألة دائماً كيف يريد عليه بعنف أشد ، وإنما هي : كيف توقف الأزمة؟.

فما هو هذا العنف في واقع الأمر؟ لقد رأينا إنه ادراك الجماهير المستعمرة ، يحدسها ، أن تحررها يجب أن يتم بالقوة ، ولا يمكن أن يتم إلا بالقوة . فكيف يصل هؤلاء الناس الذين ليس لهم خبرة ، هؤلاء الناس الجياع الضعفاء . الذين لا علم لهم بطرائق التنظيم كيف يصلون إزاء القوة الاقتصادية والعسكرية التي يملكها المحتل ، إلى الاعتقاد بأن العنف وحده يستطيع أن يخلصهم من برائن الاضطهاد الاستعماري . إن نوعاً جديداً من العلاقات قد قام في العالم . إن الشعوب المتخلفة تصطم أصفادها ، والأمر الحارق أنها تنحصر من الممكن أن يقال إن من السفخ أن يموت الإنسان جوعاً في عصر الأقطار الصناعية ، ولكن الجماهير المستعمرة لا تنسّر الأمور تفسيرات قمرية من هذا النوع . والحقيقة هي أنه ما من بلد استعماري يستطيع اليوم أن يبتني ذلك الشكل الواحد من الصراع الذي قد نجح ، أعنى الاستمرار في إرسال قوات لاحتلال كبيرة إلى غير نهاية.

والبلاد الاستعمارية تعاني في داخلها تناقضات وتجاه مطامع عمالية تقتضيها استعمال قواتها البوليسية . ثم إن هذه البلاد الاستعمارية هي على الصعيد الدولي محتاجة إلى جيوشها لحماية نظامها السياسي ، وهناك أخيراً تلك الخرافة المعروفة القائلة بأن حركات التحرير تقودها موسكى ، وهذه الخرافة تعنى في التعليقات المنمورة التي يعمد إليها النظام الاستعماري ما يلي : إذا استمر الأمر ، فالشيوعيين يمكن أن ينتهزوا فرصة هذه الاضطرابات ليتغلبوا في هذه المناطق».

إن نفاق صبر المستعمر وتلويحه الصريح باستعمال العنف يدلان على إنه يدرك أن الظرف الحالي ظرف

استثنائي ، ويدلن على أنه ينوي الاستفادة من هذا الظرف. ولكن المستعمر الذي يتاح له اليوم أن يرى العالم الحديث ينفذ حتى إلى أقصى أركان البوادي ، يشعر شعورا حادا ، على مستوى التجربة المباشرة أيضا ، بحرمانه ، فقطع الجماهير ، بواسطة نوع من الاستبداد .الصينائي ، إن هذه الأشياء كلها قد سرقت منها ، لذلك نراها في بعض البلاد المختلفة ، تسير بسرعة وتتهم بعد سنتين أو ثلاث سنين من الاستقلال ، أنها كانت مفبوبة ، وأن الأمر لم يكن يستحق ذلك العناء كله ، إذا لم تتبدل الحال تبديلا حقيقياً . في عام ١٧٨٩ ، بعد الثورة الهرجازية ، استعاد الفلاحون الصفار من تلك الثورة فوائد أساسية . ولكن من نافل القول أن نذكر أن أكثرية سكان البلاد المختلفة ، أن ٩٥٪ من سكان البلاد المختلفة ، لا يحمل إليهم الاستقلال في معظم الحالات تغييرا مباشرا .لذلك يلاحظ المراقب الخبير أن هناك نوعا من الاستياء الكافئ يشبه تلك الحجرات التي تبقى بعد إنطفاء الحريق ، وتهدد باندلاع النيران من جديد .

ويقولون عندئذ أن المستعمرين يريدون أن يغالوا في السرعة . بينما كانوا يلكون قبل ذلك بقليل أن المستعمرين أناس بطيئون كسالى انكاليون أننا نلاحظ منذ الآن إن العنف الذي سار في طرق محددة واضحة أبان كفاح التحرير لا ينطفي انطفاء سحرها بعد احتفالات رفع الرايات الوطنية ، بل يظل متقددا ، خاصة وأن عهد البناء الوطني يظل يتم في إطار التنافس النهائي بين الرأسمالية والاشتراكية .

أن هذا التنافس يجعل حتى للمطالب المحلية بعدا عاما يكاد يشمل الأرض بأسرها ، فكل اجتماع ، وكل عمل من أعمال القمع ، تترجع أصدائه في العالم كله . إن حوادث القتل التي وقعت في شاريفيل قد هزت الرأي العام العالمي أشهرا طويلة . وأصبحت شاريفيل ، في الصحف وفي محطات الإذاعة وفي الأحاديث الخاصة ، رمزا ، فمن خلال حوادث شاريفيل هالج الرجال والنساء مشكلة التمييز العنصري في جنوب أفريقيا . ولا نستطيع أن نزعم أن الديماغوجية وحدها هي السبب في هذا الاهتمام المفاجئ الذي يبديه «الكبار» بالشئون الصغيرة المتصلة بالمناطق المختلفة . إن كل ثورة وكل تمرد يقعان في العالم الثالث يدخلان الآن في إطار الحرب الباردة . يكفي أن يضرب رجلان في سالزبورج ، حتى تهتز كتلة بكاملها من الكتلتين ، وتأخذ تتحدث عن هذين الرجلين ، وتتوهج هذه الفرصة لتثير المشكلة الخاصة ببرويسيا ، رابطة هذه المشكلة بمشكلة إفريقيا كلها ، وبمشكلة البشر المستعمرين جميعا . ولكن الكتلة الثانية ، تقبس أيضا بمقياس سعة الحملة التي شنت عليها ما في نظامها من نقاط الضعف . تترك الشعوب المستعمرة أنه ما من فئة من الفئتين إلا وتهتم بالعوائد المحلية فتكف هذه الشعوب المستعمرة عن الاقتصاد على أفاقها المحلية ، إذ يدركها هذا الجو العام المشحون بالاهتزاز .

حين يطن بكل ثلاثة أشهر ، إن الأسطول السادس أو الأسطول السابع ، تحرك نحو هذا الشاطئ أو ذاك ، وحين يهدد خروئتشف بانقاذ كاستر بـالصواريخ ، وحين يقر كندى ، بمناسبة لاوس ، أن يعمد إلى الطول القصوى فإن المستعمر الذي ما يزال مستعمرا ، والمستعمر الذي نال الاستقلال يشعران ، شادا أم أبيا ، أن نوعا من السير المسور يجرفهما جرفا . والواقع أنهما يسيران من قبل أن يجرفا . أنظروا مثلا إلى حكومات البلاد التي تحررت منذ عهد قريب . إن رجال الحكم في البلاد ينفقون ثلثي وقتهم في مراقبة الأحداث التي تدور حولهم وفي اتقاء الخطر الذي يهددهم ، وينفقون الثلث الأخير من وقتهم في العمل ليلاهم وهم في الوقت نفسه يبحثون لأنفسهم عن نعام . وتخضع المعارضة الوطنية لهذا المنطق نفسه ، فتتير ظهرها للطرق البرلمانية في كثير من الاحتقار ، وتمضي تبحت

عن حلفاء يقبلون أن يدمعوا رغبتها في القيام بثورة عنيفة. إن جو العنف الذي كان يسود المرحلة الاستعمارية ، يظل يسيطر على الحياة الوطنية . ذلك إن العالم الثالث ، كما سبق أن قلنا ذلك ، ليس مستعدا من هذا الاعصار ، بل إنه هو في مركز الاعصار . لذلك نرى رجال الدولة في البلدان للتخلفة يظلون يستعملون في خطبهم لهجة الهجوم والغضب التي كان ينبغي في الأحوال العادية أن تزول . وما أكثر ما يكون هؤلاء القادة الجدد شرسين في أقوالهم ! ذلك أمر يفهم أيضا غير أن الشيء الذي يفهم أقل من ذلك أن هؤلاء القادة أنفسهم يظهرون كثيرا من الكياسة واللباقة في معاملة الأخوة أو الرفاق . إن الشراسة هي أولا سلوك مع «الآخرين» مع الذين كانوا مستعمرين ثم جاوا اليوم ينظرون ويتقصون . إن الشخص الذي كان مستعمرا يشعر في كثير من الأحيان بأن النتيجة التي يريد أن ينتهي إليها هؤلاء الناس في تحقیقاتهم الصحفية عن هذه البلاد قد كتبوها قبل أن يجيئوا . وليس مجيء الصحفي إلى البلاد الاستار وتبريرا . إن الصور الفوتوغرافية التي ينشرها مع المقال تبرهن على الغرض الذي جاء من أجله . إن هدفه من كتابة التحقيق هو أن يتحقق من صدق قناعاته السابقة . وهي أن كل شيء أصبح سيئا هناك منذ خروجنا . إن الصحفيين يشكون دائما من أنهم يستقبلون استقبالا سيئا ، وأنهم يعملون في ظروف صعبة ، وأنهم يصطدمون بجدار من عدم الاكتراث أو من العداءة هذا كله طبيعي . إن القادة الوطنيين يعرفون أن الرأي العام العالمي تصنعه الصحافة الغربية وحدها . وحين يجيئنا صحفي غربي وي طرح علينا أسئلة ، فقلما يكون هدفه من ذلك أن يصدنا . إنظروا إلى حرب الجزائر مثلا . إن أكثر الصحفيين الفرنسيين تمردا لم يكفوا لحظة عن استعمال دعوت ملتبسة المعاني حين يريون أن يصفوا ثورتنا فإذا هويتوا في تلك قالوا أنهم أناس موضوعيين والمستعمر يرى أن الموضوعية موجهة دائما دائما ضدّه . وطبيعية أيضا تلك اللهجة الجديدة التي أفرقت الدبلوماسية الدولية في اجتماع الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة في أيلول «سبتمبر» عام ١٩٦٠ . لقد كان ممثلو البلاد المستعمرة يتحدثون بلغة هجومية عنيفة مهينة ، ولكن الشعوب المستعمرة لم تجد أنهم كانوا مبالغين أو مغالين . إن راديكالية هؤلاء المثاليين الأفريقيين الذين كانوا ينطقون بلسان الشعوب الأفريقية قد أنضجت الدم ، جعلت الناس يتركون أن اعتراضات الفيتو هذه أمر غير مقبول . وكذلك هذا الحوار بين «الكبار» بخاصة هذا الاستخفاف بالعالم الثالث ، وجعل نوره معدودا نافعا .

إن هذه الدبلوماسية التي دشنتها الشعوب المستقلة حديثا لا تعرف اللب والورن حول الفروق الطفيفة ولا تعرف للكر الذي يعلن غير ما يطن . ذلك أن هؤلاء الناطقين ، باسم شعوبهم قد كلفتهم شعوبهم أن يدافعوا في آن واحد عن وحدة الأمة ، وعن تقدم الجماهير نحو الرخاء . ومن حق الشعوب في الحرية وفي الفيز . فهي إذن دبلوماسية متحركة ، دبلوماسية حائقة ، تتعارض تعارضا قويا مع ذلك العالم الساكن ، الجامد ، عالم الاستعمار ، حين يلوح السيد خروشوف بحدائه في هيئة الأمم المتحدة ، ويضرب به المضدّة فما من ممثل من ممثلي البلاد المختلفة يضطك . ذلك أن ما بينه السيد خروشوف للبلاد المستعمرة ، هو أنه ، هو قلاح يملك من جهة أخرى صواريخ . يعامل هؤلاء الرأسماليين الأثقياء المعاملة التي يستحقونها . وكذلك فإن كاسترو الذي يتحدث في منظمة الأمم المتحدة وهو بلباسه العسكري ، لا يثير استفراق البلاد المختلفة . ذلك أن ما بينه كاسترو هو أنه يدرك أن عهد العنف ما يزال قائما ، وإنما المستغرب أنه لا يدخل هيئة الأمم المتحدة وفي يده رشاشه ، ولكن ربما كانوا يعارضون في ذلك . إن الثورات والأفعال الياشسة ، والجموع المسلحة بالخناجر أو الفئوس ، تجد وطنيتها في هذا الصراع

الفائز الذي يقوم بين الرأسمالية والاشتراكية.

لقد أمكن ، في عام ١٩٤٥ ، أن لا يلاحظ الناس مقتل ٤٥٠٠٠ جزائري في صطيف ، وفي عام ١٩٤٧ أمكن أن يقتل ٩٠٠٠٠ شخص في مدغشقر دون أن يكون هذا الحادث إلا خبرا صغيرا في زوايا مهمل من زوايا الصحف ، وفي عام ١٩٥٢ أمكن أن يموت ٢٠٠٠٠ شخص في كينيا دون أن يكتسب أحد بالأمر كبير اكتراحت . ذلك أن التناقضات الدولية لم تكن في تلك الأيام الحاسمة قاطعة إلى درجة كافية . صحيح أن حرب كوريا وحرب الهند الصينية كانتا قد دخلتا مرحلة جديدة . ولكن يودابست والسويس هما اللحظتان الحاسمتان في هذه المرحلة الجديدة.

إن المستعمرين ، وقد قواهم الدعم غير المشروط الذي يتألقونه من البلدان الاشتراكية ، يهجمون بالأسلحة التي معهم على هذه القلعة التي لا تقهر ، قلعة الاستعمار ، ولئن كانت هذه القلعة لا تخدشها السكاكين والأيدي العارية فإنها لا تظل كذلك حين يحزم المقاتلون أمرهم على أن يحسبوا حساب حالة الحرب الباردة.

إن الأمريكيين ، في هذا الطرف الجديد ، يمدون أنفسهم في كثير من الجهد ، أوصياء على الرأسمالية الدولية ورعاة لها . لذلك نراهم في مرحلة أولى ينصحبون البلاد الأوربية بأن تحرر المستعمرات ويدا ، ونراهم في مرحلة ثانية لا يترددون في أن يناقوا باحترام مبدأ افريقيا للأفريقيين أولا ، وفي أن يدعوا هذا المبدأ بعد ذلك ، إن الولايات المتحدة لا تخشى اليوم أن تعلن رسميا أنها تدافع عن حق الشعوب في تقرير مصيرها . إن الرحلة الأخيرة التي قام بها السيد مثنى وإيامز ليس مثلا على شعور الأمريكيين بأن العالم الثالث يجب ألا يرضى به . وهنا نفهم لماذا لا يعد عنف المستعمر عنفا لا أمل فيه إلا إذا قورن مقارنة مجردة بالآلة العسكرية التي يملكها المضطهدون إما اذا وضعنا هذا العنف في موضعه من الحركية الدولية أدركنا أنه يهدد المضطهد تهديدا رهيبا . إن استمرار الثورات والاضطرابات يحدث خلا في الحياة الاقتصادية للمستعمرة ولكنه لا يجعل البلاد المستعمرة في خطر . والأمر الأهم في نظر الاستعمار هو أن تتسرب الدماية الاشتراكية إلى صفوف الجماهير ، هي أن تسرى هذه الدماية الاشتراكية إلى الجماهير . وهذا أمر له خطورته في فترة الحرب الباردة من هذا الصراع فما بالك حين تصبح الحرب حارة : ما حسي أن تمير إلى هذه المستعمرة التي تقع بالمحاريين «السفاكين» حين تصبح الحرب حارة؟.

فالرأسمالية تترك عندئذ أن استراتيجيتها العسكرية ستخسر من نمو الحروب الوطنية كل شيء . لذلك تضطر الرأسمالية ، في إطار التعايش السلمي ، إلى أن تسلم بتحرير جميع المستعمرات ، وبحياد جميع المستعمرات عند الاقتضاء . فإنما المهم عندها قبل كل شيء هو أن تتحاشى ما يهدد سلامة استراتيجيتها ، هو أن تتحاشى انفتاح الجماهير لعقيدة عدوة ، هو أن تتحاشى أن يكرهها عشرات الملايين من الناس كرها جنونيا . والشعوب المستعمرة تترك اسراكا كاملا هذه الضغوط التي تسيطر على الحياة السياسية الدولية فحتى الذين تلعب أصواتهم في استنكار العنف يتخذون قراراتهم ويقومون بأعمالهم على أساس هذا العنف الذي يسود الكرة الأرضية كلها . أن التعايش السلمي بين الكتلتين يغذي العنف في المستعمرات ، ويحرض عليه في أيامنا هذه . ربما رأينا هذا العنف ينتقل غدا إلى ميدان آخر بعد تحرر المستعمرات تحررا كاملا . لعله يطرح غدا مشكلة الأقليات . ألسنا نرى بعض الأقليات منذ الآن لا تتردد عن الناداة باستعمال أساليب العنف لحل مشكلاتها ؟ ليس من قبيل المصادفة أن نرى المتطرفين من الزنوج في الولايات المتحدة يشكلون فرق ميليشيا و يتسلحون . وليس من قبيل المصادفة أن نرى في

العالم الذي يسمى نفسه حراً ، قيام لجان الدفاع عن الأقليات اليهودية في الاتحاد السوفيتي ، وأن نرى الجنرال دى جول ينزف بعض الدموع في إحدى خطبه ، حزنا على المسلمين الذين تضطهدهم الديكتاتورية الشيوعية . إن الرأسمالية والاستعمار مقتنعان بأن النضال ضد التفرقة العنصرية ، وحركات التحرر الوطني ليست الا اضطرابات يوعز بها من بعيد ، ليست الا اضطرابات يحرض عليها «من الخارج» ، لذلك يقررون أن يستعملوا هذا التكتيك المجدي: «راديو أوروبا الصرة» ، لجنة تأييد الأقليات المظلومة ، فيقومون بمحاورة الاستعمار ، كما كان القادة الفرنسيون في الجزائر يقومون بذلك الحرب التخريبية مع الـ SAS والوحدات السيكلوجية . إنهم «يستخدمون الشعب ضد الشعب» ونحن نعلم ما الذي يؤدي إليه هذا.

إن هذا الجو من العنف والتهديد والتلويح بالصواريخ لا يخيف المستعمرين ولا يحيرهم لمقد رأينا أن تاريخهم الأخير كله يهيمهم «الفهم» هذا الطرف . إن بين العنف الاستعماري والعنف السلمي الذي يعيش في جوه العالم المعاصر نوعا من التقابل والتجانس . وقد تلام المستعمرين مع هذا الجو . إنهم من هذه الناحية ، أبناء عصرهم . قد يستغرب الناس في بعض الأحيان أن المستعمر بدلا من أن يشتري فستانا لزيجته ، يشتري جهاز راديو ترانزستور . ولكن يجب أن لا يستغرب هذا . إن المستعمرين مقتنعون بأن مصيرهم يتقرر الآن . انهم يعيشون في جو نهاية العالم ، ويرى أنه ما ينبغي أن يفوتهم شيء . وهم لذلك يفهمون كل الفهم قوماً ولومياً ولومياً وتشويشياً ، وأهيجو وموميه ، وكيناثا ، وأولئك الذين يقذفون من حين إلى حين ليطلقوا محلهم . إنهم يفهمون هؤلاء الأشخاص كل الفهم ، لأنهم يحرون القوى الكامنة وراءهم . إن المستعمر ، إن الإنسان المختلف هو اليوم إنسان يستحق أن يوصف بأنه حيوان سياسي بأكمله معاني هذه الكلمة.

صحيح أن الاستقلال قد رد إلى المستعمرين شعورهم بذاتهم وعزز كرامتهم ولكن الوقت لم يتسع لهم بعد من أجل إنشاء مجتمع ، ومن أجل بناء وتأكيد قيم ، إن البؤرة المشعة التي فيها ينمو المواطن والإنسان ويقتنجان في ميادين ما تنظك تتسع غير موجودة بعد . وإذا أن هؤلاء الناس يعيشون في نوع من عدم التحديد ، تراهم يقتنعون في سهولة بأن كل شيء سيبقى في مكان آخر ، بالنسبة إليهم وبالنسبة إلى سائر العالم في آن واحد . أما القادة فانهم إزاء هذا الوضع يترددون وينتخبون المياد.

هناك أمور كثيرة يجب أن نقولها عن المياد . إن بعض الناس يشبهون هذا المياد بنوع من النفعية المربوطة التي تريد أن تأخذ من اليمين واليسار ، ولكن الحقيقة هي أن هذا المياد الذي هو من ثمرات الحرب الباردة ، إذا كان يتيح للبلدان المختلفة أن تتلقى محونة اقتصادية من الطرفين ، فإنه لا يتبع لكل من هذين الطرفين أن يساعد المناطق المختلفة المساعدة التي ينبغي أن تقدم لها . إن هذه المبالغ الطائلة «الفلكية» التي تخصص للبحوث العربية ، مع هؤلاء المهندسين الذين يقبلون إلى اختصاصيين في الحرب النووية ، وفي وسعها ، خلال خمسة عشر عاما ، أن ترفع مستوى المعيشة في البلاد المختلفة بنسبة ٦٠٪ . وبواضح إذن أن مصلحة البلاد المختلفة ليست لا في إطالة هذه الحرب الباردة ولا في تفاقم حثتها ، لذلك تتحلل من اتخاذ موقف إذا هي استطاعت إلى ذلك سبيلا . ولكن هل تستطيع حقا ، لتتذكر مثلاً أن فرنسا تجرب قتالها الذرية في إفريقيا . وباستثناء الاقتراحات والاجتماعات والقطيعات الدبلوماسية الصاخبة ، لا نستطيع أن نقول أن الشعوب الأفريقية كان لها ، في هذا القطاع الخاص ، تأثير كبير على موقف فرنسا .

إن الحياد يولد لدى المواطن في العالم الثالث اتجاها نفسيا يعبر عن نفسه في الحياة الجارية بعناد وكبرياء يشبهان التحدي شيها كبيرا . إن هذا الرفض القوي للتسوية ، وهذا الاصرار الصلب على عدم الارتباط يشبهان سلوك أولئك المراهقين المزهوين المحرومين المستعدين دائما لأن يضمحوا بأنفسهم في سبيل كلمة . وهذا كله يحير المراقبين الغربيين ويرتج عليهم . ذلك أن هناك تناقضا فاضحا بين ما يدعيه هؤلاء الناس وما يوجد وراءهم . إن هذا البلد الذي يعيش بلاترامواي ولوجيش ، ولا مال ، لا يملك ما يبرر هذه الفخخة التي يظهر بها ، فليس سلوكه هذا إلا ادعاء فارغا وتظاهرا كاذبا . إن هذا العالم الثالث يشعر المرء بلته يبتهج في اللساة ، وأنه في حاجة إلى نصيبه الاسوي من الثوبات . إن زعماء هذه البلاد الخاوية الذين يتكلمون بصوت عال يشيرون الحق في النفس . إن المرء ليود أن يستكتم . ولكنهم يفازلون ، وتقدم لهم الازهار ، ويدعون ، بل قل بصراحة إنهم يتنازع عليهم . إن هذا كله لهو من العياد . إنهم وهم أميون في أكثريةهم الساحقة ، ٩٨٪ ، قد كتبت من أجلهم مجلدات ضخمة وهم يسافرون كثيرا ، إن قادة البلاد المتخلفة ، وطلاب البلاد المتخلفة هم من أحسن زبائن شركات الطيران . إن المستولين الأفريقيين والآسيويين يستطيعون في شهر واحد أن يحضروا مؤتمرا عن التخطيط الاشتراكي في موسكو . وعن محاسن الاقتصاد الحر في لندن أو في جامعة كولومبيا . والناخبين الأفريقيين ، من جهتهم ، يتقدمون بسرعة متزايدة وما أن يعهد إليهم بوظائف في أجهزة التوجيه حتى يقرروا أن يكونوا اتحادات مستقلة . إنهم لا يملكون خمسين عاما من العمل النقابي في إطار بلد مصنع ، ولكنهم يعرفون منذ الآن أن العمل النقابي الذي لا شأن له بالسياسة سيقف لا معنى له . إنهم لا يجابهوا الآلة البرجوازية ، ولا نمو لومهم في هراع الطبقات ، ولكن ربما كان هذا غير ضروري . ربما .

ولكن قلنعد إلى المعركة الخاصة القائمة بين المستعمر والمعمر . ها هنا كفاح مسلح صريح كما ترون . وأمثلة التاريخية : الهند الصينية ، أندونيسيا ، وأفريقيا الشمالية طبعاً . ولكن الشيء الذي يجب أن لا يغيب عن البال ، هو إن هذا الكفاح المسلح كان يمكن أن ينطلق في أي مكان ، كان يمكن أن ينطلق في غينيا ، كما كان يمكن أن ينطلق في الصومال . ولا يزال من الممكن أن ينطلق في كل مكان . في أنجولا مثلاً . ووجود الكفاح المسلح يشير إلى أن الشعب قد قرر أن لا يثق إلا بالوسائل العنيفة . إن الشعب الذي ظلوا يقولون إنه لا يمكن أن يفهم غير لغة القوة ، يعزم أمره الآن على أن يعبر عن نفسه بلغة القوة والعق أن المعمر قد دله منذ زمان طويل على الطريق التي يجب أن تكون طريقه إذا هو أراد أن يحرر . والمجة التي يختارها المستعمر إنما دله عليها المعمر ، فإذا بالاستعمر هو الذي يؤكد اليوم أن الاستعمار لا يفهم إلا لغة القوة . إن النظام الاستعماري يستمد مشروعيته من القوة ، وهو لم يحاول في أية لحظة من اللحظات أن يراوغ في هذا الأمر الذي يتفق وطبيعة الأشياء . إن كل تمثال من التماثيل ، كتتمثال فيديب أو ليوتي أو بوجو أو بلاندان ، أن كل تمثال من هذه التماثيل المغروسة في الأرض المستعمرة لايفتحا يعبر عن شيء واحد بعينه ونحن هنا بقوة الحراب... وإتمام هذه العبارة أمر سهل . إن كل معمر يفكر ، أثناء فترة التمرد والحصيان ، على أساس حساب واضح دقيق . ومنطقه هذا لا يستغربه المعمرين الآخرين ، ولكن يجب أن نذكر أيضاً إن هذا المنطق لا يستغربه المستعمرون أيضاً . ونلاحظ أولاً أن البدأ القائل «أما هم وأما نحن» ليس في نظر المستعمرون أمراً مفارقاً مستغرباً ، لأن الاستعمار ، كما رأينا ، إنما هو تنظيم عالم يتقسم انقساماً ثنائياً . وحين يشرع المعمر في استعمال أساليب معقنة ، فيطلب إلى كل معمر من معمرى الأقلية المضطهدة أن يهلك ثلاثين

واحدًا من السكان الأصليين أو مائة أو مائتين ، فإنه يلاحظ أنه ما من أحد يستنكر ذلك، حتى أن المشكلة كلها يلخصها عندئذ هذا السؤال : هل يمكن إتمام ذلك دفعة واحدة ، أم يجب إتمامه على فهذا التفكير الذي يتصور ، على أساس حسابي جدا ، زوال الشعب المستعمر لا يجعل المستعمر يستاء استياء أخلاقيا ، فلقد عرف دائما أن معاناته مع العمر ستدور في ساحة مغلقة ، وهو لذلك لا يضيع وقته في الشكوى والانتخاب ، ولا يكاد أبدا أن ينصف في الإطار الاستعماري ، والحق أنه إذا كانت حجج العمر لا تهز المستعمر ، فلأن هذا المستعمر قد طرح مشكلة تحرره طرحا مماثلا: لننظم أنفسنا في فئات تتألف كل منها من مائتي شخص أو من خمسمائة ، وقتل كل فئة من هذه الفئات أمر معمر واحد . إن كلا من الخصمين المتصارعين إنما يبدأ القتال وهو على تلك الحالة النفسية المشتركة بينهما .

وهذا العنف يمثل ، في نظر المستعمر ، العمل المطلق . ولذلك فالمناضل هو الذي يعمل ، إن السلطة التي تطرحها المنظمة على المناضل تحمل طابع هذه النظرة إلى الأمور : « أين عملت؟ مع من عملت؟ ماذا عملت؟ » . إن الجماعة تطالب من كل فرد أن يحقق عملا لا يتراجع إلى وراء ففي الجزائر مثلا، حيث نرى أن الرجال الذين دموا الشعب إلى الكفاح الوطني كانوا جميعا على وجه التقريب محكومين بالاعدام أو ملاحقين من قبل الشرطة ، نلاحظ أن الثقة تتناسب مع مقدار ما في كل حالة من يأس . إن المناضل الجليل يكون مضموما إذا كان لا يستطيع أن يرتد إلى النظام الاستعماري . ويظهر أن هذه الطريقة قد وجدت في كينيا لدى الماوا الذين كانوا يطلبون من كل عضو من أعضاء الجماعة أن يضرب الضحية ، فكان كل عضو من هؤلاء الأعضاء مسئولاً مسؤولية شخصية عن موت الضحية . إن العمل يعني العمل على إمانة المعمر . وهذا العنف يتيح للضالين والمطوبين من أفراد الجماعة أن يعودوا وأن يرجعوا إلى أمكتهم وأن يرتكوا إلى الجماعة . إن العنف هو الطريقة المثلى . إن الإنسان المستعمر يتحرر في العنف وبالعنف . إن هذا العمل يشق طريق العامل ، لأنه يله على الوسائل ويبله على الهدف . إن شعر سيزار ليكتسب من هذه الطريقة في فهم العنف ، دلالة تجعله كالتبوة ، ويحسن هنا أن ننقل صفحة حاسمة من صفحات مأساته ، صفحة يتحدث فيها «الثائر» عن نفسه:الثائر

اسمى : مثل ، اسم هائلتي ،مهان ، حالتي : ثائر والسمن :عصر الحجر.

الأهـ/جنسى : الجنس الإنساني ، نيانتى :الأخوة

الثائر

جنسى الجنس المعذب ، ونيانتى .. ولكن ما أتت من يهينها بخلويده من السلاح . وإنما أهينها أنا ، بثورتي بقبضتي المشدودتين ورأسى الأشعث .²

«بهلوه كبير»

ما زالت أنكر يوما من أيام تشرين الثاني كان عمره أقل من ستة أشهر ، وبخل المولى الغرفة المسودة بالشحار دخول قمر أحمر وجس أعضاء المعروفة الصغيرة ،أنه مولى طيب جدا . وطالب بيديه الضمختين على وجهه المحفر يداعبه كانت عيناه الزرقاوان تضحكان وكان فمه يتحدها بلشياء مسكرة قال وهو ينظر إلى: ستكون حجرة جيدة بوقال أيضا أشياء أخرى لطيفة ، هذا السيد ، قال إن عليه أن يتعب الأمر ، وأن عشرين عاما ليست كثيرة من أجل خلق مسيحي طيب ،عبد طيب ، تابع مخلص ، خادم طبع ، حاد النظرة، قوى التراجع ،وتصور هذا الرجل مهد ابني

مهد خادم.

وزحفنا والخناجر في قيضة اليد.

الأم

ستموت واحسرتاه

الثائر

قتله . قتلته بيدي

نعم : قتلا خصبا متغلق الخيرات

كان الوقت ليلا . نحفنا بين شجرات قصب السكر

وكانت الخناجر تضحك للنجوم ، ولكننا كنا لا نبالي بالنجوم

وكانت شجرات قصب السكر تخذلنا وجوهنا بجداول من لموع خضر.

الأم

لقد حملت باريك يلمض ميني أمه.

الثائر:

اثرت أن أفتح عيني على شمس أخرى.

الأم

واحسرتا عليك يا بني ، ستموت شرميتة

الثائر

أماه بل خير ميتة.

الأم

لأنك كرهت فأسرفت

الثائر

بل لأنني أحببت فأسرفت

الأم

ارحمني ، أغلاك تخلفني ، جرحك تدميني .

الثائر

العالم لا يرحمني ... ليس في العالم إنسان يائس يعذب ، ولا إنسان شقي يعذب . إلا وأقتل فيه وأذل.

الأم

خلصه يا رب

الثائر

إن تخلصني يا قلب من ذكرياتي

كان ذلك في ذات مساء من شهر تشرين الثاني

وقجاة ومضت في الصمت صيحات

كنا قد وثقنا ، نحن العيد ، نحن الأوفاد ، نحن اليهائم الصابرة .

وأخذنا نركض كالجائعين .. وبوت طلقات الرصاص .. وأخذنا نضرب العرق والدم يرطبنا . ضربنا بين الصرخات ، وزدادات أصوات الصرخات ، بعلت صيحة في جهة الشرق ، إنها المنازل الضخمة تحترق ، وتنفق اللهب هنا عذبا على خدودنا .

وجاء دور الهجوم على منزل المولى

شدنا النواقد

حططنا الأبواب

انفتحت غرفة المولى كبيرة واسعة . الضوء في غرفة المولى يسطع متلاطنا . المولى في الغرفة . إنه هادئ جدا وتوقف رجالنا .. إنه المولى .. وبخلت أنا قال لي بهدوء كبير : أهذا أنت؟ فأجيبته : نعم أنا ، أنا نفسي : العبد الطيع ، العبد الأمين ، العبد العبيد ، وقجاة أصبحت عينا خنفسيتين مروعيتين في أيام المطر . وضربت لمناجيس الدم : هذا هو التعميد الوحيد الذي أتذكره اليوم .

إن عنف النظام الاستعماري وعنّف المستعمر ، يتوازنان ويتجاوبان في تجانس مشترك ، وسيطرة العنف هذه لابد أن تصبح أشدّ هولا كلما زاد عدد المستوطنين . إن اشتداد العنف لدى الشعب المستعمر سيكون متناسيا مع العنف الذي يمارسه النظام الاستعماري المرفوض . إن حكومات البلاد المستعمرة في المرحلة الأولى من فترة الثورة ، مستجيبة للمعمرين ، فهؤلاء المعمرين يهدنون المستعمر ويهدنون في الوقت نفسه حكوماتهم . وسوف يستعملون في محاربة هذه وأولئك طرائق واحدة بعينها . أن اغتيال عدة إيفيان لا يختلف في دوافعه عن اغتيال على بومجل . إن المشكلة في نظر المعمرين ليست الاختيار بين جزائر جزائرية وجزائر فرنسية ، بل بين جزائر مستقلة وجزائر مستعمرة وكل ما عدا ذلك كلام أو خيانة . إن منطق المعمر منطق حائق ، وأست تستغرب المنطق المعاكس الذي يعبر عنه سلوك المستعمر إلا إذا كنت تترك بوضوح آليات التفكير لدى المعمر . متى اختار المستعمر أن يواجه العنف بالعنف ، رأيت أعمال الانتقام البوايسية تستدعى على نحو إلى أعمال انتقام تقوم بها القوى الوطنية . ومع ذلك ليس هنالك تعادل في النتائج . ذلك أن القصف بالشاحنات من الطائرات أو القصف بالدافع من الأسطول ، يفتان رنود المستعمر هولا بزهية . ومن شأن تكرار الإرهاب هذا أن يبذل الأوهام من رئيس أكثر المستعمرين ضللا وضياعا . إنهم يلاحظون ملاحظة مباشرة أن جميع الخطب التي تلقى من المساواة بين أفراد البشر وينكسر بعضها فوق بعض ، لا تخفي هذه الحقيقة المبذولة وهي أن الرجال السبعة الذين قتلوا أو جرحوا في مضيق ساكامو هي قد أثارا استياء الضمائر المتحضرة ، على حين أن أحدا لم يعبا بتدمير قرى جرجور وجرة . ولا يذبح السكان الذين كانوا كانوا سبب الكمين . إرهاب وإرهاب مقابل ، عنف وعنّف مقابل ، ذلك ما يسجله المراقبون في مرارة حين يصفون دائرة العنف . الواضحة العنيدة في الجزائر .

إن في الكفاح المسلح شيئا يصح أن نسعيه «النقطة التي لا عودة بعفها» ونستطيع أن نقول أن الأمر الذي يحقق الوصول إلى هذه النقطة إنما هو أعمال القمع الضخمة التي تشمل جميع قطاعات الشعب المستعمر وهذه النقطة قد تم الوصول إليها في الجزائر عام ١٩٥٥ حين وقعت الأحداث التي أولت باثني عشر ألف ضحية في

فيليبينل، وكذلك عام ١٩٥٦ حين أنشأ لأكوست ميليشيا المدن والأرياف لعنشد أنرك جميع الناس، وأنرك المعروف أنفسهم «أن الأمر لن يرجع بعد الآن إلى ما كان عليه» على أن الشعب المستعمر لا «يفتح» حسابا بضمحاياه. إنه يسجل الفراغ الضخم الذي حدث في صفوفه من حيث أنه شرلايد منه، لكنه «قد قرر أن يرد على العنف بالعنف، يقبل جميع النتائج التي تترتب على ذلك وكل ما يطلبه عنئذ هو أن لا يطالب «يفتح حساب» بضمحايا الآخرين. إن المستعمر يرد على العبارة القائلة بأن جميع السكان الأصليين سواء» بعبارة تقول: «إن جميع المعمرين سواء» إن المستعمر لا يشكو أمره إلى أحد حين يعذبونه، أو حين يقتلون امرأته أو يفتصبونها. إن للحكومة التي تمارس الاضطهاد أن تعين في كل يوم لجان تحقيق، ولكن لجان التحقيق هذه لا وجود لها في نظر المستعمر. هذه سبع سنين تقريبا تتقضى في جرائم ترتكب بالجزائر، دون أن يمثل فرنسي واحد أمام القضاء لأنه قتل جزائريا، إن المستعمر، سواء في الهند الصينية أو في مدغشقر، أو سائر المستعمرات قد أنرك دائما أن عليه أن لا ينتظر شيئا من الضفة الأخرى، إن العمل الذي يقوم به المعمر هو أن يجعل حتى أحلام المستعمر في الحرية مستحيلة والعمل الذي يقوم به المستعمر هو أن يتصور جميع الوسائل المكنة لإبادة المعمر. إن الانقسام الثاني الذي أوجده المعمر قد ولد على مستوى التفكير انقسامًا ثانيًا في ذهن المستعمر.

إن ظهور المعمر كان معناه لدى المستعمر موت المجتمع الأصلي، وفناء أن الحياة لا يمكن أن تعود إلى الانتثاق إلا من جثة المعمر حين يصبح المعمر الثقافة القديمة، وتجدد الحياة في الأفراد، في أن معا خالمستعمر يرى الآن جثة متفسفة. ذلكم هو التناوب الكامل بين تفكير المعمر وتفكير المستعمر.

غير أن هذا العنف، لأنه العمل الوحيد الذي يقوم به الشعب المستعمر، يكتسى طابعا إيجابيا انشائيا. فإن هذا الكفاح العنيف يجمع الأفراد، إذ أن كل واحد منهم يصبح حلقة حنيقة في السلسلة الكبرى في الجسم الكبير العنيف الذي انبجس ردا على علف الاستعمار. فإذا الفئات المتخلفة يعرف بعضها بعضا ويلتقي بعضها ببعض، وإذا الأمة المقبلة تكون منذ الآن كتلة غير منقسمة. إن الكفاح المسلح يعبئ الشعب، أي يقذفه في إتجاه وحيد ليس له ثان.

إن تعبئة الجماهير، حين تتحقق بمناسبة حرب التحرير، تبث في ضمير كل فرد فكرة القضية المشتركة بالمعير الوطني والتاريخ القومي، لذلك نرى المرحلة الثانية، أي مرحلة بناء الأمة، يسهلها وجود هذا الاندماج الذي عجن بالدم والمقد. وهنا نفهم أصالة الألفاظ المستعملة في البلاد المتخلفة. لقد كان الشعب يدعى في عهد الاستعمار إلى الكفاح ضد المستعمر الفاشم. حتى إذا تحقق التحرر الوطني، أصبح يدعى إلى الكفاح ضد الفقر، ضد الأمية، ضد التخلف الاقتصادي خالكفاح يظل مستمرا، ويتحقق الشعب من أن الحياة معركة دائما لا تنتهي. قلنا إن العنف الذي يعمد إليه المستعمر يوحد الشعب، والواقع أن الاستعمار هو بحكم تركيبه يفرق صفوف يفرق صفوف الشعب ويفذئ النزعة القليبية إن الاستعمار لا يكتفى بأن يعلم أن هناك قبائل، وإنما هو يعزّز وجود هذه القبائل، ويفصل بعضها عن بعض، ويميز بعضها عن بعض. إن النظام الاستعماري يفذئ الزعامات المحلية وينشط الانقسامات الدينية. ولكن العنف يوحد بين الأفراد على الصعيد القومي. وهو ذلك يعمل في أرحامه بنور القضاء على القليبية والقليبة ومن أجل هذا نرى الأحزاب الوطنية تقسو قسوة خاصة على الزعماء التقليديين، أن تصفية هؤلاء الزعماء تمهيد لتوحيد الشعب.

والعنف يظهر الأفراد من السموم . أنه يخلص المستعمر من مركب النقص الذي يعيث في نفسه فسادا ، ويحرره من موقف المشاهد أو اليائس أنه يريد إليه شجاعته ، ويرد إليه اعتباره في نظر نفسه . وحتى حين يكون الكفاح المسلح رمزيا . وحتى حين ينتهي بتصفية الاستعمار تصفية سريعة ، فإن الشعب يتسع وقته لأن يدرك أن هذا التحرير قد قام به جميع الأفراد وقام به كل فرد ، وأن القائد لا يمتاز بفضل خاص . إن العنف يرفع الشعب إلى مستوى القائد . ومن هنا كان ذلك النوع من الهجوم على الآداة البروتوكولية التي تبادر بعض الحكومات الفتية إلى استعمالها . إن الجماهير التي شاركت بالعنف في التحرير الوطني لا تسمح لأحد أن يعد نفسه محررا . إنها حريصة أشد الحرص على شجرة نضالها . وهي تحاذر أن تمهد بمستقبلها وإقدها ومصير شعبها إلى اله معبود . لقد كانت بالأمس غير مسئولة ولكنها تريد اليوم أن تفهم كل شيء وأن تقرر كل شيء . إن الضمير الذي أضاعه العنف بنوره ، يستعصى على كل محاولة لتهدئة الخواطر . ولذلك فإن مهمة النجاليين والانتهازيين والسحرة ستكون مهمة شاقة . إن النضال الذي قذف بالجماهير إلى مهركة حامية يكسبها ميلا قويا إلى الأمور المحسوسة الملموسة ويصبح من المستحيل على أحد أن يضلها ويلفتها عن أمرها .

فرانز فانون في سطور

* ولد فرانز فانون سنة ١٩٢٥ به فور دي فرانس في جزر المارتينيك ، وتوفي بمرض سرطان الدم في أحد مستشفيات واشنطن سنة ١٩٦١ . وحملت طائفة ما جثمانه إلى تونس ، ومن هناك اخترق المجاهدون بعبثه الحدود مكفئا بالعلم الجزائري ، ليدفنه في تراب الجزائر عند مزابي المقاتلين كما أراد .

* عانى في بلده شعور المذلة والهوان من وجود الاستعمار الفرنسي ، درس الفلسفة والطب النفسي بمدينة ليون بفرنسا ، وكان أثناء دراسته يقوم بنشاط سياسي : يشارك في أعمال طلبة المستعمرات ، ويتصل بالناضلين السياسيين ، حتى إذا تخرج متخصصا في الطب العقلي عين طبيبا للأمراض العقلية بمدينة بليدة بالجزائر .

* التحق بجهة التحرير سنة ١٩٥٧ بعد أن قدم استقالته من منصبه كرئيس لمستشفى الأمراض العقلية في رسالة رائعة تصف جريمة الاستعمار الغربي الذي يضع الإنسان ويقتل إنسانيته .

* شارك الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في بعض المهام : الإحلام والتمثيل الدبلوماسي .

* من آثاره : مغرب الأرض ، بشرات سوداء وأقنعة بيضاء ، والعام الخامس للثورة الجزائرية .

تحديث العقل العربى دعوة مفتوحة لحوار نظرى

د. عاطف احمد

لا أبالغ إذا قلت إن من أهم المسائل الفكرية التى شغلت تفكيرى لسنوات طويلة، مسألة تحديث العقل العربى وما يرتبط بها من إشكاليات وقضايا ذات مستويات وأنواع مختلفة.

وأعنى بالعقل العربى هنا: طريقتنا فى التفكير والانفعال والسلوك.

وأعنى بالحدائق: تبنى الفهم الحديث للفرد الإنسانى بوصفه كيانا مستقلا بذاته ومتساويا مع الآخرين جميعا، والتفكير المنطقى فى كل أمور الحياة، والانشغال بالتعامل الفعال مع الواقع من أجل فهمه وتفسيره وتغييره إلى الأفضل.

وأتصور أن عملية تحديث العقل العربى تتكون من ثلاثة عناصر على الأقل:

أولا: الاستيعاب النقدي للموروث الثقافى الدينى: ويمكن لتيار «الإسلام النقدي»، أن يلعب دورا فاعلا ومؤثرا فى المجال.

وثانيا: تبنى وتأسيس الموقف العلمانى: وأعنى بالعلمانية هنا، وكما أشرت فى أكثر من مكان، موقفا من المعرفة يتسم بمعالجة المسائل التى يطرحها الواقع وفقا للمعطيات ومن خلال المفاهيم المستمدة من الخبرة الإنسانية العقلانية والعلمية والموضوعية، بذلك الواقع، وباستقلال تام عن أية سلطة معرفية تنسب لنفسها مرجعية فوق بشرية. والعلمانية، بذلك المفهوم، ليست ضد الدين بحال من الأحوال، وإنما هى ضد الدينوية: أى محاولة إضفاء طابع دينى على ما هو خارج

نطاق الدين، أي خارج نطاق المعتقد الإيماني الشخصي والممارسة العبادية الشخصية المترتبة عليه.

وثالثاً: التوصل من خلال الحوار المفتوح والخلاق إلى منظومة فكرية ما ، تتكون من فرضيات تفسيرية عريضة تتسم بقدرتها على تحليل وتعليل ظواهر الواقع بحيث تتمكننا من السيطرة عليه وإعادة تشكيله بصورة أكثر إنسانية.

وهذا العنصر الأخير ، ما أود طرحه الحوار المفتوح لكافة المهتمين بالفكر النظري من كتاب ومفكرين وباحثين ومتقنين وقراء علي السوء، وعلى تباين مواقفهم الفكرية وتوجهاتهم الأيديولوجية. ولعل أكثر تلك المنظومات الفكرية شيوعاً هي: المنظومة الليبرالية، والمنظومة الدينية، والمنظومة الماركسية.

فأما المنظومة الليبرالية، فقد أصبحت مهيمنة على مختلف المستويات، بل وامتد تأثيرها إلى المنظومات الأخرى. لكنها رغم ذلك، ومن بعض جوانبها علي الأقل، تلقى معارضة واسعة من جانب كثير من شعوب العالم الثالث على الأخص، حيث إن أثارها الاقتصادية بالذات تتعارض مع مصالح الغالبية العظمى من أفراد تلك الشعوب ومع العدالة الاجتماعية في الوقت نفسه وربما بسبب ذلك.

وأما المنظومة الدينية، فقد شهدت اهتماماً واسعاً لدى شعوب العالم الثالث. ربما كنوع من محاولة الدفاع عن الهوية الثقافية المهددة بالاختراق، إن لم تكن بالضياح، أمام تدفقات القيم والمعلومات وأنماط الحياة الوافدة من الخارج. وربما كنوع من العزاء لما تعانيه تلك المجتمعات من إحباطات متزايدة دون حلول تلوح في الأفق القريب أو حتى البعيد. وربما أيضاً، بالنسبة للحكومات، كنوع من محاولة إضفاء الشرعية السياسية على نظم الحكم التي تفتقد إلى شرعية لدى شعوبها. وربما لتلك الأسباب مجتمعة، وهو الأرجح علي أنها تتسم بأنها ذات بيعة منفصلة تحول بينها وبين الانفتاح على مشكلات الواقع الحي، من ناحية وتحول من ناحية أخرى بين الباحث الموضوعي وبين الاقتراب منها بالقدر الكافي لفهمها وتحليلها.

أما المنظومة الماركسية والتي أتصور أنها ذات جدارة وذات إمكانات تفسيرية عالية، فقد عانت طويلاً من هيمنة الصياغة السوفيتية، ثم لما تفكك الاتحاد السوفيتي ذاته، عانت أيضاً - بسبب ذلك - من فقدان المصداقية علي المستوى العام، وإن كانت ، في الوقت نفسه، تحررت من أحادية الصياغة وكشفت عن إمكانات نظرية خصبة وعن قدرات تفسيرية واسعة المدى.

وربما يكفي هنا، للتدليل على أهمية وجدارة النظرية الماركسية، أن أشير إلى تقييم أحد أشهر فلاسفة العلم المعاصرين والذي هو، في الوقت نفسه، من أشد نقاد الماركسية، وهو كارل بوبر. يقول بوبر: كان فكر ماركس في كثير من مضمونه، ذا تأثير بالغ وواسع النطاق في جميع

مجالات العلوم الإنسانية بحيث إن التفكير في هذه العلوم قبل ماركس غيره بعده من وجوه كثيرة. وهذه الحقيقة تنطبق على من يتفوقون ومن لا يتفوقون معه من المشتغلين بهذه العلوم. وقد كانت مواهب ماركس نظرية أساسا، وقد كرس حياته للدفاع عن التقدم الإنساني مستخدما ما اعتقد أنه رؤية علمية.

وقد بنى ماركس على هذه الرؤية نبوءات عن مسار التاريخ لم تتحقق. لكن المسألة الأهم هنا هي أنه تعامل مع الرؤية التاريخية على أنها الطريقة العلمية للتعامل مع المشكلات بل إنه يذهب إلى أن: الأمر الجدير بالملاحظة هنا، هو أن المسار الذي اتخذته التطور التاريخي للرأسمالية جاء مخالفا، من بعض الزوايا على الأقل، لنبوءات ماركس. بل يمكن القول إن الثورة الاشتراكية السوفيتية كانت في حد ذاتها تحديا لمسار الثورة الاجتماعية/ السياسية كما تصوره ماركس في بعض كتاباته.

رغم ذلك، لا يملك إلا أن يعترف: بأن تبصرات ماركس وتحليلاته للظواهر الاجتماعية تظل قادرة على إلهام المشتغلين بالعلوم الإنسانية في كافة فروعها (راجع K.R Popper; The Open Society and its Enemies, Vol.2 Routledge)

فهذا إذن تقييم بوير وهو ليس مقفرا في إقراره بجدارة الماركسية في العلوم الإنسانية. فكثر من الكتابات المعاصرة في ذلك المجال لا تخلو من التأثيرات النظرية لتبصرات ماركس وتحليلاته. كذلك فثمة مناقشات ومراجعات تجرى على مختلف المستويات لقراءة ماركس في ضوء جديد، خاصة في أوروبا وأمريكا اللاتينية.

وعلى الرغم من تلك المناقشات والمراجعات المتعددة والمتعمقة التي تشهدها القراءة الماركسية، فإننا في عالمنا العربي، ظللنا محصنين ضدها، متمسكين بتصوراتنا ومفاهيمنا القديمة أو تابعين لاتجاه أو آخر من الاتجاهات الغربية، دون أن تفتح الباب لمناقشات واسعة وراديكالية تطرح كل المسائل للبحث دون أية حساسيات أو تحيزات قديمة أو حديثة.

وسوف أحاول فيما يلي من أعداد، أن أعرض لواحدة على الأقل من تلك المحاولات، التي أرى أنها تتسم بالجدية والعق، لطرح بعض الإشكاليات النظرية التي تتطوى عليها النظرية الماركسية. أعني هذا، كتاب الفكر الماركسي البريطاني جورج لارين «المادية التاريخية: إعادة البناء» والذي صدر في لندن عام ١٩٨٦ عن دار Allen & Unwin والمتوقع صدوره قريبا باللغة العربية.

ولست أهدف من ذلك إلى الدعوة لتبني ما وصل إليه من نتائج، بقدر ما أهدف إلى التبصر بما عرض من إشكاليات وما طرح من تساؤلات، والتعرف على الطرق التي حاول من خلالها أن يعالج التناقضات والتوترات التي تكشف له في كتابات ماركس.

ذلك أني أتصور أن مثل ذلك التبصر من شأنه أن يسهم أولا في استثارة قدرتنا على الوعي



والتحليل النظرى، وثانياً فى تغيير موقفنا من الماركسية بمعنى تحويلها لدينا من المستوى العقيدى شبه التقديسى الفرضيات التفسيرية التى هى - بحكم طبيعتها - قابلة للصواب والخطأ. وهو المستوى الذى يسمح بالتالى بالاختلاف أو الاتفاق معه بون إدانة أخلاقية أو تجريم وطنى.

ولعل مصدر الإشكالية الرئيسية فى الماركسية هو طموحها إلى أن تكون تحليل علمياً صرفاً (وفقاً لمفهوم العلم فى القرن التاسع عشر) ومشروعاً علمياً لتحرير البشرية فى وقت واحد، وربما دون أن تميز بوضوح بين هذين المستويين من التنظير.

فذلك التناقض بين الطبيعة العلمية والمشروع التحريرى، ربما كان هو المسئول عن بعض التوترات فى النظرية الماركسية. مثل تأسيس جدل الحياة الاجتماعية على جدل الطبيعة، وألوية الوجود المادى على الوعى، وتحديد آلية التغيير الاجتماعى فى قوى الانتاج، وحتمية التطور التاريخى وفق قوانين طبيعية.

ومثل تلك التوترات، وأصولها لدى ماركس وإنجلز، وكيفية تجاوزها من خلال المفهوم الماركسى للممارسة الاجتماعية التاريخية، هى ما يعالجه لارين فى كتابه، وهى ما سأعرضها على التوالى فى أعداد قائمة

لاتصالح

امل دنقل

للبيت رب
والطفل رب
هل يصير دمي - بين عينيك - دماء؟
أتتسى رداثي اللطخ..
تلبس فوق دماثي - ثيابا مطرزة بالقصب؟
إنها الحرب!
قد تتقل القلب..
لكن خلفك عار العرب..
لا تصالح..
ولا تتوخ الهرب!
ولا تصالح على الدم.. حتى بدم!
لا تصالح! ولو قيل رأس برأس.
أكل الرؤوس سواء؟
أقلب الغريب كقلب أخيك؟
أعيناه عينا أخيك؟
وهل تساوى يد.. سيفها كان لك [بيد سيفها
أنتك

لا تصالح!
.. ولو منحوك الذهب
أترى حين أفقا عينيك،
ثم أثبت جوهرتين مكانهما..
هل ترى...؟
هي أشياء لا تشتري..
ذكريات الطفولة بين أخيك وبينك،
حسكما - فجأة - بالرجولة،
هذا الحياء الذي يكبت الشوق.. حين
تعانقه،
الصمت - مبسمين - لتائب أمكما
وكائنكما
ما تزالان طفلين!
تلك الطمانينة الأبدية بينكما:
أن سيفان سيفك..
صوتان صوتك
أنك إن مت:

سيقولون:

جئناك كى تحض الدم

جئناك كن - يا أمير - الحكم

سيقولون:

ما نحن أبناء عم

قل لهم: إنهم لم يراعوا العمومة فيمن هلك

وأغرس السيف فى جبهة الصحراء ..

إلى أن يجيب العدم ..

إننى كنت لك ..

فارسا ..

وأخا ..

وأيا .. وملك!

لا تصالح .. ولو حرمك الرقاد

صرخات الندامة ..

وتذكر ..

((إذا لأن قلبك للنسوة اللابسات السواد

ولأطفالهن الذين تخافصنوا الابتسامه))

أن بنت أخيك «اليمامة» ..

زهرة تتسريل - فى سنوات الصبا -

بثياب الحداد

كنت ، إن عدت:

تعدو على نرج القصر.

تمسك ساقى عند نزولى ..

فأرفعهما - وهى ضاحكة

فوق ظهر الجواد

ها هى الآن .. صامتة -

حرمتها يد الغدر:

من كلمات أبيها،

ارتداء الثياب الجديدة.

من أن يكون لها - ذات يوم - أخ!

من أب ييسم فى عرسها ..

وتعود إليه إذا الزوج أغضبها ..

وإذا زارها .. يتسابق أحفاده نحو

أحضانه.

لبنالوا الهدايا ..

ويلهوا بلحيته (وهو مستسلم)

ويشدوا العمامة ..

لا تصالح

فما ذنب تلك اليمامة

لترى العش محترقا .. فجأة.

وهى تجلس فوق الرماد!

لا تصالح ..

ولو توجوك بتاج الإمارة ..

كيف تخطو على جثة ابن أبيك ..؟

وكيف تصير المليك ..

على أوجه البهجة المستعارة؟

كيف تنتظر فى يد من صالحوك ..

فلا تبصر إلا الدم ..

فى كل كنف؟

إن سهما أتانى من الخلف ..

سوف يجيبك من ألف خلف ..

فالدم - الآن - صار وصاما وشارة ..

لا تصالح،

ولو توجوك بتاج الامارة ..

إن عرشك : سيف

وسيفك: زيف

إذا لم تزن - بذوابته - لحظات الشرف

وأستطبت - الترف

لا تصالح

ولو قال من مال عند الصدام

«.. ما بنا طاقة لا متشاق الحسام»

عندما يملأ الحق قلبك:

تندلع النار إن تتنفس

ولسان الخيانة بخرس

لا تصالح.

ولو قيل ما قيل من كلمات السلام..

كيف تستنشق الرئتان النسيم المندس؟

كيف تنظر في عيني امرأة..

أنت تعرف أنك لا تستطيع حمايتها؟

كيف تصبح فارسها في الغرام؟

كيف ترجو غدا.. لويد ينام..

- كيف تحلم أو تتغنى بمستقبل لغلام..

وهو يكبر - بين يديك - بقلب منكس؟

لا تصالح..

ولا تقسّم مع من قتلوك الطعام..

وأرو قلبك بالدم..

وارو القراب المقدس

وارو أسلافك الراقدين..

إلى أن ترد عليك العظام!

لا تصالح

ولو ناشدتك القبيلة..

باسم حزن «الجليلة»

أن تسوق الدماء..

وتبدى - لمن قصودك - القبول..

سيقولون:

ها أنت تطلب ثأرا يطول

فخذ - الآن - ما تستطيع:

قليلا من الحب.

في هذه السنوات القليلة

إنه ليس ثأرك وحدك

لكنه ثأر جيل فجيل

وغدا..

سوف يولد من ليس الدرع كاملة،

يوقد النار شاملة،

يطلب الثأر،

يستولد الحق،

من أضلع المستحيل.

لا تصالح..

ولو قيل أن التصالح حيلة..

إنه الثأر ..

تبتهت شعلته في الضلوع..

وإذا ما توالى عليها الفصول..

ثم تبقى يد العار مرسومة (بأصابعها

الخمسة)

فوق الحياة الذليلة!

لا تصالح، ولو حذرتك النجوم..

ورمى لك كهانها بالنبا..

كنت أغفر لو إننى مت..

ما بين خيط الصواب وخيط الخطأ..

لم أكن غازيا،

لم أكن أتسلل قرب مضاربهم..

أو أحوم وراء النجوم..

لم أمد يدا لشار الكروم..

أرض يستأنهم لم أطا..

لم يصح قاتلى بى: «أنتبه»!

كان يمشى معى..

ثم صافحنى ..

ثم سار قليلا..

ولكنه فى الفصول اختبأ!

فجأة:

تثبتنى قشعريرة بين ضلعين..

واهتز قلبي - ككفاعة - وانفثا!

وتحاملت، حتى احتملت على ساعدي..

فرايت: ابن عمي الزنيم..

واقفاً يتشفى بوجه لثيم..

لم يكن في يدي حرية..

أو سلاح قديم..

لم يكن غير غيظي الذي يتشكى الظما..

لا تصالح..

إلى أن يعود الوجود لنورته الدائرة:

النجوم.. لميقاتها..

والطيور لأصواتها..

والرمال.. لدراتها..

والقتيل لطفلة الناطرة..

كل شيء تحطم في لحظة عابرة:

الصبا - بهجة الأهل - صوت الحصان -

التعرف بالضيف - همهمة القلب حين يرى

برعما في الحديقة ينوي - الصلاة لكي ينظر

المطر الموسمي - مراوغة القلب حين يرى

طائر الموت..

وهو يرقرف فوق المباراة الكاسدة

كل شيء تحطم في نزوة فاجرة..

والذي اغتالني: ليس ربا..

ليقتلني .. بمشيتة..

ليس أنبل مني.. ليقتلني بسكينته..

ليس أمهر مني .. ليقتلني باستدارته

المأكرة..

لا تصالح..

فما الصلح إلا معاهدة بين ندين..

(في شرف القلب)

لا تنتقص [والذي اغتالني محض لص..

سرق الأرض من بين يدي..

والصمت يطلق ضحكته الساخرة!

لا تصالح..

ولو وقفت ضد سيفك كل الشيوخ..

والرجال التي ملاكها الشروخ..

هؤلاء الذين يحبون طعم الثريد

وامتطاء العبيد..

هؤلاء الذين تكدت عمائمهم فوق أعينهم،

وسيقوهم المربية قد نسيت سنوات

الشموخ..

لا تصالح..

فليس سوى أن تريد..

أنت فارس هذا الزمان الوحيد..

وسواك.. السوخ!

لا تصالح..

لا تصالح؟



قوس قزح جماهيرية أمل دنقل

حلمس سالم

علاقة شعر أمل دنقل بالجماهير العريضة هي واحدة من أعمق العلاقات التي كونها الشعراء العرب بجماهيرهم عبر تاريخنا الأدبي الشعري الحديث، بحيث يمكن أن نضعه إلى جانب بيرم التونسي وأحمد شوقي، في دائرة الشعراء ذوي «الجماهيرية» الواسعة. وإذا كان بيرم التونسي قد ساعدته في تكوين هذه «الجماهيرية العريضة» اللغة العامية التي كانت أدوات في الإنشاء الشعري، وقاطعة له خطوات عديده في شوط الاتصال الجماهيري، فضلاً عن «وسيطه الغناء» (أم كلثوم وغيرها) الذي حمل شعره على بساط الريح إلى كل أذن عربية. وإذا كان أحمد شوقي قد ساعدته صلته بالقصر وبالنظام السياسي الاجتماعي والإعلامي والتعليمي (كان «الأهرام» ينشر قصيدته في الصفحة الأولى صبيحة كتابتها، وكان شعره مقرراً في سائر مراحل التعليم)، فضلاً عن «وسيط الغناء» (أم كلثوم وغيرها) الذي حمل شعره على بساط الريح إلى كل أذن عربية.

فإن أمل دنقل قد كون «جماهيرية» العريضة وهو خالي الوفاض من هذه العوامل المساعدة أو المؤثرات الخارجية التي عاونت بيرم وشوقي بل كان على الضد من بعض هذه العوامل: لم يكتب بالعامية، إنما كتب بالعربية الفصحى بل والفصحى المكينة المتينة. ولم يكن متوائماً مع النظام السياسي والاجتماعي والإعلامي والتعليمي، بل كان معارضاً له متمرداً عليه، محجوباً وممنوعاً من الإعلام والتلفزيون والتعليم.

ذلك يعنى أن دنقل كَوْنُ جماهيريته العريضة بدون عوامل مساعدة، أى بمحض القدرة الذاتية لشعره.

يستطيع النقاد المتخصصون (ولستُ منهم) أن يرصدوا خصائص عديدة شكلت هذه الجماهيرية العريضة، لكننى - كشاعر - سأكتفى بوضع اليد على ثلاث خصائص أراها لعبت الدور الأساسى فى تكوين جماهيرية دنقل العريضة.

أولى هذه الخصائص: اتكاء دنقل على التراث القديم (لاسيما العربى الإسلامى) مما وقّر أرضية عمومية أولية مشتركة بينه وبين القارئ وعلى هذه الأرضية المشتركة يستطيع أن ينوع الشاعر المتعمد أشكال اتكائه على التراث:

استلهاماً أو نقداً، تناصاً أو تعارضاً، قطعاً أو وصلاً، معاكساً أو عصرياً وكلها إشكال من الاتكاء توفر - على الحديث، الذى لن تخفى على القارئ الحصيف مقامته الجريئة: الانطلاق من ماضيين (هما اللغة المكنية والتراث القديم) لصنع قصيدة معاصرة مشتبكة مع اللحظة الراهنة اشتباكاً مشتغلاً.

ثانية هذه الخصائص: اتصال دنقل بهوم وطنه ومواطنيه، الماسة المباشرة، وتعبيره الصادق الصادم عن أشواق شعبه: فى الحرية التى تخلصه من ريقه المستعمر الخارجى ومن ريقه المستبد الداخلى على السواء، وفى العدل الذى يقيه ذل لقمة العيش ويمنح الإنسان كرامة الإنسان.

وقد وصل ذلك التماس الحار بهوم الوطن وأشواق المواطن إلى لحظات نزوة عديدة بلغ فيها مبلغ «النتب» الذى ينتج عن نفاذ البصيرة وصدق الرؤية، على النحو الذى جعله يحذر من الجيوش الفازية، بلسان (وعيون) زرقاء اليمامة، وجعله ينبّه شعبه مراراً إلى أن الطواوير التى تصطف فى عيد الجلاء لا تمنع انتصارات وأن الرصاص التى تدفع فيها ثمن الكسرة والقواء لا تقتل الأعداء، إنما تقتلنا نحن إن رفعا صوتنا جهاراً، وجعله يحذر قادته السياسيين ومواطنيه العاديين من أن «يصلحوا» العدو، لأن فى مصالحته الموت والهوان والخراب، وكل ما حذر منه الشاعر قد حدث، وشواهدنا على ذلك أكبر من الإحصاء.

ثالثة هذه الخصائص: التفسير الموفقة التى نسجها الشاعر بين «الموقف السياسى الاجتماعى الناصع» و«التشكيل الفنى الجمالى القيم»، متفادياً بذلك الوقوع فى أحد الزلقين الشهيرين: مزلق إعلاء المضمون الثورى المضى: على حساب التشكيل الفنى الرفيع، أو مزلق إعلاء التشكيل الفنى الرفيع على المضمون الثورى المضى لقدنحج الشاعر فى تلك الموازنة الرهيبة بين الموقف الناصع والتقنية العالية، النجاح الذى يعزُّ على الكثيرين.

نحن، إذن، فى حاجة دائمة إلى أمل دنقل.



ويقتل أبناءه الشعر

عبد المنعم عواد يوسف

لا أعتقد أن هناك شاعراً آخر من شعراء مرحلة ما بعد جيل الرواد قد بلغ ما بلغه الشاعر الكبير الراحل أمل دنقل من قوة التأثير في مجرى شعرنا المصرى الحديث.

لقد ارتفع هذا الشاعر المتفرد إلى مستوى رفيع من الإبداع الشعرى لم يبلغه غيره ، من حيث المضمون الفكرى والصياغة الفنية .

ولا أحسب أن في شعرنا المصرى -خاصة- والعربى- بشكل عام- قصائد كثيرة تصل إلى عمق التأثير الذى بلغته مجموعة متميزة من قصائد شاعرنا الكبير مثل: البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ، ولا تصالح ، ويا أبنائنا الذى فى المباحث ، والكعكة الحجرية وغيرها.

لقد حقق أمل دنقل فى أمثال هذه القصائد ما يصبو إلى تحقيقه الشعراء الحقيقيون من وصول إلى حل المعادلة الصعبة والتى تتلوه فى تقديم أدب تحريرى يتبنى القضايا القومية والوطنية دون التفریط فى الآليات الفنية التى تجعل من الشعر إبداعاً حقيقياً يتضمن كل عناصر الفن الجميل.

ملاً أمل دنقل الساحة الشعرية منذ أوائل الستينيات بحضوره القوي فى كل تجمعات الأدباء والمثقفين والى لا تخلو منهم أماكن معينة فى وسط البلد وميدان التحرير وشارع قصر العينى مثل: إيزافتش وريش وأتيليه القاهرة، والجويون ودار الأنباء ولاباس وغيرها.

كان أمل دنقل ينتقل بين هذه الأماكن ومعه قصائده التى يقبل على الاستماع إليها رواد هذه الأماكن



بحماس شديد .

وكان التجارب بينه وبين المثقلى عميقا لأنه وجد فى شعره ما يتوق إليه من أدب يحقق المتعة والالتزام بالقضية الوطنية فى الوقت ذاته .

بدأ ظهور أمل دنقل على الساحة الثقافية منذ أوائل الستينيات -كما ذكرت- وبدأ بقصائد عمودية ذات مذاق خاص ، ثم تحول إلى القصيدة التفعيلية مفجرا كل طاقات الإبداع فى هذا الشكل الجديد . وربطتني به منذ ظهر على الساحة الثقافية صداقة أعتز بها وكثيرا ما كان يطلب منى سماع قصائد يعينها من شعري ، ولعل هذا يفسر تضمينه لجزء من قصيدتي «وكما يموت الناس مات» فى مقطع من قصيدته «مقتل القمر» وهو الأمر الذى أشار إليه ناقد سورى فى مجلة الأسبوع الأدبي» التى يصدرها اتحاد الكتاب قائلا: إن أمل دنقل تأثر فى هذه القصيدة بشعر عبد المنعم عواد يوسف ، وأنا لا أرى فى الأمر تأثرا بقدر ما هو عناق فنى بين شاعرين منبثقين .

وأمل دنقل لم يكن يكتب الشعر ، وإنما كان يعيشه ، وهو يستهلك حياته فى الوقت ذاته ، وهذا ما عبرت عنه فى إحدى القصيدتين اللتين كتبتهما فى رثاء الشاعر الصديق:

ويقتل أبناء الشعر

يقتل أبناء

من سوى الشعر يقتل أبناءه

يتغذى على جثث من ينيه

من غيره الشعر يطرح عبر دروب الردى ماشقيه

ومن غيره الشعر يغرز مدينة فى قلوب المحبين ،

بشريةهم قطرة قطرة .

أه هذى دماؤهم مله فيه

ضحاياه ، نحن أحيائه ، لعنة تلك

نينيه ، يهدمنا ،

همننا الشعر ، لستنا وإن ننزل فى مهوى الردى طارحيه

محاولة للرؤية

" داود عبد السيد " سينما

محمد رجا

فى إطار برنامجه " المخرج المؤلف " قام المركز الفرنسى للثقافة والتعاون بالمنيرة باختيار اثنين من المخرجين الذين يكتبون أعمالهم السينمائية وهما :- من فرنسا " أريك دومير " ، ومن مصر " داود عبد السيد " ، ويقدم المركز المخرج المصرى على النحو التالى :

" داود عبد السيد " السيناريست والمخرج المصرى ولد فى القاهرة عام ١٩٤٦ ، وحصل على بكالوريوس المعهد العالى للسينما عام ١٩٦٧ ، بدأ مشواره السينمائى بإخراج العديد من الأفلام القصيرة قبل أن يقوم بكتابة وإخراج أول فيلم روائى طويل عام ١٩٨٥ وهو " الصعاليك " والذى يعد من أفضل ما أنتجه جيل السينما المصرية الجديد (ولكن بالرغم من ذلك فلم يقوم المركز بعرض أول أفلامه " الصعاليك " وثائى أفلامه " البحث عن سيد مرزوق " وتم عرض المركز خمسة أفلام لداود وهى على التوالى - كما عرضها المركز - (الكيت كات ، سارق الفرح ، أرض الأحلام ، أرض الخوف ، مواطن ومخبز وحرامى) والتي تعتبر بالإضافة إلى العملين السالف ذكرهما حصيلة أعمال " داود " الروائية الطويلة خلال ثمانية عشر عاماً. وهذه محاولة للإمساك برؤية داود عبد السيد فى أفلامه الروائية السبعة.

شهد العالم تغيرات جذرية طرأت على النواحي كافة في العقدين السالفين ، كان من شأن هذه التغيرات أن تصيب قوالب التعبير السينمائي في مصر عقد الثمانينيات ، حيث ظهر اتجاه سينمائي جديد بعيد النظرة عميق التجربة ، اتفق النقاد على تسميته الواقعية الجديدة (امتداداً لواقعية الثلاثينيات ' كمال سليم ، كامل التلمساني ' ، وواقعية الخمسينيات والستينيات " توفيق صالح ، صلاح أبو سيف) ، ظهر ذلك الاتجاه الواقعي كرد فعل طبيعي لتلك التغيرات التي هي في الأساس إنعكاس لسياسة الانفتاح الإقتصادي ، وظهور أشباح الرأسمالية ، ومن أبرز مخرجي هذا الاتجاه " داود عبد السيد " الذي عبر عن سياسة الانفتاح تلك بشكل مباشر من خلال فيلمه الأول (الصعاليك) ١٩٨٥ ، والمتابع لإنتاج " داود " يكتشف أن الصعاليك هو الفيلم الوحيد الذي يمكن الخروج منه بقرأة واحدة وهي الرغبة في كشف مجتمع الإنفتاح ، وتعريه سادة اليوم / صعاليك الأمس ، ويخالف هذه التجربة تلتى جميع أعمال " داود " متعددة المستويات عند التلقى ، مختلفة التفسيرات عند التحليل ، وهي على التوالي (البحث عن سيد مرزوق ، الكيت كات ، أرض الأحلام ، سارق الفرح ، أرض الخوف ، مواطن ومخبر وحرامي) .

ويمكن القول بأن " نقد الواقع الاجتماعي من خلال النظام الرأسمالي السائد " خيط واحد يربط جميع أعمال " داود " حيث يتناول ذلك في كل فيلم من زاوية مختلفة :- فنجد أنه يظهر مدى تحقيق الرأسمالية للإنسان ودورها في اختفاء قيمة الصداقة ، والعلاقات الحميمة في (الصعاليك) ، في حين يرصد واقع المهشين في ظلها من خلال (الكيت كات ، سارق الفرح) حيث صرح على لسان " الشيخ حسني " (الكيت كات) إنها مشكلة الناس التي يعيشون ولازم تعيش " ، وعلى صعيد آخر يكشف مدى قدرة الرأسمالية على أن تخلق عالماً غامضاً يعيش فيه الإنسان غريباً أو غافلاً في فيلم (البحث عن سيد مرزوق) ، ومن جهة أخرى يؤكد على دور تلك الرأسمالية في اتساع نطاق التجارة المحرمة (المخدرات) التي كانت موضوع فيلمه (أرض الخوف) ، وأخيراً يرصد تطورات الجوانب الثقافية ، والإنسانية التي اتسمت بالفوضى والعشوائية في الآونة الأخيرة عن طريق ظهور قيم جديدة مثل الرغبة في الهجرة أو الهروب من الواقع ، وارتفاع قيمة كل ما هو مادي (أرض الأحلام ، مواطن ومخبر وحرامي) ، وقد ظهر في (مواطن ومخبر وحرامي) قدرة النظام السائد في التسلل لحياة الإنسان شاء أم أبى ، وبالرغم من هذه النظرة السريعة فإن التسليم بها فحسب يجعلها نظرة مخطئة ، حيث تمتد رؤية " داود " إلى ما هو أبعد من ذلك ، فهو يعبر عن إنسان فقد إنسانيته ، وتنازل عن أحلامه ، وأصبح سجين نفسه قبل أي شيء آخر ، يصرف النظر عن تجديد نظام بعينه أو زمان أو مكان ، وقد ظهر ذلك في اكمل صورة من خلال شخصية " ركية " فيلم (سارق الفرح) الذي يريد أن يطير ويخلص من القيود المادية كآمه ، والأرض التي يضرها بعصاه كلما مشى ، ولكن قانون الجاذبية يحول دون تحقيق رغبته ، بل ويكون سبباً في وفاته عندما يحاول الطيران للمرة الأولى في حياته ، ويظهر أيضاً تعبير " داود " عن الإنسان المتردد الذي تنازل عن أحلامه ورغباته وإنسانيته في سبيل أشياء مادية " البسبور وتذكرة السفر إلى أمريكا " فيلم (أرض الأحلام) ، كذلك (التقارير " فيلم (أرض الخوف) ، ففي هذين الفيلمين أخذت الشخصيات الرئيسية تبحث عن أشياء مادية قريبة منها دون أن تبحث عن شيء أهم من ذلك المادي هو أن تبحث عن ذاتها .. ويمكن إرجاع هذا التشابه الواضح في التعبير عن الإنسان إلى أن " داود " يعتمد على " تيمات " محددة مثل (الغربة ، الوحدة ، القدر ، الحنين إلى أمجاد الماضي ، التحرر من القيود ، الرغبة في تحقيق المستحيل ، .. إلخ) ويوظف هذه التيمات في كل فيلم حسب مضمون الفيلم وطبيعته.

ومن خلال الربط بين هذه " التيمات " ننظر إلى أمرين :-

الأول :- أن " داود " شاهد على العالم وليس حاكماً عليه لأنه صاحب رؤية كلية ، لا يتبنى موقفاً بعينه يدافع

عنه ، ويظهر ذلك من خلال عدم تعمقه في دراما الحدث بقدر إصراره على تعرية دوافعه وأسبابه (كما جاء في فيلم " الكيت كات " حيث خلق عالماً محدود المساحة ، يئخر بالعديد من الحوارات والمتناقضات ، وبالرغم من ذلك لم يخض في دراما إحدى هذه الحوارات ، بل ركز في المستوى الأول على الروابط التي تجمع شخصيتها) وتظهر رؤيته الكلية تلك من خلال استخدامه لزوايا مرتفعة في التصوير بين الحين والآخر ، وموسيقى قد لا تتفق مع اعتمالات الشخصية بقدر ماتخط الحالة العامة الناقدة للموقف ، مما يجعل المشاهد يتوحد مع التجربة ككل وليس مع إحدى الشخصيات فحسب ، ولعل فكرة (الراوي) التي استخدمها في فيلمه الأخيرين خير دليل على أنه شاهد فقط ولا يحاول أن يفرض وجهة نظره على مشاهدي سينما . أما الأمر الثاني: - فيتمثل في قدرته على خلط الحلم بالواقع سواء بطريقة مباشرة (البحث عن سيد مرزوق) أو بطريقة رمزية (أرض الأحلام ، أرض الخوف) ولهذا لا يستطيع المشاهد - أيضاً - أن يحكم على الأشياء حيث يصيبح الواقع في الفيلم لديه حلاً لا يمكنه منطوق محدد ، وإنما تتتابع فيه الصور والأحداث والخبرات بشكل عفوي دون اللجوء إلى معيار يمكن القياس عليه ، تماماً كما يحدث في الأحلام .

ويما أنه قد قام بكتابه سيناريو جميع أعماله - عدا فيلم " أرض الأحلام " الذي كتبه هاني فوزي - نجد أنه اتبع بناءً خاصاً ظهر في هذه الأعمال ، حيث يهتم أولاً بالشخصيات ، ينفذ إلى مناطقها المعقدة ، ثم يفرد لهذه المناطق الإطار العام الذي تتحرك فيه الشخصيات ، لذا يلجأ " داود " في بعض الأحيان إلى التشريب ، واللامعقول ، وتسطيح بعض القيم حتى يبدو عالم هذه الشخصيات معتماً غامضاً ، فتقوم بورها بطرح بعض الأسئلة - أغلبها يتمثل في " ليه ؟ " وقد تأتي بشكل ملفوظ في كثير في الأحيان ومع تصاعد الخط الدرامي تتحد جميع الأسئلة لتقوم بصياغة التساؤل العام للعمل الفني ، ولهذا تأتي شخصيات " داود " في البداية مشتتة ، متزدة لاتحدد لنفسها هدفاً ، سلبية لاتتخذ أية مواقف - وقد عبر عن ذلك بصورة مباشرة في (أرض الأحلام) حيث تصطبغ " نرجس " (الشخصية الرئيسية في الفيلم) بسرائرها في كل مرة تحاول فيها القيادة - وبعد التجربة التي تعيشها الشخصيات نجد فارقاً كبيراً بين بناء الشخصية قبل وبعد التجربة ، وعلى سبيل المثال نجد " يوسف كمال " (الشخصية الرئيسية في فيلم " البحث عن سيد مرزوق ") يتسائل قرب نهاية الأحداث كيف يستطيع الرجوع إلى حياته الأولى بعد تجربة ليلة طويلة قاسية غيرت لديه العديد من المفاهيم ؟ ، ولا أدل على ذلك إلا التغير الذي يطرأ على شخصيات " داود " من خلال فيلمه الأخيرين (أرض الخوف ، مواطن ومخبر وحرامي) خاصة أن الأحداث في كليهما تقع في فترة زمنية طويلة إلى حد ما .

إن التشكيل المرئي في سينما " داود عبد السيد " يعتبر من أبرع ما قدم على شاشة السينما المصرية خلال تاريخها الطويل ، واعتقد أنه توصل إلى هذه الصيغة المرئية شديدة الحساسية من خلال إحساسه العميق بأدق تفاصيل المضمون إذ لاتوجد لديه زوائد فيلمية ، ولا عشوائية في اختيار زوايا التصوير ، أو توزيع الإضاءة ، أو طريقة الانتقال بين المشاهد أو اللقطات (قطع ، مزج ، إختفاء ، ظهور) ... إلى آخر هذه العناصر الفنية . بل نرى أن كلا منها موزن حسب أهميته في إثراء السياق الدرامي للأحداث ، وإبراز البعد النفسي للشخصيات . ويحاول " داود عبد السيد " من خلال أفلامه أن يخلق صورة سينمائية تشبه الصورة الضبابية التي عانى منها (" يحيى " الشخصية الرئيسية في فيلم أرض الخوف) حيث تكونت هذه الصورة الضبابية من جراء اختلاط :- الأحلام والأوهام بالحقائق . إن التصوير الحالم - خاصة في فيلم " الكيت كات " يرصد أبعاد المكان ، ويقوى الروابط بين الشخصيات وكل ما يقع في إطار شاشة العرض من جهة ، وبين الحالة النفسية المسيطرة من جهة أخرى . قد تكون الحركة الهائلة للشخصيات وكاميرا التصوير ، والتفكك الحالم للأحداث في أفلام " داود " لرد فعل للإيقاع السريع الذي خلقه مجتمع رأسمالي ديتاميكى على أعلى مستوى . كما ساهم في خلق هذه اللغة



السينمائية الهادئة طول المدة الزمنية للقطعة الواحدة - التي قد تتجاوز الدقيقة والنصف - حيث يعتمد مخرجنا على التأمل الدقيق في تشكيل الصورة بحيث يتمكن المشاهد من مشاركة الشخصيات لتجاربها . جات هذه الفزعة التشكيلية في أبرع صورها في فيلم (سارق الفرح) حيث استغل اتساع الأفق في الخلفية كتدور من الترجمة الرمزية لمضمون الفيلم ، حيث تكونت الخلفية من :- ١- سماء صافية يريده " ركية الانطلاق إليها ، ٢- " سلويت " لبعض المباني الضخمة قد تكون رمزاً لمظهر معماري أنتجت الرأسمالية ، ٣- " سلويت " مبنى الاذاعة والتلفزيون حيث وصف المبنى وكلته أداة الحصار المفروض على شخصيات الفيلم وذلك عندما زاور ظهور المبني إحدى أغاني الفيلم التي عبرت عن هذا الحصار ، ٤- إظهار بعض السيارات التي تسير بسرعة كبيرة في طرقات طويلة على وجه مناقض لإيقاع حياة الشخصيات الهامشية التي تأتي في مقدمة الصورة والتي تعيش رغم توقف الحياة ، ومبر عن هذا (التوقف) أيضاً من خلال إحدى أغاني الفيلم (اليوم يجر اليوم ، وإحنا لسه زى ما إحنا) ، وعلى صعيد آخر نجد قدرته على توظيف زوايا التصوير والعدسات المختلفة لإبراز المعنى والتأكيد عليه ، وعلى سبيل المثال :- في فيلم (أرض الخوف) استخدم أسلوباً في التصوير خلق بطلناً نسبياً في حركة الشخصيات التي تأتي من عمق الصورة إلى مقدمتها فيما يعرف " بضغط المسافات في عمق الصورة " هذا ليخلق بعداً زمنياً بين المشاهد ، وبين الأحداث التي يريده " داود " من خلالها إعادة تشكيل العالم ، فمن طريق العمل " آدم " الذي أكد على هويته بتناوله للتفاحة ، ومن طريق " موسى " الذي كرر أكثر من مرة أنه (رسول) مكلف بتوصيل الرسائل من وإلى الجهات المختصة حاول " داود " أن يعيد تشكيل عالمه ، ولعل من أهم العناصر الفنية في أعمال " داود " هي موسيقى " راجع داود " التي يمكن اعتبارها - بثقة - المدخل الأول لعالم " داود عبد السيد " السينمائي ، حيث تأتي الموسيقى دائماً للتمهيد لإيقاع الفيلم ، وتعبير بالدرجة الأولى عن وجهة نظر المخرج ، وتجعل المشاهد يتعرف عليها بعمق ، كذلك فإن الموسيقى تساعد المشاهد في التوصل إلى صياغة التساؤل العام لكل أفلام " داود عبد السيد " الذي يأخذ دائماً صيغة لماذا ؟ هذا التساؤل هو غاية " داود " التي يصنع من أجلها أفلاماً .

يحاول " داود عبد السيد " أن يصل بأفلامه إلى صياغة عالم مختلف ، لخصه بشكل صريح في مشهد من مشاهد فيلمه الرابع (أرض الأحلام) على لسان أحد النجاليين الذي قال :- " عالم آخر ، عالم يقترب أكثر إلى المعرفة الكلية ، عالم تتحرر فيه الأرواح ، ولا يشبه العالم المادي المحدود " الذي أصبح يعيشه الإنسان في مجتمع بلا إنسانية .

من السويس إلى بغداد

فتحى زين العابدين .. سلام عليك

أشرف السركس

العجيب فى الأمر هو أن معرفتى بالعراق .. بدأت فى تشيكوسلوفاكيا على بعد آلاف الأميال من بغداد والقاهرة .. فقد كان الخروج الأول لى .. والعتبة الأولى لاكتشاف العالم .. وذلك عندما أرسلت فى منحة دراسية لدراسة آلة الكمان من أوركسترا القاهرة السيمفونى إلى أكاديمية الفنون ببراغ. لم يعمد على وجودى شهر حتى قامت حرب أكتوبر المجيدة ووجدتني فى نفس اللحظة تجمعني غرفة صغيرة فى المدينة الجامعية مع " فتحى زين العابدين " دارس المسرح والعراقى الجنسية وكأنا على موعد. حيث مهدت أحداث الحرب علاقتنا وتركزت فى نفسى حتى اليوم أبلغ التأثير . كان لقاء حميماً بين النيل والفرات حيث أخذنى زين العابدين إلى عوالم موسيقية وغنائية عراقية لم أكن أحلم بها .. فما حملته معى من القاهرة عن الثقافة الأسبوية قليلاً جداً .. وفجأة وجدت نفسى أمام تجربة موسيقية وغنائية ذات مواصفات خاصة جداً من جميع الأوجه. ألبا ومقامياً وأداءً وقالبياً ومستوى تنوع رفيع فالعراق ك بوابة شرقية للثقافة العربية يبدأ عندها فقط استلهاهم الموروث الموسيقى والغنائى الأسبوى وهو موروث يعتمد على الآلة والقالب والكونسير والغناء الذى يمثل مغنى شعبى يتميز بإمكاناته مهولة فى الأداء والاعتدال اللغوى إضافة إلى الاعتماد المطلق على المقامات .. نستمع الموسيقى الآلية العراقية من نفس نوعية المستمع الأوروبى من أبسط لأرقى الناس يجلسون ساعات يستمعون باستمتاع لسماع حفلة كونسير للعود مثلاً مثلاً يجلس ليستمع لمغنى محبوب لديه بلا ملل .. ولقد أفلت الوجدان العراقى من أسر الثقافة التركية وصنع موسيقاه وغناؤه الخاص من وقت بعيد عكس التجربة المصرية التى تأثرت بالغناء التركى والموسيقى التركية ولا نقول جديداً إذا قلنا إن غناء سيد درويش

والاجتهادات الموسيقية لعبد الوهاب هي التي خلصت التجربة المصرية من الأسر التركي في الغناء والموسيقى.

فلأول مرة استمعت لموسيقى آلية عربية من أسطوانات فتحت زين العابدين وحفلات الجالية العراقية التي كان يحييها مشاهير العازقين أمثال منير بشير وجميل بشير .. واكتشفت شيئاً غريباً وهو أن هناك مقطعاً شهيراً يحييها من مقام الحجاز نستمع إليه في الاذاعة والتلفزيون المصري يطالعا خمس مرات يومياً في التحضير للأذان يعزفه على العود منير بشير ومعظما لا يعرف ذلك ، وقد جريت حالات أخرى وآلات أخرى إلا أن عزف منير بشير كان أكثر أثراً وأبلغ تعبيراً لتهيئة المستمع للأذان.. ولاتقل الآلات العراقية الأخرى مثل الصاص والبزق والناي والمزمار وغيرها أهمية في التعبير موسيقياً عن الشخصية العراقية ..

وعلى جانب الغناء جسد المغنى الشعبى المثل الأعلى عند المنطقى العراقي وتجسد ذلك فى أعلى صورته فى المغنى الفذ " ناظم الغزالي " وهناك كثيرون سبقوه وعاصروه ، إلا أن ناظم الغزالي تخطى حدود بلده وأصبح بلا منازع طما من أعلام الغناء العربى.

فاعتمد ناظم على الموالم والارتجال والموروث الشعبى واللغة المحلية والتاريخ الشعبى العراقي وفى الشام حقق هذه الحالة "صباح فخري" إلا أننا فى مصر افقدنا هذه الحالة فأخر المغنين الشعبين الكبار هو محمد أفندى العربى الذى عاصر ثورة ١٩١٩ التى كرست لمثل أعلى مغاير وقد عاصرت آخر ماتبقى من المغنين الشعبين العظام وهو " على أبو حجي " الذى مات منذ سنوات قليلة فى السويس عن عمر يناهز الخامسة والثمانين والذى يمثل فى رأى أعلى درجات الاقتدار فى الغناء المصرى وله شريطان مسجلان فى صوت القاهرة يمكن الرجوع إليهما .. ونعلم أن ملايين المصريين عاشوا لسنوات فى العراق ورغم اختلاف اللهجة إلا أنهم عاشوا جميعاً بشرايط ناظم الغزالي ومايعتنى فى هذه الحالة أن بسطاء المصريين من مزارعين وحرفيين وجدوا فى ناظم الغزالي ضاللتهم .. وهذا مايفسر حالة القبول الشعبى التى حققتها كل من نصير شمة وكاظم الساهر فى مصر .. فرغم أن نصير شمة دخل مصر بشكل فوقى وفرضت الأجهزة (الأويرا) إلا أنني أعتبر أنها الحسنة الوحيدة التى فعلتها وقد استمعت بنفسى لعبارات الندم من المسئولين الذين أتوا به لأنهم كانوا يريدون الاتجار به لحسابهم إلا أن الشعب المصرى التهمه التهاماً هو وعوده وأصبح نصير شمة عطراً مصرياً أصيلاً نشمه فى الصباح والمساء ويكفى أنه أصبح الديموع التى يذرقها التلفزيون المصرى فى الظروف التى نعيشها الآن وبطبيعة الحال سبب نصير هزة عذبة للموسيقين المصريين مما جعلهم يعاوبونه بنقف وللأسف لا أجد منهم من يستطيع أن يعلن عن رأيه صراحة والسؤال الآن لماذا نجح نصير ؟ ..

والاجابة سهلة ذلك أن المصريين طال شوقهم إلى الاستماع للعزف الفردى وخصوصاً العود فمئذ فريد لم يشبع هذا الشوق إلا هذا النصير، ومنذ فريد ولكن ارتقى النطق المصرى فى تنطق الموسيقى والسؤال المنطقى الآن هو أين الموسيقيين المصريين البارعون طيلة هذه السنوات الطوال .. للأسف كانوا مشغولين بأموال النفط فقد احتكرت الأغنية الخليجية العازف المصرى وفصلته عن المصريين

تماماً فلم يهتم هذا العازف بموسيقى بلده أو غناء بلده إلا في التار قلم نسمع منسى جديد أو عبده صالح جديد أو حفناوى جديد أو عفت جديد أو أو (باستثناء عبده داغر الذى حوصر حتى الاختناق ولم يجد متفلسا لعبقريته الفردية على الكمان إلا فى أوروبا التى قدرته)

ذلك أن حجم إنتاج الأغنية الخليجية فى مصر يفوق الطاقة الآلية عند العازفين بل وصلت الدرجة أن معظم العازفين الماهرين فتحوا استوديوهات لتنفيذ هذه الأعمال الخليجية بأعلى الأسعار وقد احتكر صفوة العازفين المهرة الغالبية من الأعمال الخليجية لدرجة أن المغنى الخليجي يحجز دوره عند هذه المجاميع ولايرضى بغيرها لتسجيل أعماله مقابل أرقام فلكية .. ولانجد هؤلاء العازفين إلا فى المهرجانات والحفلات الكلاسيكية يعزفون أغاني شهيرة وذلك نراً للرماد فى العين .. فى هذا الجو الأشن هبط على مصر هذا الملك الأشورى ليفسل أرواحنا ويطهرها من الأصوات الكهرية التى كرس لها كبار ملحنينا للأسف ويعيد للمقام العربى هيئته ومكانته التى فقدتها على يد جرائم ملحنينا فى استخدامهم للآلات الكهرية وفى الجانب الآخر التعمير للمقامات التى أحدثته فرق الأوبرا ..

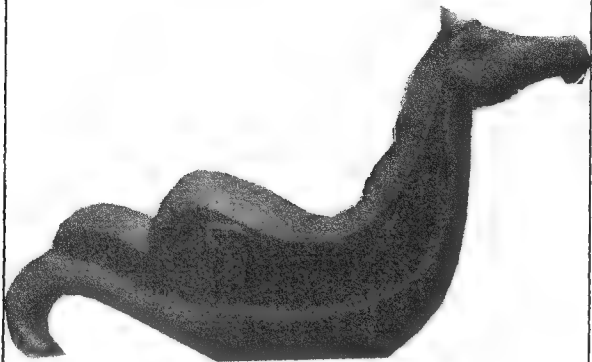
هذا عن القبول الطومى الشعبى لعود نصير شمه الذى ورث الموسيقى العراقية وتمثل كل رموزها الكبار ..

فماذا عن كاظم الساهر .. فنعود مرة أخرى لفريد الأطرش فعمد فريد لم يستطع ملحن غير مصرى أن يحقق ماحققه كاظم وهذا مايمهنى فى تجربته إضافة إلى أدائه .. صحيح أن المصريين استقبلوا بترحاب ملحنين عرب كبار من الخليج الى المحيط ولكن لم يحظ منهم بهذه المكانة التى حققها فريد الأطرش إلا كاظم الساهر .. ونطرح السؤال مرة أخرى لماذا نجح كاظم الساهر؟؟

والاجابة هذه المرة أيضاً بسيطة وهو افتقاد الشعب المصرى للمغنى الأصيل والذى تتحقق فيه المواصفات التى افتقدتها أثناء عصر الغناء التافه (الموجة المسماة بالشبابية)

أكثر مايميز كاظم اهتمامه بالقصيدة والأعمال الطويلة التى عزف عنها الملحنون من وقت طويل وثانيا أدائه الرائع المتمثل فى حرصه الشديد على إبراز الروح والتقنية العراقية فى الغناء (ناظم الغزالي) ثالثاً اعتناؤه بالمقامات الشرقية ولولا الآلات الكهرية والأعداد الهائلة من الموسيقيين التى تصاحبه لكانت تجربته أكثر نقاءً .. واعتبر أن نجاح كاظم نجاحاً حقيقياً وأنتبأ بتداعيات ايجابية له فى مستقبل الغناء المصرى.

فعواً يافتحى .. أخذتني عنك لبرهة معوم غنائنا وموسيقانا المصرية فاعزنى وبرغم السنوات الطوال التى باعدت بيننا فلم وإن أنسى كل ماقلناه وغنينا وأكلناه معاً فى هذه الغرفة من أكلات مصرية وعراقية وكم أتمنى أن تحقق أمنيائنا فى أن أتعشى معك على ضفاف الفرات الأكلات البحرية التى طالما شوقتنى لها وهى المسجوف وكم أتمنى أن تتعشى معى على شاطئ القناة الأكلة التى طالما حدثك عنها وهى الصبادية السويسى على هذه القناة يافتحى رأيت فى ١٩٩١ حاملات الطائرات الأمريكية والبوارج البريطانية والغربية وهى ذاهبة إليك لتقتلك وتخرجنى من أحلام عشت أنتظر تحقيقها .. وفى بيتي الصغير على ضفاف القناة وجدت ضالتي فى قصيدة سلام على بغداد للشاعر الكبير محمود



توفيق فلحنها وقد امتلأت بكل مانفذ إلى روحى من العبقرية العراقية فى الغناء والمقامات وأردت أن يكون العمل تعبيراً خالصاً عن كل جميل مصرى وعراقى جمعنا فان اللحن على ايضاً ٨/٦ وهو ايضاً عراقى أصيل لانستخدمة فى مصر والمقامات المستخدمة لقاء حبيب بين الروح العراقية والمصرية وقمت بتسجيل اللحن عزفاً وغناءً .. وقمت باهدائه لك يا فتحي وكان روحك الأصيلة قد شاركتنى فى الجنائين بالسويس ومنزلى بالقاهرة كل مراحل تنفيذ هذا اللحن وقام مغنو السويس من كل الأجيال بغناء سلام على بغداد منذ يومين فى مؤتمر لمناصرة العراق بدون آلات ويدونى

سلام عليك يا فتحي وسلام على محمود توفيق وسلام على شهدائنا على القناة وسلام على أبطالنا على كل شبر على أرض العراق الطاهرة وسلام على بغداد ..

وان تنتهى أحاديثنا يا فتحي عن بغداد والسويس والموسيقى وعن الحرية والمستقبل ..

ومعا سنواصل الغناء والمقاومة

ومعا سننتصر يا فتحي

الغموض في نصوص النقد العربي الجديد

د. سمير حجازي

في ثمانينات القرن العشرين تجلت في نصوص النقد العربي مظاهر اتجاهات جديدة كانت تعكس بطريقة ما اتجاهات النقد الغربي في ستينيات نفس القرن . وأغلب هذه النصوص كانت تتسم بالغموض في مناهجها ، وفي مصطلحاتها ، وتعبيرها ، سواء كانت نصوصا في مضمار الترجمة ، أو في مضمار التأليف النظري ، أو التطبيقي ، لفاهيم وقواعد البنيوية الشكلية أو التوليدية (١) أو التفكيكية الانتطاعية .

هذه المشاهدة تتطابق على نصوص الباحثين الناشئين كما تنطبق على أغلب نصوص كبار ممثلي تيار الحداثة وما بعدها . فالنظرة الحقيقة لبعض النصوص الشهيرة تؤكد أن هذا العيب قائم في مختلف عناصرها اللغوية والفكرية . وأن أصحابها عتقوا هذه الاتجاهات أمام (القارئ) (٢) تحت اسم تحديث الفكر النقدي العربي وكانت المحصلة الطبيعية لذلك وضع الثقافة العربية في موضع العاجز عن استيعاب بعض عناصر الثقافة الحديثة كما ينبغي أن يكون . ومعنى ذلك أن هذه النصوص قد أساءت بمعنى ما من للعاني إلى ثقافة الذات وثقافة الآخر في وقت واحد ، وعزلت القارئ عن معرفة الخصائص الجوهريّة لهذه الاتجاهات.

وطى هذا الأساس نفهم لماذا لم يتفاعل معها ولم يستفد منها إلا في حدود ضيقة ، لأنه لم يثر- إلا في حالات نادرة- على نص في كتاب أو في دراسة استوعب صاحبه هذه الخصائص ، وقدمها إليه في إطار يتفق مع ثقافته العربية ، دون الإخلال بمعانيها الأصلية- ذلك مثل النص الرائع الذي قمنه المرحوم الدكتور زكريا إبراهيم في كتابه المسمى مشكلة البنية (٣) الذي ألقى فيه الضوء على الاتجاه البنيوي في مجال اللسانيات ، والأنثروبولوجيا والمعرفة ، والتحليل النفسي والماركسي ، بأسلوب سهل ومفردات واضحة يدلان على فهم واستيعاب عميقين لخصائص هذا الاتجاه دون الإساءة الكاذب بارتداء ثياب

العلم أو الادعاء بأن صاحب النص علم من أعلام الفلسفة والنقد البارزين لكن بتواضع العالم الذي يعمل في صمت خاص في باطن هذا الاتجاه بوساطة منهج يتميز بالحرص الشديد على الالتزام بحسب الموضوعية والجمع بين معرفة أصول الثقافة الغربية والعربية دون الوقوع في شرك استخدام اصطلاحات دون أن يحدد مدلولها أو مضمونها في النص، فالاصطلاحات التي وردت في نص الكتاب كان يضعها في البداية بلغتها الأجنبية ثم يضع مقابلها الكلمات العربية ، ثم يحدد في النهاية مضمونها. وعلى هذا الأساس تعتبر نص هذا الكتاب من النصوص الفادرة في المكتبة العربية فخصوص فهم واستيعاب الفصائص الجهرية لواحد من الاتجاهات التي برزت في الثقافة الحديثة . ويمكن اعتبار قدرة صاحبه على تلطيف المعرفة وتطعيمها وفق معايير الثقافتين العربية والغربية دون الإخلال بوحدة على حساب الأخرى مظهرا من بين المظاهر.

لم يكن هذا التصور قاسما في ذهنان أغلب النقاد أو الباحثين لأن الغاية الأساسية من وراء وضع تصوصهم أو محاكاة اتجاه معين واستخدام اصطلاحاته ليس فهم واستيعاب خصائصه الجهرية لتطعيمها وتطويرها وتقديمها للقارئ وإنما سعيا وراء إبراز قدرة أصحابها على تركيب موجات المدائن، أو اعتبارهم روادا لها داخل حدود ثقافتهم المحلية . دون أن ينشكروا في كثير من الأحيان الشروط الموضوعية التي تؤهلهم لأداء هذه المهمة في تاريخنا الفكري المعاصر. إذ لو كان يوسع هؤلاء الرواد أو من يعتبرون أنفسهم كذلك- إن يحققوا شرطي الفهم والاستيعاب لخصائص الفكر النقدي الغربي لتحقق بغير شك التفاعل الذي يعد المحصلة الطبيعية لتحقيق الشرطين الأولين.

وأبرز مظاهر التفاعل مع بعض عناصر الثقافة الحديثة هي القدرة على تلطيف وتطعيم فكرها وبلغتها وفق معاييرها ووفق معايير الثقافة المنقول إليها . ومن أهم مظاهر التلطيف والتطعيم وضع اللفظ والفكر في إطار مفهوم للقارئ العام وتحديد مدلولات اصطلاحات ذلك الفكر في نصوص البحث أو الدراسة ذلك الشيء كان وما زال غائبا عن أغلب النصوص التي يقف أصحابها في صفوف النقد العداثي وما بعد العداثي .

إن شرطي الفهم والاستيعاب لاتجاهات النقد الغربي الحديث لم يتحققا بمعنى ما من المعاني والدلائل على ذلك أن التفاعل مع هذه الاتجاهات لم يتحقق في النص خظرا لأن ذهن الناقد أو الباحث لم يسمح بالتعمق في جوهر المبادئ الأساسية للنظرية ومنهجها واصطلاحاتها المختلفة. أو بعبارة أخرى أن عدم فهم واستيعاب النظرية بصورة طيبة أدى إلى سيطرة المفروض على نص الناقد أو الباحث والعجز عن تحديد مدلول الاصطلاحات التي وردت فيه . وهذا كان من شأنه أن يعزل القارئ عن جوهر مضمون النظرية ومن ثم عدم إتاحة الفرصة له لدمج بعض عناصر المعرفة النقدية الجديدة في إطاره الثقافي.

إن لغة النصوص النقدية بعمامة واصطلاحاتها بخاصة بدت للقارئ في كثير من الأحيان غريبة عن مفرداته وبوسيلته اللغوية، وغير قابلة للاندماج مع مجمل عناصرها ، لا لأن طبيعة اللغة والثقافة العربية عاجزة عن استيعاب بعض رموز الثقافة الحديثة فقد استوعبت اللغة والثقافة العربية بعض جوانب من الثقافة الأوروبية الحديثة في شكل بعثات أرسلت إلى فرنسا في أواخر القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين وما زالت ترسل إلى يومنا بعثات أخرى سواء إلى فرنسا ، أو إنجلترا ، أو إيطاليا ، أو ألمانيا أو إسبانيا أو غيرها من البلدان الأوروبية الشهيرة وقد تفاعل أفراد هذه البعثات مع ثقافة هذه البلدان نتيجة فهمهم لها واستيعابهم لبعض عناصرها ، ويمكن اعتبار تطبيق هؤلاء الأفراد لمنهجها في الأطروحات أو الرسائل العلمية المقدمة إلى جامعة السربون أو كيمبردج . أو غيرهما من جامعات أوروبا الشهيرة مظهرا من بين هذه المظاهر . وهذا يعني أن السبب لا يرجع إلى طبيعة الثقافة العربية ، وإنما يرجع إلى عيب في منهج الناقد أو الباحث حين يعالج نقل الفكر النقدي الغربي ، فهو ينقل نظريات واصطلاحات دون مراعاة شروط التفاعل والتكيف معها لغويا وثقافيا ، فهذه الشروط يجب أن تتوافر لدى الناقد أو الباحث عند نقل أو عند تبني بعض الاتجاهات النقدية الحديثة لأن توافر هذه الشروط يتيح له فرصة الوصول إلى خصائصها الجهرية من داخل منطقها الثقافي الخاص فضلا عن ضرورة معرفة الخصائص الجهرية للأدب العربي وإطاره

الثقافي والحضاري نظراً لأن اتجاهات النقد الغربي الحديث ومناهجه واصطلاحاته ظهرت لتطبيق على الأدب الغربي لا العربي ، وهذا يعني أن الناقد أو الباحث مضطر ألا يطبق هذه الاتجاهات ومناهجها على أدبنا تطبيقاً حرفياً أو آلياً. نظراً لوجود فوارق موضوعية بين عالم الأدب الغربي وعالم الأدب العربي . أضف إلى ذلك وجود مساحة تاريخية بين ثقافة كل أدب هذا أمر يدهي لا يحتاج منا إلى كثير من البحث والتفتيش ، بل يحتاج فقط إلى أن يكون الناقد أو الباحث على درجة عالية من الوعي به كي يعالج أدبنا على ضوء واقعة هو وليس على ضوء واقع أدب الثقافة الغربية.

فبوساطة هذا الوعي يستطيع أن يطرح ويضع مبادئ النقد الغربي واصطلاحاته وفق مبادئ وخصائص أدبنا العربي ، وأهم مميزات هذا التطبيق وذلك التطوير هو صيغ المادة الأدبية والنقدية بصيغة المرونة واليسر والوضوح ، وهذا من شأنه أن يجعل معالجة الباحث أو الناقد قريبة بمعنى ما من المعالجة الموضوعية التي تجعل منه قائماً على أساس نظام فكري ولغوي متعادل ينأى بصاحبه عن الغموض أو عدم الوضوح ، الذي يجعل القارئ يجد نفسه أمام نص منطلق على ذاته أو على صاحبه نتيجة عدم تحديد مضمون المصطلح ، وعدم وضوح المبادئ النظرية في ذهن الناقد أو الباحث ونزعه نحو المفاهيم والأساليب الشكلية فضلاً عن تجاهله بخلقة نصه النقدي في الحياة الثقافية العامة . لقد كان النص النقدي في الستينيات والسبعينيات على صلة وثيقة بالحياة الثقافية ، وكان أبرز سماته الوضوح. وكان محمد منور ، وغنيمة هلال ، ولويس عوض ، وعبد القادر القط ، وشكري عياد يتيمون أكبر فرصة ممكنة للقارئ العادي لفهم توصيهم . وكان ذلك له أيد الأثر في إعلاء شأن النقد والنقاد وفي التربية الثقافية بعامة والأدبية بخاصة(٤).

لنص النقدي دور في الحياة الثقافية ، وهذا الدور لا يقتصر على الكشف عن دلالات العمل الأدبي ، أو تربية الذوق الفني لدى جمهور القراء بل يمتد إلى الكشف عن طبيعة التوافق بين الأدب وبين المعايير والمصطلحات النقدية من جهة وبين طبيعة المضمون الثقافي والحضاري الوسيط الذي ظهر فيه أما كيفية الربط بين مختلف هذه الجوانب في وقت واحد(هـ) فليس موضوعنا الآن . لأن حديثنا هنا يدور حول البحث عن إجابة للسؤال: ما سبب الغموض في نصوص نقادنا ؟ والجواب كما نستخلصه من عرضنا السابق يتمثل في عدم تفصيل الناقد أو الباحث لاستيعاب المبادئ النظرية النقدية الحديثة والتعامل مع مصطلحاتها بأسلوب حديث . فهو لم يتفاعل عقله مع جوهر المعرفة النقدية الغربية ، ومن ثم لم يكن في مقدوره القيام بدمجها في بنائه الثقافي العام أو الخاص.

إن مبع أحد مبادئ الفكر الحديث في إطار الناقد أو الباحث الثقافي يلزمه بغير شك بعدة شروط موضوعية (أهمها الوعي بالفوارق الثقافية بين الحضارة الغربية والحضارة العربية من حيث اللغة والفكر ومن حيث المسافة التاريخية، ومن حيث نمط الثقافتين ، أضف إلى ذلك ضرورة مرونة فكر الناقد أو الباحث ، ومرونة إطاره الثقافي في نفس الوقت ، فبوساطة هذه المرونة يستطيع تجنب النقل الحرفي والتطبيق الآلي للمناهج والمصطلحات الحديثة، هذا فضلاً عن تحرره من قيود النزعة الشكلية التي تجعله يستخدم المصطلح دون أن يكون له مدلول محدد في بنائه الذهني أو الثقافي.

إن المصطلح النقدي الحديث ينبو في نصوص النقد الجديد- في أغلب الأحيان- فرغاً من الدلالة ، ومن العادة الثقافية والمضمارية ، فهو مجرد لفظ أو تعبير وزنه الأول والأخير يتمثل في قيمته من زاوية اللفظ لا من زاوية المعنى أو المضمون ، فينزع الناقد بذلك عنه طابعه العقلاني والعلمي ومشتخصاته اللغوية والزمانية والمكانية.

إن هذه العملية التي يقوم بها الناقد أو الباحث في تعامله مع المصطلح تعتبر عملية تجريدية تغرب المصطلح عن سياقه من ناحية ومن النظرية التي أفرزته من ناحية أخرى ، لأن الناقد أو الباحث قد تخطى عن الاهتمام بمعناه أو مضمونه الذي يبني فيه مظاهر الحياة اللغوية، والمعرفية ، واهتم بالكلمة واستعمالها أو بصورة العلاقات بين الألفاظ ومعناها واستعمالها أو بصورة العلاقات بين الألفاظ وبعضها دون النظر إلى مضمون تلك العلاقات باعتبار أن النزعة الشكلية هي النزعة التي تسيطر على

نصه أو عمله . وهذه النزعة لا تبدو في التعامل مع المصطلح التقدي فحسب ، بل تبدو أيضا في تبني الناقد أو الباحث الاتجاه البنيوي الشكلي ، والاتجاه الانطباعي التفكيكي(٥) ، وترك جانبا الاتجاهات الأخرى مثل الاتجاه البنيوي الدينامي ، والاتجاه النفسي ، والاتجاه الفلسفي ، ولعل ذلك يرجع إلى أن ثقافتنا العربية ثقافة كانت وما زالت متأثرة ببلاغة القول ، وبلاغة العبارة لا مدلول القول أو مضمون العبارة . وقد يمكن الإفتتاهم ببلاغة القول أمرا ليس ذا شأن في نصوص الثقافة الحديثة حيث يسيطر على أغلب عناصرها العقلانية والنزعة العلمية في حين أن العقلانية والنزعة الطمعية تحتلان في ثقافتنا مساحة محدودة . هناك بلاشك فوارق بين الثقافة الغربية والعربية ، وهذه الفوارق مسألة بديهية لا تحتاج منا إلى كثير من البحث والتفتيش ، وما على الناقد أو الباحث سوى الاعتراف والوعي بها حتى يستطيع الإفادة من بعض عناصر هذه الثقافة وأبسط مظاهر هذا الوعي ، هو أن ينقل الباحث أو الناقد للمصطلح ويستخدمة في نصوص بحثه أو دراسته وفق معايير علمية ودلالية تجعله يهجر التعامل الشكلي مع المصطلح ومع النظرية التي أفرزته .

ويذكر أن تحديث الفكر أو مواكبة اتجاهات الثقافة الحديثة ليس مجموعة شعارات أدبية براققة أو نمط من بلاغة القول ، أو اللغو ، أو محاكاة رتيبة لاتجاهات النقد الغربي ، وإنما هو فعل خلاق ينبض على أساس الفكر العلمي ، وعلى أساس ابتكار المفاهيم والأساليب التي تتفق مع روح أدبنا ، وروح عصرنا ، وروح ثقافتنا العربية . وهذا الفعل من شأنه أن يرتقي بالفكر النقدي ارتقاء كفيلا لا شكليا ، ويخطواته نحو آفاق جديدة ، من حيث المعالجة ومن حيث المفهوم . شريطة أن تكون هذه المعالجة قائمة على موضوعية الملاحظة ، وموضوعية النتائج ، وبعيدة عن الأساليب الانشائية الوصفية ، أو الإنشاء الأدبي .

وبوساطة هذه الموضوعية يستطيع الناقد أو الباحث أن يرفض فكرة عائلية النقد الغربي ومصطلحاته ، وفكرة اعتباره كالملم لا يعرف جنسية أو حدودا جغرافية (أو حضارية معينة)(٦) هذه الفكرة زائفة لأن مناهج النقد الغربي ومصطلحاته ليس لها صلة العمومية والشمول التي تنصف بهما العلم . فهذه المناهج تلك الاصطلاحات مرتبطة بظروف حضارية وتاريخية معينة عرفها المجتمع والثقافة الفرنسية في ستينيات القرن الماضي .

وعلى هذا الأساس لا نستطيع القول بأنهما صالغان للتطبيق على كل أنماط الأدب في أي زمان أو مكان ، ولا نستطيع القول أيضا إننا لا نستطيع الإفادة منهما ، بمعنى ما من المعاني ، كل ما يمكن قوله في هذا الخصوص هو إننا نرفض تطبيقهما على أدبنا بطريقة حرفية وآلية ، كما نرفض استخدام الاصطلاحات بدون تحديد مدلولها في بنية اللغة والثقافة العربية ، لأن هذا الاستخدام كان لأحد الأسباب التي أدت إلى شيوع الفهم في أغلب نصوص النقد الجديد .

إن استخدام المصطلح دون تحديد مدلوله ، يدل على عدم تهوي ذهن الناقد أو الباحث لتطبيق قواعد التفكير العلمي ، وبدل في الوقت نفسه على أن وظيفة المصطلح في نص البحث أو الدراسة وظيفة شكلية لاجرميرية-والدليل على ذلك إن المصطلح البنيوي أو التفكيكي حين ظهر . في عقد الثمانينيات لم يحرك ساكنا في حياتنا الثقافية ، لماذا لأنه كان يخلو من شروط التفاعل اللغوي والمعرفي مع مفردات الثقافة العربية .

إن لا يمكن لمصطلحات أو مفردات حديثة متقلبة عن الثقافة الأوروبية أن تتفاعل مع مفردات ومضمون الثقافة العربية ، طالما أن مدلولاتها غائبة عن بنائنا الذهني والثقافي . إن استخدام الناقد أو الباحث للمصطلحات الحديثة في نصوص بحثه أو دراسته لا يعني أنه يعرف بشكل مباشر أو غير مباشر معانيها أو مضمونها اللغوي والمعرفي في أصولها الأوروبية ، لأن القارئ لا يعثر في ثنائيا هذه النصوص أو في هامشها أو في نهايتها على تعريف لها أو على محاولة لوضع مضمون لها . فاختصار الحديث بما بعدها من النقد والباحثين يستعملون للمصطلحات الحديثة- في أغلب الأحيان- لا ضرورة علمية تفرضها طبيعة الموضوع المتناول ، وإنما للنزعة شكلية أساسها الرغبة في إضفاء لفة ذات بريق خاص على النصوص تلك انتباه القارئ ، وتوهمه إن صاحبها يجب أن ينضم إلى صفوف المحدثين ، أو الداعين إلى الحديث باعتبار أن مفهوم الحديث- كما نستخلصه

من واقع نصوص النقد الشهيرة - مفهوم بلا مضمون أوله مضمون غامض أساسه منطق شكلي ، لا منطق مدلولي ومن ثم فإن وظيفة المصطلح في النص ، بطريقة التعامل معه تنبئ القارئ بوجود تقهقر في خطوات النقد ، واجتيازه أزمة من أزمت الفكر تبين مظاهرها في عجزه عن تحديد مدلول المصطلح أو التعامل معه وفق قواعد التفكير العلمي ، الذي يزعم لئصار النقد الجديد أن أعمالهم تنهض على أساس قواعد (٧).

في حين أن أبسط مظاهر تطبيق هذه القواعد يتمثل في ضرورة أن يحدد الناقد أو الباحث كل جزئية أو عبارة غير محددة أو غامضة في نص بحثه أو درسه . هذه القاعدة الأولية لم يعمل بها أغلب الداعين للحدائق تلك الظاهرة شملت نصوص المؤلفات والمقالات المنشورة في المجلات الأدبية الراسخة الانتشار . فقد استقبلت الاصطلاحات الحديثة والاتجاهات التي أفرزتها بترحاب بالغ و أفسحت لها مكانا بارزا (٨) على صفحاتها المختلفة ، دون أن يقوم أصحابها بتحديد مضمون الاصطلاحات الواردة في ثناياها.

والمشاهد أن جمهور القراء أقبل على الاطلاع على أعدادها الخاصة بالبنوية وما بعدها ، دون أن يعرف مضمون هذا الاصطلاح أو ذاك أو معنى هذه الكلمة أو تلك المبالغة أو معنى هذه الفقرة ، أو هذه الفقرات ، وكان من بين هؤلاء القراء جمهور من المثقفين ، والكاتب الكبير نجيب محفوظ الذي انتهى إلى نفس النتيجة التي انتهى إليها أغلب القراء ، ألا وهي عدم الفهم (٩).

إن إشكالية الاصطلاح ، أو إشكالية النص الذي ورد فيه كانت من بين الظواهر البارزة في حياتنا الثقافية في عقدي الثمانينيات والتسعينيات ، لكن النقاد والباحثين غشوا عنها النظر ، أو بعبارة دقيقة لم يحاول أحد أن يلقي الضوء عليها بأسلوب علمي معقد.

الهوامش والمراجع

- (١) هذه الترجمة الشائنة في النقد العربي لكلمة **Genetique** هي ترجمة غير دقيقة وحرفية ويعبده عن جوهر نظرية جولدمان ، والترجمة الصحيحة لهذه الكلمة هي الفينامية.
- (٢) أنظر نتائج دراستنا في تحليل منهج أبو ديب ، والغداسي ، وعبد المطلب ، في الفصل الرابع من كتابنا ومشكلات الحدائق في النقد العربي - دار الثقافة القاهرة ، ٢٠٠٦ .
- (٣) نشر في مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٧٨ .
- (٤) أنظر سمير حجازي ، مشكلات الحدائق في النقد العربي ص ٧٤ .
- (٥) لمزيد من التفاصيل في هذا الموضوع أنظر كتابنا «المناهج المعاصرة لدراسة الألب ، الكتاب الجامعي ، الكويت ، الطبعة الرابعة ١٩٩٦» .
- (٦) أنظر د. عبد العزيز حموده ، الرأيا الجمعية ، عالم المعرفة ، الكويت ١٩٩٨ ص ٦٦-٦٧ .
- (٧) أنظر سمير حجازي ، مشكلات الحدائق ص ٢٦٦ .
- (٨) أنظر د. كمال أبو ديب ، الرؤى المقتمة ، هيئة الكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٦ .
- (٩) أنظر على سبيل المثال مجلة فصول ، القاهرة ، عدد يناير ١٩٨١ .



موقف أمين العالم من الأيديولوجية (٣)

سامح الموجي

«هذه الدراسة نشرتها الجزء الأول والثاني في أعداد ديسمبر ويانير تحت عنوان العالم بين المسافة والنقد الجلي والجزء الثاني تحت عنوان مفهوم العالم وتناقضات الفكر العربي ونستكمل في هذا العدد الجزء الثالث والأخير منها من موقف أمين العالم من الإيديولوجية.

يحدد الأستاذ أمين العالم في بداية موقفه من الأيديولوجية العربية إطاراً تفسيرياً لمفهوم الأيديولوجية ذا مجال دلالي أكثر عمومية وشمولية من المفهوم الماركسي الشائع بأنها - أي الأيديولوجية - الوعي الزائف بالواقع بل تتداخل عند أمين العالم كافة التصورات والقيم والأفكار والحساسيات التي تشكل رؤية عامة موحدة متماسكة أو شبه موحدة شبه متماسكة» (٣٦) عن هذا التصور العام والشامل لمفهوم الأيديولوجية يجوز لنا أن ندخل مع الأستاذ العالم إلى معمله التجريبي لبيان موقفه التحليلي من مفهوم الأيديولوجية من واقع الفعل المجتمعي. والتاريخي للفكر العربي الحديث والمعاصر حيث يتساءل مبدئياً، هل هناك أيديولوجية عربية واحدة، أم أن هناك أيديولوجيات عربية متعددة؟ ويجب علينا الأستاذ العالم بأن هناك «تغير شك أيديولوجية عربية تعبر عما يمكن أن نعتبره أمة عربية في نور التكوين من حيث الوحدة السياسية، أمة ذات تاريخ جغرافي - سياسي مشترك، ينمكس في ثقافة مشتركة ولغة مشتركة، وإن كانت سوقها الاقتصادية المشتركة لم يتحقق لها التكامل والوحدة بسبب عوامل وتداخلات خارجية

داخلية» (٣٧). إلا أنه يتدارك إجابته محذراً بأن قصر مفهوم الأيديولوجية العربية على هذا البعد وحده «يفضى إلى إغفال حقائق العالم العربى المتنوع الأوضاع سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية» (٣٨).

فالإسلام رغم كونه أحد التكوينات الثقافية البارزة فى الأيديولوجية العربية وأحد الأعمدة الرئيسية المشكلة لبنيتها إلا أن الأستاذ العالم يرفض اعتباره هو وحده الأيديولوجية العربية ولا يتفق مع تفسير الأيديولوجية ويعتبر هذا المنهج -على حد تعبيره- منهجاً وصفاً قاصراً ، والأستاذ العالم يفرق بين الإسلام كنصوص دينية تتمثل فى القرآن الكريم والحديث الشريف، والإسلام من واقع تخلفه الحى ، وممارسة الشعوب العربية له ، حيث تختلف وتتباين دلالات الممارسة المجتمعية للإسلام من قطر عربى ، إلى آخر.

..من مقدمات هذا التحليل يخلص الأستاذ العالم إلى الاختلاف مع الطرح الأيديولوجى الذى يعتبر الإسلام وحده هو الأيديولوجية العربية، كما يختلف فى نفس الحين مع الطرح الأيديولوجى القومى المرتكز على مفهوم «القومية» التى تتخذ دلالة نضالية وتحريرية لدى الفكر العربى بيد أن أمين العالم يرى ألا يجب نتغافل عن الخصائص المحلية لكل نزعة قومية لذا يجب على الدارس للأيديولوجية أن يستوعب كافة هذا الاختلاف والتمايز إلى جانب استيعابه للمشارك العام. فالمفهوم القومى المثلالى لا يرى سوى الوحدة والمفهوم القومى الشوفينى العنصرى لا يرى سوى الاختلاف والتنوع. لكن هناك بغير شك مفهوماً ثالثاً يرى الاختلاف والتنوع والتمايز فى إطار الوحدة ، ويرى الوحدة عبر هذا التمايز والاختلاف والتنوع (..) وأن الدراسة الصحيحة للأيديولوجية العربية هى تلك التى تحسن إدراك العام والخاص وتحسن تحديد العلاقة بينهما والتى لا تلتفى العام باسم الخاص ، ولا تلتفى الخاص باسم العام» (٣٩).

على هذا الأساس المنهجى ويدخل هذا السياق الجدلى الحى يؤسس الأستاذ أمين العالم موقفه من الأيديولوجية ونقده التحليلي لكافة التيارات الفكرية والدراسات الأوروبية والأمريكية التى تفسر نشأة الأيديولوجية وكيفية التعامل النقدي معها فى قضاياها المتفرعة ، ولضيق المجال سوف نتعرض السطور القادمة فى عجالة لملاحظتين أراهما من أهم نماذج تطيل الأستاذ العالم ونقده للدراسات الغربية حوله مفهوم الأيديولوجية.

***أولاً:

يتوقف الأستاذ العالم أمام التيار الفكرى الذى يفسر نشأة الأيديولوجية من خلال الإرتكاز على مفهوم التأثير الثقافى للغرب الأوروبى وإعتباره العامل الحاسم فى تشكيل الأيديولوجية العربية وتياراتها الفكرية والثقافية ، والذى تتبناه أغلب الدراسات الاستشراقية ، وبعض تيارات الفكر العربى متمثلاً فى الأستاذ عبد الله العروى فى كتابيه «الأيديولوجية العربية المعاصرة» و«العرب والفكر التاريخي» حيث يذهب العروى إلى تخطيط تجرىدى يرى من خلاله الأيديولوجية العربية فى اتجاهات رئيسية ثلاثة: .

الاتجاه الدينى متمثلاً فى الشيخ محمد عبده والاتجاه الليبرالى متمثلاً فى لطفى السيد ، ويتخذ من سلامة موسى متمثلاً للاتجاه التقنى العلمانى كما أن هذه الاتجاهات ليست إلا انعكاساً بنيوياً للأيديولوجية الأوربية والفكر العربى ، والانعكاس هنا يتم من خلال فعل التأثير والتأثر ، وبهذه العلاقة الميكانيكية تتمظهر الأيديولوجية العربية وتتشكل بنيتها هكذا يبسط الأستاذ عبد الله العروى من الجذور الاجتماعية الداخلية الذى يراها «جنزراً سطحية غير مباشرة» (٤٠) ويتبنى منهجاً مثالياً تقريباً لا يعبأ من قريب أو بعيد بالشرط الموضوعى والحراك الاجتماعى كعامل فاعل ومؤثر فى تكوين الأيديولوجية العربية ونشاطها وصراعها على أرض الواقع، من هنا يرى الأستاذ العالم أن «الخطأ الأساسى فى هذا المنهج إنما ينبع من نظريته الفينومونولوجية الميكانيكية لفهم التأثير الثقافى والاجتماعى ، قاله أن التأثير الثقافى والاجتماعى هو محصلة معقدة لـ«كينيمات» أو آليات خارجية وداخلية. ولكن العامل الحاسم إنما هو العامل الداخلى للتكوينات الاجتماعية . لاشك أن هناك تأثيراً للحضارة الغربية على الأيديولوجية العربية، ولكن ليس على هذا النحو الميكانيكى ،الأحادى الاتجاه ، هناك بغير شك فى الأيديولوجيات العربية تيارات ومواقف بل أشكال تعبير هى ثمرة تأثيرات أوربية مباشرة ولكن حتى هذه ما كان يمكن أن يتحقق لها نجاحها وإزدهارها الاجتماعى ما لم يتوفر فى المجتمعات العربية نفسها ما يتيح لها ذلك النجاح والازدهار» (٤١) من هذا الموقع الجدلى ينتقد أمين العالم هذا المنهج الميكانيكى فى فهم الأيديولوجية العربية ويحذر من خطورة هذا المنهج الذى قد يقضى فى استنتاجاته النهائية إلى التأكيد على حتمية التبعية الفكرية ويرسخ من بنية التبعية بشكل عام ويرى العالم إن مفهوم التأثير فى المجال الأيديولوجى «يلتقى مع مفهوم آخر فى المجال الاقتصادى هو مفهوم المركز والمحيط الذى يقول به بعض الباحثين من أمثال سمير أمين إنه مفهوم ميكانيكى جامد يغفل كل عوامل الصراع على المستوى الذاتى والموضوعى على السواء ويجعل من تبعية اقتصاديات البلاد النامية للسوق الامبريالية الرأسمالية ، تبعية شبه قدرية ولافتكك منها» (٤٢) من هذا التحليل النقدى لمفهوم التأثير لا يلقى الأستاذ العالم دور التأثير الاقتصادى والأيديولوجى لكنه لا يراه المصدر الأساسى لتفسير الظواهر الأيديولوجية والاجتماعية ولكن الأولوية عنده فى اكتشاف القوانين الداخلية لهذه الظواهر دون إغفال للملابسات والظروف الخارجية» (٤٣) فغسلاً على إن بعض هذه الدراسات تقع فى خطأ منهجى وهو تفسير الأيديولوجية بالأيديولوجية وعدم ردها إلى أساسها الاجتماعى ونشأتها الموضوعية ، أو ترجعها إلى أساس اجتماعى خارجى غير أساسها الحقيقى.

ثانياً: الملاحظة حول موقف أمين العالم من الأيديولوجية ونقده للدراسات الأوربية والأمريكية أن هذه الدراسات تنطلق فى تحليلها لظواهر الأيديولوجية العربية من خلال مفاهيم ورؤى نقدية معدة سلفاً من سياق اجتماعى وتاريخى آخر هو السياق الأوروبى وتفرضه بشكل آلى على السياق التاريخى العربى ، ويتخذ الأستاذ العالم مفهوم «القومية» كنموذج للتدليل على ذلك حيث

إنه يرى أن مفهوم القومية في الثقافة الغربية له مجال دلالي يتضمن وصفاً شوفينياً عنصرياً نابعا من الحركة القومية ونشأة مفهوم القومية في أوروبا خلال القرنين الثامن والتاسع عشر ، لكن مفهوم القومية في البلاد العربية تحديداً له مجالاً دلالياً مغايراً ومختلفاً يتضمن بعداً تحريرياً ونضالياً معادياً للاستعمار والصهيونية إلا أن هذه الدراسات تخط ما بين الدالتين المختلفتين لمفهوم القومية ، وتحاول تقييم القومية العربية حسب المفهوم الأوروبي ، وهذا الخطأ في تقدير الأستاذ العالم يؤدي إلى خلط الأوراق» وطمس حقائق النضال التحريري في البلاد النامية فكثير من الدارسين -على سبيل المثال- يصورون الصراع بين البلاد العربية وإسرائيل على أنه صراع بين قوميتين هما القومية العربية والقومية الإسرائيلية ، بالمفهوم الأوروبي التقليدي للقومية وهم بهذا التصور يجعلون من النضال العربي العربي التحريري عنواناً قومياً على قومية أخرى ضعيفة ، ساعين بهذا إلى التعمية من جوهر هذا النضال باعتباره نضالاً تحرورياً ضد الإمبريالية» (٤٤).

سينتقل الأستاذ العالم بين ديمقратيتين من حيث أشكال الممارسة السياسية ، الديمقراطية الليبرالية بالمفهوم الأوروبي ، والديمقراطية (الموجهة) -حسب تعبيره- بمفهوم البلاد النامية عامة والبلاد العربية بشكل خاص ، والديمقراطية الليبرالية بالمفهوم الأوروبي لا تصلح حسب رأي أمين العالم معياراً قياسياً يمكننا الحكم من خلاله على التجربة الديمقراطية في البلاد النامية ذلك لأنها «جزء من التكوين الاقتصادي والتاريخي العام لمجتمعاتها» (٤٥) . كما يربط الأستاذ العالم تقدم المجتمعات النامية سياسياً «بالقدرة على وضع خطة مركزية للتنمية المعجلة تقوم على المشاركة الواعية المنظمة للجماهير» (٤٦) . وهذه الديمقراطية ، «في جوهرها ديمقراطية موجهة» كما يقال- ليست ديمقراطية ليبرالية بالمفهوم الأوروبي» (٤٧) وعلى الرغم من أن هذه الديمقراطية الموجهة قد تقضى إلى «مناهج تعسفية قمعية» ، أو إلى بيروقراطية دولة . على أن البديل ليس هو الشكل الليبرالي للديمقراطية الذي هو تعبير عن مضمون رأسمالي ، إن الحل دائماً هو دعم هذه الديمقراطية الموجهة من أسفل ، من القاعدة بمزيد من المشاركة الديمقراطية في اتخاذ القرار العلوي في مختلف المجالات ، بالارتفاع بالوعي السياسي والثقافي والإنتاجي للجماهير ، حداً للبيروقراطية المركزية وتعميقاً للديمقراطية الشعبية. إن أشكال الممارسة الديمقراطية عامة والبلاد العربية بشكل خاص ، والديمقراطية الليبرالية بالمفهوم الأوروبي لا تصلح حسب رأي أمين العالم معياراً قياسياً يمكننا الحكم من خلاله على التجربة الديمقراطية في البلاد النامية ذلك لأنها «جزء من التكوين الاقتصادي والاجتماعي والتاريخي العام لمجتمعاتها» (٤٥) . كما يربط الأستاذ العالم تقدم المجتمعات النامية سياسياً «بالقدرة على وضع خطة مركزية للتنمية المعجلة تقوم على المشاركة الواعية المنظمة للجماهير» (٤٦) . وهذه الديمقراطية «في جوهرها ديمقراطية موجهة» كما يقال- ليست ديمقراطية ليبرالية بالمفهوم الأوروبي» (٤٧) وعلى الرغم من أن هذه الديمقراطية الموجهة قد تقضى إلى «مناهج تعسفية قمعية» ، أو إلى بيروقراطية دولة . على أن

البديل ليس هو الشكل الليبرالى للديمقراطية الذى هو تعبير عن مضمون رأسمالى إن الحل دائما هو دعم هذه الديمقراطية الموجهة من أسفل ، من القاعدة بمزيد من المشاركة الديمقراطية فى اتخاذ القرار الطوى فى مختلف المجالات ، بالارتفاع بالوعى السياسى والثقافى والإنتاجى للجماهير، حدا للبيروقراطية المركزية وتعميقاً للديمقراطية الشعبية . إن أشكال الممارسة الديمقراطية ، كشكال الحكم القومى ، على غواهر أيديولوجية تطبيقية ينبغى أن ندرسها ونقيّمها فى سياقها الاجتماعى والتاريخى الخاص ولا ينبغى أن نفرض عليها أشكالاً أو أحكاماً من سياق اجتماعى أو تاريخى مختلف» (٤٨) ..

وليسمح لى الأستاذ العالم أن أتوقف معه قليلا عند تحليله لمفهوم الديمقراطية وآليات عمله فى الواقع السياسى ودعوته إلى دعم هذه الديمقراطية الموجهة من أسفل ومن القاعدة بحيث إننى أود أن أوضح أن هذا الأسفل وهذه القاعدة هما القائمان على فرز هذا التشكيل السياسى وعلى تنمية وتعميق المشاركة الديمقراطية والتي تنتعش بنورها فى ظل علاقات الصراع الرأسمالى القائمة بذاتها على التعدد ، والمنافسة كشروط موضوعية لتشكيل بنية رأسمالية ، وكلما كثر هذا التعدد وازدادت المنافسة كلما انتعشت المشاركة الديمقراطية فى عمق العلاقات الاجتماعية فازدها هياكل مؤسسية وتنظيمية تستوعب علاقات الجماهير وقضاياها .

الديمقراطية إذن ظاهرة موضوعية نشأت فى أوروبا كما نشأت فى المجتمعات العربية إنعكاساً جديلاً لنضج عوامل اجتماعية وتاريخية محددة. الإشكال إذن ليس فى كونها ديمقراطية ليبرالية بالمفهوم الأوروبى أو ديمقراطية موجهة بالمفهوم العربى كما يتبناها الأستاذ العالم. لكن جوهر البحث فى كونها ديمقراطية أم لا ، ديمقراطية بالمعنى المادى التاريخى المتحقق داخل سياق رأسمالى محدد ، فليس هناك مجال للشك فى أن مفهوم الديمقراطية هو ابن العلاقات الرأسمالية وأحد المؤشرات الموضوعية الدالة على وجود الرأسمالية اجتماعياً كمرحلة تاريخية، وهذا المفهوم ناتج بلا شك عن ازدهار قيم الليبرالية فى خبرة التجربة الأوربية والأمريكية ونتيجة لسلسلة طويلة من النضالات الطبقيّة والسياسية لبرجوازيات القرن الثامن عشر والتاسع عشر . أما إشكالية الممارسة الديمقراطية لدى حركات تحرر العالم الثالث عامة والعالم العربى على وجه الخصوص إن هذه الحركات حاولت تطبيق الديمقراطية فوقياً من خلال الأنظمة الحاكمة ولم تنشأ من رحم علاقات الصراع التحتية تعبيراً عملياً عنها إلا بشكل نسبى مؤخر لدى بعض التجارب التى استوعبت فعل التعدد والمنافسة . إلا أنها فى تقييمها النهائى لا تزال ديمقراطية موجهة من أعلى بيد أن الأستاذ العالم يراها أحياناً ديمقراطية أكثر إنسانية من الديمقراطية الليبرالية . وإن كنت أختلف مع نبرة التقويم الأخلاقى لموقف الأستاذ العالم من مفهوم الديمقراطية إلا أننى حاولت فى السطور السابقة أن أرى الديمقراطية كمفهوم موضوعى متحقق مادياً دون الحكم على بنية الصراع التعددى والتنافس بأنه يطرح شكلاً ديمقراطياً لا إنسانياً ، كما أن فكرة السياق الاجتماعى والتاريخى الخاص لا تجيز لنا أن تلغى الملامسات التأثيرية والتفاعل الحضارى العالمى

وتداخل علاقات الصراع على المستوى العالمى وهى عوامل لا تقل تأثيراً عن العوامل الاجتماعية الداخلية الخاصة.

وعلى الرغم من هذا فأننا لا أعتبر الديمقراطية فى البلاد العربية مجرد صدى للديمقراطية الغربية أو إنعكاساً ميكانيكياً جامداً لكننى أعتبرها مفهوماً له شروط مادية وتاريخية محددة لتحققه اجتماعياً ، هذه الشروط قد تختلف وتتمايز مظهرها ونسبها من بلده إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر حسب نضج علاقات القوى الطبقيّة فيه إلا أنها فى حسابها النهائى لها تكوين «وبنية» تشكيليّة واحدة هى التعدد والمنافسة أى الرأسمالية فى النهاية . وأعتقد أن موقف الأستاذ العالم من مفهوم الديمقراطية وأشكال ممارستها كإحدى الظواهر الأيديولوجية التطبيقية قد تجدد مع المتغيرات التى طرأت على الحضارة العالمية فى الربع قرن الأخير حيث إن حديث هذا قد مر عليه حوالى سبعة وعشرون عاماً إلا أننى أراه ما زال متجدداً فى كثير من مواضعه ومقدماته ، واستنتاجاته التحليلية وكأنه كان يستشرف الكثير من المتغيرات التاريخية . وفى نهاية الموقف من الأيديولوجية يوصى الأستاذ العالم ألا نكتفى بالتحليل الاجتماعى العيى فحسب بل أن ندرس الأيديولوجية فى حركتها التطبيقية التاريخية، أن نرتفع فى دراستنا للأيديولوجية من مجرد لدراسة التحليلية الخالصة ، من مجرد دراسة المكتبية أو التجريبية الميدانية ، إلى الممارسات النضالية كذلك، إن دراسة الأيديولوجية هى فى ذاتها مشاركة فى معركة نضال اجتماعى وتاريخى ، إنها لا تتحقق بالتأمل النظرى العقلانى فحسب، بل الممارسة الثورية كذلك، إن كل الدراسات الأيديولوجية فى العالم بل الدراسات الإنسانية والاجتماعية عامة هى جزء أساسى بصورة مباشرة أو غير مباشرة من معارك عصرنا الراهن . إن علم الاجتماع الأمريكى بمدارسه المختلفة هو سلاح من أقوى أسلحة الترسانة الإمبريالية الأمريكية العسكرية والفكرية على السواء . إن النظرى والعملى يتلاقيان تلاقياً حقيقياً فى الدراسات الإنسانية والاجتماعية خاصة» (٤٩).

هكذا يلتقى النظرى والعملى، الذاتى والموضوعى، الفكرى والنضالى عند أمين العالم ، إن هذه الرؤية الجدلية والشمولية والكلية فى أن واحد هى ما يميز موقف الأستاذ العالم من الأيديولوجية بل وما يمتاز به فى إنتاجه الفكرى والفلسفى بشكل عام.

الحقيقة أننى لا أود أن يتحول الحديث إلى احتفالية إعلامية أو مجاملة صحفية للأستاذ أمين العالم ، وهذا ما ذكرته منذ البداية حتى أحافظ على القوام الموضوعى لهذه السطور ، فأننا لست على معرفة شخصية مباشرة بالأستاذ العالم- وهذا من سوء حظى- إلا أننى لا أنسى أول لقاء معه ، وكنا فى بداية عقد التسعينيات من القرن العشرين ولم تكن مقاميم العولة، وما بعد الحداثة، وثورة التكنولوجيا الاتصالية قد أخذت هكذا فى الانتشار والسيطرة على السياق العالمى كما هى عليه الآن، ولم تكن قد تصدبت معالمها بعد، وفى سؤال منى للأستاذ العالم حول طبيعة المتغيرات فى النظام العالمى القادم ، كانت إجابة هذا الرجل تنتظر إلى الأفاق البعيد القادر على رصد المتغير التاريخى ، والمستوعب نقدياً لكافة التحولات فقد أجابنى يومها بتحليل لم أنسه وذلك لتحقق

الكثير من استنتاجاته فيما بعد ، قائلا في تنقيح وتامل «أعتقد أن هذا العالم يتجه نحو حضارة عالمية واحدة تحت مفهوم العولة على اعتبارها الشكل الأخير أو آخر الأشكال التي أفرزها النظام الرأسمالي العالمي، فهي عولة نظام رأسمالي عالمي يسيطر عليها منتج هذا النظام، ويلعب الممشمون والمستهلكون دوراً فيها فتصبح العولة من هنا مستقطبة لصلحة أطراف معينة فهي استقطاب للاستقلال حيث تسعى من خلال جهازها الاعلامي والتكنولوجي إلى تنميط العالم سياسياً وأيديولوجياً وثقافياً هادفة إلى إلغاء الحدود الجغرافية والسياسية ، وبالتالي تسعى العولة لإلغاء الخصوصيات الثقافية ، والقومية ، ولإلغاء الدور الإنتاجي للدولة ، وتحولها إلى دولة بوليسية أمنية، تدافع عن مصالح إنتاج رأسمال المركز الأوروبي الأمريكي.

هكذا رصد الأستاذ الكبير محمود أمين العالم منذ حوالي سبع سنوات المتغيرات التاريخية التي نحيا بنتائجها اليوم بالفعل ، فبالرغم من مضي هذه السنوات على حديثه إلا أنه كما نرى حديثاً في عمق واقعنا المعاصر لرصد آخر التشكيلات الرأسمالية الراهنة.

كم كنت أتمنى أن يمتد هذا المخطوط للملاحقة كافة مواقف الأستاذ العالم، وكم أنا أسف على أنه جات سطره متسركة، ولإنتقالاته الاستنتاجية متعجلة ، راجيا أن أكون قد شكلت بانوراما عامة حول بعض مواقف الأستاذ العالم في تجربته الفكرية وتجليات رؤيته الكلية حول هذه المواقف بكم كنت أود مناقشة هذه المواقف بعمق أكثر ، فهناك العديد والعديد من مواقف الأستاذ العالم كنت أود مناقشتها «مفهومه عن الواقع النظري» وعن «الخصوصية التاريخية» وعن «الثورة» وموقفه من الثقافة ، ومن الحداثة ومن كافة المفاهيم والمتغيرات التي طرأت على الفكر المادي الجدلي، مواقف عديدة وقضايا متعددة وإنتاج علمي جبار يمتلكه هذا الرجل وأقفا على ناصية رؤية كلية للإنسان صاغت تجربته الفكرية والحياتية على مدار ثمانين عاماً ، مهارة تحليلية ، وقدرة استنتاجية بالغة القوة والنفوذ وعمق في رؤيته الاجتماعية ، واستشرافه للتاريخ، تحية إلى هذا العملاق في يوم ميلاده، أطال الله في عمره حتى نحتفل بيوم ميلاده المئوي.

الهوامش

- ١- محمود أمين العالم ، حديثه في ميلاده السبعين ١٩٩٢ ، عدد ٨٦ من أدب ونقد ص ١٧.
- ٢- يعرف عن الأستاذ أمين العالم ممارسته للشرطن وخبرته الكبيرة في اللعبة.
- ٣- محمود أمين العالم، الإنسان موقف ، طبعة الأعمال الفكرية لمكتبة الأسرة ٢٠٠٢ ص ٢٠١.
- ٤- محمود أمين العالم ، الإنسان موقف ، طبعة الأعمال الفكرية لمكتبة الأسرة من ٢٠٢ ، حديثه في ميلاده السبعين ١٩٩٢ ، عدد ٨٦ من أدب ونقد ص ١٧.
- ٥- محمود أمين العالم ، حديثه في ميلاده السبعين ١٩٩٢ ، عدد ٨٦ من أدب ونقد ص ١٧.
- ٦- محمود أمين العالم ، الإنسان موقف ، مرجع سابق ص ٢٠٣.
- ٧- أدب ونقد مرجع سابق ص ١٢.
- ٨- محمود أمين العالم - الوعى والوعى الزائف ، طبعة دار الثقافة الجديدة ١٩٨٦ .

- ٢٩- نفس المرجع ، ص ٢٩٩ .
 ٣٠- نفس المرجع ص ٢٩٩ .
 ٣١- نفس المرجع ، ص ٣٠١ .
 ٣٢- نفس المرجع ص ٣٠٢ .
 ٣٣- نفس المرجع ص ٣٠٢ .
 ٣٤- نفس المرجع ص ٣٠٣ .
 ٣٥- نفس المرجع ، ص ٣٠٣ .
 ٣٦- نفس المرجع ، ص ٣٠٣ .
 ٣٧- نفس المرجع ، ص ٣١
 ٣٨- نفس المرجع ، ص ٣١
 ٣٩- نفس المرجع ، ص ٣٧
 ٤٠- نفس المرجع ، ص ٣٨
 ٤١- نفس المرجع ص ٣٨ .
 ٤٢- نفس المرجع ص ٣٩ .
 ٤٣- نفس المرجع ص ٤٠ .
 ٤٤- نفس المرجع ص ٤٣ .
 ٤٥- نفس المرجع ص ٤٣ .
 ٤٦- نفس المرجع ص ٤٣ .
 ٤٧- نفس المرجع ص ٤٣ .
 ٤٨- نفس المرجع ص ٤٤
 ٤٩ نفس المرجع ص ٥٠ -

- ٩- نفس المرجع ، ص ٢٢٢ .
 ١٠- نفس المرجع ، ص ٢٢٢ .
 ١١- نفس المرجع ، ص ٢٢٢ .
 ١٢- نفس المرجع ، ص ٢٢٤ .
 ١٣- نفس المرجع ، ص ٢٢٥ .
 ١٤- نفس المرجع ، ص ٢٢٤ .
 ١٥- نفس المرجع ، ص ٢٢٤ .
 ١٦- نفس المرجع ص ٢٢٥ .
 ١٧- نفس المرجع ، ص ٢٢٥ .
 ١٨- نفس المرجع ، ص ٥٥
 ١٩- نفس المرجع ، ص ٦٩ .
 ٢٠- نفس المرجع ، ص ٦٩ .
 ٢١- نفس المرجع ص ١٩ .
 ٢٢- نفس المرجع ص ٢٠٣
 ٢٣- نفس المرجع ، ص ٦٦ ، ٦٧ .
 ٢٤- محمود أمين العالم، مفاهيم وقضايا إشكالية ،
 دار الثقافة الجديدة ١٩٩٠ ص ٥٥ .
 ٢٥- الوعي والوعي الزائف، مرجع سابق ، ص ٢٩٤ .
 ٢٦- نفس المرجع ، ص ٢٩٣ .
 ٢٧- نفس المرجع ، ص ٢٩٤ .
 ٢٨- نفس المرجع ، ص ٢٩٤ .

حدائق النساء : فن نقد الأصولية "

صفاء النجار

مشهد تأسيسى
ذات مساء ، بينما أطلع إلى أعالي شجر الليمون الذى يملأ حديقتنا سالتنى جنتى عن سبب تحديقى فى
المروج.
فاجبتها بخبرة سئنى السبع : أريد أن أعرف إلى أين ستصل.
ريتت السيدة العجوز ذات الأصابع الضئيلة على رأسى وقالت :
- أولى بك النظر إلى جنوعها

* * *

مشهد متكرر
تلق السيدة الثلاثينية التى تسمح سلم العمارة كل أسبوع على باب الشقة أفتح لها ..
تسألنى وهى محنية على " الخيشة " تنظف " البسطة " وجلبابها البتل يلتف حول وسطها وينطلون "
الكستور " مرفوع حتى الركبتين
- عايزة حاجة ؟..

* * *

ما بين المشهد التأسيسى والمشهد المتكرر كانت عشرات المشاهد الصغيرة التى لاتعيشها سوى النساء
تتوالى لعينى وأنا أتابع ندوة الكتاب الموجع " حدائق النساء فى نقد الأصولية " التى قسمته الكاتبة فريدة
النقاش إلى ثمانية عشر فصلا قدمت من خلال صفحاته المائة وأربع وستين عرضاً وتحليلاً لأوضاع المرأة
المصرية والعربية تاريخياً وواقعياً من خلال مناقشة الأطر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفقهية التى
تسور حدائق النساء ويمنع أشجارها الوصول إلى الشمس أو الهواء . فبه الله لكل مخلوقاته دون امتياز أو
تمييز لأحد.

قنمت الندوة الشاعرة « غادة نبيل » التى استوقفتها اللهجة للموضوعية التى كتبت بها « فريدة النقاش »
صفحات الكتاب رغم الألم الكبير الذى يطغى على واقع النساء والذى تولاه الكاتبة اهتماماً كبيراً . ففى الواقع
يتم تفرغ الحقوق التى تحظى بها المرأة من محتواها ويتم إبطال نصوص وتفعيل نصوص أخرى لصالح قهر
المرأة وتكون المحصلة هى الأخذ بما يقيد المرأة ويكبلها .
اللهجة : للموضوعية لم تكن وحدها التى استوقفت مقدمة الندوة بل كانت هناك أيضا لهجة النقد الذاتى
للعديد من التيارات الفكرية منها " نقد نظرية تيار الإسلام السياسى للمرأة " ونقد نظرية التيار الليبرالى للمرأة "

وفي ختام تقديمها للنثوة تسالطت غادة " هل المفاهيم الإجتماعية لانتغير إلا بالقوانين القوقية أم أن التغير لايد وأن يكون له تهديد عند القاعدة العريضة من البسطاء " وذلك في إشارة إلى ماقدمه الكتاب عن موقف الرئيس التونسي السابق الحبيب بورقيبة من قضية المرأة ، واستنارة وتقود التجربة التونسية ، ومن التساؤل الى الاستمتاع بقراءة الكتاب انتقلت دقة النثوة للحديث عن كتاب مقعم بالحرارة كما وصفه د. على ميروك في قراءته النقدية التي ركزت على النقاط التي تقاطع فيها مع الكتاب وهي

« تجاوز الكتاب المقولة السطحية التي تقول إن تحرر النساء مرتبط بتحسين شروط البنية الاقتصادية .
« إن الكتاب يربط شروط تحرير المرأة بشروط التحرر الإنساني
ولكن الكتاب به " توتر " وهذا التوتر من قبيل مايشئ ومايفنى فالكتاب استطاع أن يصل إلى أن قهر المرأة هو بمثابة قناع للقهر الإنساني.

وأوضح د. ميروك في نظرة بانثورامية إلى معضلة الاستبداد العربي الذي يهيمن على القضاء العام للممارسة العربية ويوجد دعماً له مما يمارس من قهر في القضاء الخاص ، فالقهر السياسي يخفي نفسه من خلال القهر الموجه ضد المرأة ، فالقهر في القضاء العام يتحرر تحرراً زائفاً من خلال ممارسة القهر أو إعادة انتاج القهر فهناك تدوير لانتاج القهر وعندما تحول إلى قاهر صغير أقدم للقاهر الأكبر شروط قهره.
فنحن نحتاج إلى تفسيرات وتحليلات علم النفس السياسي لهذه الظاهرة كما نحتاج إلى اكتشاف منطقة تلاقى مشتركة حتى لانتحول المسألة إلى صراع بين المرأة والرجل . كما نحتاج إلى تحرير النثني من قبضة القهر نفسه ، فالبنية الفقهية الدينية التي يستند إليها القانوني والتشريعي في القهر الذي يمارس ضد المرأة هي نفسها نتاج وضع قاهر ، فرضه القهر السياسي.

وفي ختام قراءته نبه د/ على ميروك أن الأصولية ليست مضموناً معرفياً فقط ولكنها نظام تفكير أيضاً.
أما د. إيناس طه فقد لفتت الانتباه إلى عنوان الكتاب " حدائق النساء " فهي ترى أنه عنوان لافق يومي بمعاني الخصوبة والإثمار والأزدهار
وطرحت عدة تساؤلات عن

١) الحركة النسائية الجديدة فهل هي حركة متحركة أم أننا إزاء إرهاصات حركة نسائية جديدة تسعى لتشكّل

٢) عدم انجذاب الجماهير العادية للحركة النسائية حالياً
٣) الخلط بين العدا للرجل والصراع مع الرجل.

وأوضحت أن الصراع لايعني العدا فالتأثيرات الغربية هي التي أحدثت مصطلح العدو المميم وأطلقت على الرجل ، والصراع من شأنه أن يجعل للعلاقة أكثر إنسانية

٤) المرجعية المثلى التي تنشد الاستناد إليها
فهي ترى أن اختيار المرجعية العالمية لمقوق الإنسان يبدو أسهل وأصوب ولكنه سيقابل بمعوقات عند التنفيذ.

وكالفجر الذي أطل كالمحريق كانت مداخلة الروائي سعد القرش التي بدأها بتحية الكاتبة فريدة النقاش التي يقف وراء كتابتها فكر على عكس العديد من الكتابات الأخرى التي تمتلأ بالعويل.

ويعد هذه الطريقة البطيبركية لمنح البركات والحرمان من الغفران تسالط القرش لماذا التمسك بالأدب النسائي -؟ ونذكرنا بأن الرجل يتعرض مثله مثل المرأة بل وأكثر لقهر مضاعف وهددنا بأن التمسك بالحديث عن قهر المرأة سوف يحصر هذه القضية في النخبة.

ولما كانت مديرية النثوة امرأة فقد أطلعت الحاضرين على سر ربما لانتشع به سوى النساء تعقيباً على مداخلة " القرش " بأن المرأة لايتسطيع أن تجلس في مكان عام دون أن تتعرض لمضايقات الآخرين وحينما يصل الأمر لذلك فانه من الصعب أن نتقبل مقولة معظم الزملاء لانتكلم عن القهر لأننا مقهورون أكثر " لأنه يوجد

قهر ويوجد قهر مركب تتعرض له المرأة العاملة والمرأة السوداء لا اسبب سوى أنهن تساء فهناك مستويات للقهر تقع على النساء لايمكن للرجال تخيلها. والتقطت السيدة منجية أبو زيد الخيط من غادة للتحديث عن قهر المرأة لنفسها وقهر الفقر للمرأة.

ويبدو أن طول الحديث في هذا الجزء من الندوة عن القهر قد أجبرد/ على مبروك على التدخل والدعوة لتبنى مشروع بحث يتصدى للقهر العام وأن توجه عملنا نحو المستقبل أما . (الأستاذ مصطفى محمود مترجم كتاب نساء يركضن مع الذئاب.

توجه بسؤال للدكتورة إيناس طه "كيف نجد المرجعية الدينية المستتيرة" ويسؤال للكاتبة فريدة النقاش "كيف تصبح الحركة العالمية لحقوق الإنسان هي المرجعية" أما الكاتب حسين عبد الرازق فقد أوضح في مداخلته أن النخب الحالية معزولة عن الجماهير بسبب الوضع السياسي الحالي الذي يرفض أى علاقة فاعلة بين النخب والجماهير. وأكد أن القهر ليس عاماً فهناك فئات يقع عليها قهر مزدوج ومنها المرأة ولابد من التنبه لذلك. ولأنه شريك حياة السيدة فريدة فقد أضاء لنا منطقة في التركيبة النفسية للكاتبة وهي تعاطفها وشعرها بالهم الحقيقي للأوضاع المرأة والحساسية العالية ضد كل أشكال الظلم أى كان رغم أنها متحفقة ككاتبة وسياسية وإنسانية.

وفى ختام الندوة أجابت الكاتبة فريدة النقاش عن التساؤلات التي طرحها المشاركون في الحوار وأكدت أن الأصوليات لايمكن أن تتساوى ، فلا يمكن أن تساوى الأصولية الماركسية بالأصولية الدينية فالأصولية تنطبق على الدين ولاتنطبق على العلم.

وقالت "أظن أن كتابي بدرجة أو أخرى يدخل في إطار التحليل الموضوعي العلمي وأرجعت كون الحركة النسائية حركة نخبوية إلى أزمة الديمقراطية التي يعيشها المجتمع المصري والعربي.

كما تمسكت بالمرجعية العالمية لحقوق الإنسان كأساس لتحرير المرأة والمجتمع فالحركة العالمية لحقوق الإنسان هي محصلة القيم الإنسانية وقد كان لنا مشاركتنا في صياغة بنود ميثاق حقوق الإنسان حيث شارك كل من محمود عزمي المسلم من مصر ، وشارل مالك المسيحي من لبنان في صياغة الميثاق وشاركت عزيزة حسين من مصر في وضع نصوص الاتفاقية الدولية لإلغاء التمييز ضد المرأة فهذه المرجعية لايتبتعد عن روح الاسلام ، أما فيما يتعلق بالتأويل المستتير للدين فهي مع الدفع للتأويل الديني لكن الواقع يقول إنه توجد دائماً محاولات قطع وتكسير لأى اجتهادات مستتيرة.

وقالت "نحن في حاجة لبلورة هذا الموضوع في المستقبل ومناقشته" موضوع آخر طرحته الكاتبة فريدة النقاش هو رفض النظام الناصري الاعتراف بالمرأة ككائن مستقل رغم أنها حصلت في ظل ثورة يوليو على حق التعليم والعمل والمشاركة السياسية إلا هذه الحقوق ظلت مرهونة بمخالفاتها الزوجية ورفض النظام تغيير أى بند في قانون الأحوال الشخصية ولم تكن لديه نظرة متكاملة لقضية تحرر المرأة باعتبارها مواطناً كاملاً فمثلاً عندما تعرضت الوزيرة د. حكمت أبو زيد إلى احتمال إعتراض زوجها على سفرها استناداً إلى قانون الأحوال الشخصية صدر قرار وزاري يقضي بأنه طالما وافق الزوج على إصدار جواز سفر للزوجة فإن هذا يعتبر موافقة على سفرها ولكنه لم يساوى بين الرجل والمرأة في حق استخراج جواز السفر دون موافقة من أحد واعتمد ذلك كله على مفهوم القوامة.

مشهد ختامي:

بعد انتهاء الندوة ، سألني أحد المشاركين باستنكار "أتقوا مذهبين ١٩ وأردف بسرعة "رينا ياخذكم" لكن ربحي أمكلاً بالإشفاق على محاولته المستميتة للتشبيح بحصن الامتيازات الذي يحمي به. وبعاءً بدعاء وجهت نفسي أريد "اللهم إمنحنا القدرة على دق الأبواب ونحن على ثقة أنك ستفتحها".

مشهد ليلي

رنا حايك

كان قصيراً ، لكن قصر قامته لم يكن يمنعه من الوصول إلى فوهة صندوق القمامة الذي كان يقذف على مدار الساعة روائح فضلات أهل المدينة.

كان الصندوق بمثابة معرض للفن التشكيلي بألوانه المركبة وأشكال محتوياته المشوهة. عندما يبقى النظام والبلد والمجتمع المنطلق فتظهر أنت وسط سائل أصفر تكاد تختلق. هذا ما كان يشعر به . فكيف يقرف من بحر الزبالة الذي يسبح فيه في المستوعب الأخضر المنسي على جانب شارع المتخمين.

شاركتها مرة في المواء المقلوب شاركها ليله المظلم والجوع. مر على جنب الطريق عاشقان يمشيان على وقع همساتهما الساحرة وقبله مسروقة ضاعمت بين ثنايا اللحظة ، نظر إلى الهرة فمات.

نظر إلى السماء ، ثم انكسرت جفونه وتحركت عيناه فعاادت إلى المستوعب أمامه . بطانية موردة مزخرفة أهملت بسبب مرق بسيط لحق طرفها . ترى الست لاتعرف في الرق ؟ أم أنها تخشى على أصابعها من وخز الإبر؟

حمل البطانية زاد ليله ومشى يقيس الدرب في تعاريج المدينة الملتوية المنحنية كتقاطيع المرأة جسداً ونفساً.

يقطع الصمت بنوبة سعال من حين لآخر ويقتل الوحشة بصغير خافت ترقص أضواء الشارع على أنغامه الناعسة .

- يا أولاد الملاعين !

صرخ من قلبه ، فقد أنسته الوحدة حنجرته وأوتاره الصوتية. صرخ داخله منزحاً من هذا الجيل الذي يهوى سباق الدراجات النارية على أوتوسترادات الليل المقفرة . وبدأ انزعاجه يتصاعد كلما اقترب الصوت.

إلى أن مرت الآلة بسرعة البرق واجتازته بلمح البصر فوقف مذهولاً يبين فارغتين.

- لاجول ولاقوة إلا بالله . قالها وضحك لأول مرة منذ أسابيع.

كاتبان جديدان صدرا معاً للكاتب الكبير إيوار الخراط (المشهد القصصى) ويقول فيه إن الإبداع القصصى المصرى ما زال يتنقح صائراً عن ينباع التراث التقليدى أو الشعبى على السواء ومغامراً نحو التجريب والحداثية. والكتاب الثانى (القصة والحداث) بالحداث كذلك فى القصة المصرية تنطوى على قلق لا يريم وطلى نوع من الهدم المستمر فى الزمن دون أن يتحول إلى بنية ثابتة، وتنطوى على سؤال مفتوح لا تثنى السنوات بإجابة عنه.

الجدير بالذكر أن صدور الكتابين تزامن مع بلوغ الكاتب الكبير العالم السابع والسبعين وقد أقام له مركز الحضارة العربية - مكان صدور الكتابين - احتفالاً بمكتبة القاهرة وتضمن الاحتفال ندوة وحفل استقبال وتوقياً.

السودان أهوال الحرب .. وطموحات السلام

عن دار تراث ، صدر للدكتور منصور خالد كتاب «السودان» ، أهوال الحرب، وطموحات السلام. قصة بلدين فى هذا الكتاب يرى منصور خالد أن السياسة السودانية منذ الاستقلال وعبر نصف قرن مضى أدبت على أن تجعل السودان بلدين شمال يدور حول نفسه ، وجنوب مكلم، تسال الكاتب وماذا بعد كل هذا التاريخ المثقل بأوضاع الماضى؟ وهل يمكن للسودان أن يصبح أمة واحدة ، ولاسيما فى ظل وعى جمعى مرهق بحمل ثقيل من تلك الأوضاع ؟ إن المؤلف ودرأ للشبهات يرى ضرورة أن لا نرى فى عنوانه الفرعى «قصة بلدين» حكماً استباقياً ، إذ أنه بروج لا يعزها التناقض يفتح نمه على احتمالات شتى ، يعضد الواقع المر من ضرورة الانفتاح عليها أما الاحتمال العزيز فهو بلاشك يرتبط فعليا برغبة الأخيار من أبناء السودان فى وحدة طوعية حقيقية ، تكفل لجميع الأطراف حياة جديدة بأن تعايش.

نفاج

نفاج تعنى : باب صغير فى البيوت السودانية القديمة يصل بين الجيران وتعنى أيضا اسم المجموعة الشعرية الجديدة للشاعر السودانى «محبوب شريف» صدرت عن «تراث» يمكن القول إن مساهمة محبوب شريف الشعرية تحمل قيمة معيارية فى سياق الحداث الشعرية السودانية أى أنه يمكن أن تقاس من خلالها درجة تطور ما سبقها وما أتى لاحقاً عليها من منجز شعرى باللغة العربية الشعبية (الحكية) لشمال السودان.

والشاعر محبوب شريف ، غنى له محمد منير وسمى اليوم شهير له باسم شطر من قصيدة للشاعر:

بتاضل ويتعلم

تلميذ فى مدرسة الشعب

المدرسة فاتحة على الشارع

والشارع فاتح فى القلب

والقلب ساكن شعبية.

الشاعر محبوب شريف بلغ بدرجة أحوال البراعة الشعرية نفسها إلى هبة الوطن والناس

فالسبيلية بعض أنفاسه إلى الشعب والأصدقاء والذين لولاهم كما قال «لما كانت وكنت» بكل شعره سعى إلى وجه الوطن ، مهما بهزت الأثمان وله في ذلك فعل مشهود.

حكايات أصلان وخلوة الغلابان

حكايات من فضل الله عثمان ، قصص لكاتبنا البارز إبراهيم أصلان ، الكتاب صدر عن دار ميريت ، أما «خلوة الغلابان» الكتاب الثاني لأصلان فقد صدر عن دار الشروق هذا الكتاب الأخير وكما جاء في كلمة الناشر:

يقدم جانباً بديعاً من إبراهيم قد لا يعرفه الكثيرون إلى جانب معرفتهم به كقاص وروائي كبير، وهو إبراهيم «الناشر» صاحب اللقطة البالغة النكاء والإحكام والانضباط ، والقائمة أساساً على الاستبعاد من أجل استخلاص الجوهر وتخليصه، إنه يرى غير العادي في العادي ويحول الواقع المألوف إلى شعر خالص.

أصلان في أحد وجوهه التي لا يعرفها الكثيرون «ناشر» وهذا الكتاب ، ضم عدداً من لوحاته ولقطاته وصوره تحت عنوان أكثر من دال «خلوة الغلابان».

كائن خرافي غابته الثثرة

اسم المجموعة الشعرية الجديدة للزميلة نجاة على ، صدرت المجموعة عن سلسلة الكتاب الأول ، المجلس الأعلى للثقافة ، تقول نجاة في إحدى قصائدها:

وأحب أيضاً هذه الطرقات المظلمة والتي لا يمر بها سوى المشوهين ، ربما أستطيع أن أكلمهم فيصيروا أصحاباً لي ، أو ربما لأكلم نفسي عن المجانين الذين يحتلون رأس هذه الأيام وأفكر فيهم بسذاجة ، وصورهم التي تسكن سقف الحجرة وأصواتهم التي تبدو مخيفة بهذا الشكل ، وأثرثر بالكلمات التي صارت ميتة مثلي.

رقص أفريقي

رقص أفريقي ، الرواية الثانية للكاتب عصام راسم فهمي بعد روايته الأولى «الحكروب» في هذه الرواية- صدرت عن سلسلة كتابات جديدة ، هيئة الكتاب- ينتقى الكاتب زاوية مختلفة ووعالم مختلفاً عن روايته السابقة فالرواية تفوق في قلب الأسطورة والحكاية الخرافية بلغة حكاة متمكن ، قادر على نسيج الحكاية الخرافية بالواقع المعيش ، والأسئلة الكبيرة عن الموت والوجود ، بالبحث عن ظل تحت شجرة انتقاء للشمس المحرقة ، الراوي يجد نفسه دائماً يعود إلى جواب واحد مختصر بعد كثرة أسئلته ، ذلك الجواب هو الكون والوجود بأسراره وعلاقاته العجيبة المتداخلة ، وعلينا قبوله والاشتباك معه .

رأس إسماعيل

رأس إسماعيل- من حكايات الفراشة واللهب- رواية صدرت للدكتور مأمون البسيوني ، عن دار ميريت، هذه الرواية وكما يشير العنوان الفرعي لها ، من حكايات الفراشة واللهب ، الكتاب السابق الذي صدر للكاتب وكان يحوي مذكراته الاجتماعية والسياسية مندمجة مع هموم الوطن . لكن في هذه الرواية يركز الكاتب عدسته على أشخاص وأماكن وأحداث بعينها مستندا إلى خبرته الطويلة وحكاياته شديدة التشويق والمساوية في أن.

الكوميديا الشيطانية

رواية للكاتب هانى الرفاعى ، صدرت عن دار ميريت ، تجزئُ منها هذه الفقرة ، حبيبة تخرج من بين الضباب الأرجوانى تغتسل بالدم، تشرب الصديد ، تلبس عقود العاج وتلقى بالبخور المقدس داخل مبخرة سحرية ، تنارس طقوساً شيطانية أمام أحد السحرة ، أشارك حبيبة فيما تفعله نقدم الأطفال قرابينا للنيران ، نقرأ الأوراد والطلاسم نرسم بالطين على أجسادنا ، ندق الوشم على ظهورنا ، على أنغام الطبول الأفريقية نرقص كقرود بدائية.

النور قارب على الزوال

الفرق أجساد
حين تغلق بونها الأبواب والنوافذ
تتعفن أعضاؤها
وتمشى الحواس
فقرة من الديوان الجديدة «النور قارب على الزوال» للشاعر والصحفى محمد الحمامسى ، صدر الكتاب عن سلسلة كتابات جديدة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

سيف الجلالة

شعر بالعامية المصرية لأحمد الصعيدى عن سلسلة أصوات أدبية ، هيئة قصور الثقافة ، يحاول الشاعر فى مجموعته دمج همومه ومشاكله الشخصية بهوم وقضايا الوطن ، من حى سيدنا الحسين إلى رفح إلى فلسطين ومن الواد إلى يسرح بالناديل إلى محمد الدرة ومن بغداد والبصرة إلى القاهرة.

ليل

مجموعة قصصية جديدة للكاتب ' إبراهيم الحسى صدرت عن المجلس الأعلى للثقافة يقول الناقد إبراهيم فتحى عن المجموعة : تجسد القصص مرأى وملمس وطعم ورائحة أيام وليال لقطاع واسع من الناس ، يستمد شعره غير التقليدية من انقلاب الوضع والكشف عن تجل ولا توجد فكرة مجردة تحدد البناء الذى ينبع من منطق التفاصيل بعيداً عن أن يكون قالباً مفروضاً.

الإغارة على الحدود

دراسة فى أدب إيوار الخراط ، صدر عن مركز الحضارة العربية للكاتب والمترجم المعروف ماهر شفيق فريد . نتاج إيوار الخراط - كما يراه مؤلف هذا الكتاب- إغارة مستمرة على الحدود: حدود فاصلة بين الواقع والطم ، الجسد والروح ، الفصحى والعامية ، وذلك فى محاولة دائبة لدأب الصدع بين هذه الأقطاب المتقابلة ، وتحقيق التكامل الجسدي والروحي والعقل للإنسان.

فى النهاية أيضا ستكون الكلمات

بلى عوض الله كبر

كان ياما كان ، واحد صايغ صغير وحيوط ، نط فى المحيط هرباً من ناس أصيغ منه ، وعام وعام وعام ، لغاية ما عبر المحيط ووصل بعد نحو عام إلى أرض كبيرة جداً ، تساع قارته القيمة بناسها كلهم ، وكان للأرض دى أصحاب عددهم قليل ، وعاشين متقورين ومنورين مكانهم بثقافة وبفن وشعر .. والصايغ الصغير لما التقى صيغ آخرين من ملته ، إتشجع وحارب الأصليين ، وقتل منهم أعداداً كثيرة ، وشنت شمل ماتبقى .. وبهكذا صارت القارة الجديدة قارته.

طبعاً ، الصايغ الصغير دا كان كبر ، وتزوج ، وخلف بنين وبنات تزوجوا هم كذلك من أولاد وبنات الصيغ الآخرين .. وعاشت العائلات دى ، هيه وأحفادها ، وأحفاد أحفادها ، على تراث الصياغة الممتد مئات السنين لورا .. وكان لازم (والتراث دافع للفرانز نحو إعادة مجد أجدادهم) يعيدوا إنتاج ماعمله هؤلاء الأجداد .. ولكن كان خلاص ، كل قارات الكرة الأرضية كان تم اكتشافها ، ومعرفة مجاهيلها ، فيعملوا إيه ؟ .. يعملوا إيه ؟ .. أه .. لقيوها .. وكانت طبعاً أسهل مما حدث أيام أجدادهم ويدل ماينطوا فى سائل المحيط المائى ويس .. نطوا أيضاً فى غازات المحيط السماوى ، وقعدوا يكتسوا الدول من شعوبها ، دولة ورا دولة ، وبعد ماتحقق فرضهم واتبسطوا على الآخر ، التقوا مصانعهم الجبارة الشغالة وحدها ، دولما شغيل واحد عمالة ترمى على الأرض إنتاج ورا إنتاج .. وكان حنفية مياه مفتوحة عن آخرها .. وكل صندوق ينزل يزيغ الصندوق اللى قدامه ، واللى قدامه يزيغ اللى قدامه ، وهكذا لغاية مازاح الصندوق اللى قرب الساحل ، الصندوق اللى أصبح على حافة مياه المحيط ، فوقع وغطس وراح ، ووراءه الصندوق الثانى فالثالث فالرابع ، ورغم كده اللى فضل من الإنتاج ما التقوش العدد الكافى من السكان يشتريه ، وحتى هذا العدد ماعدش معاه فلوس ، إلا على قد العيش والقموس ، فوققت الصناعات الجبارة ، وماعدش هناك لزوم لوجود العلماء ، ولوجود الكليات ، ولوجود معاهد ومراكز البحوث العلمية وغيرها ، والخدمات اللى زى المستشفيات ومدارس التعليم وغيرها ، مالتقتش تبرعات تكفل استثمارها وبوامها ، فارتفعت المصاريف والتكاليف فوق ارتفاعاتها السابقة ، فى الوقت ذاته أجور أهل القارة الجديدة كانت قلت ، وبالكاد تكفى العيش والقموس ، فقعدوا عيالهم فى البيوت على لمبة جاز ، وتحت منهم حصيرة صنعها لهم واحد من أحفاد سكان قارتهم الأصليين بالتعاون مع واحد من أحفاد سكان القارات القديمة .. كان الأجداد (وفى العلق المرنى ، وتحت بند الحفاظ على التراث الشعبى تعلم أولادها صناعة الحصر واللمض الجاز وصل الكرازين) كانوا بالفريزة يعلمون أنه ماطر طير وارتفع إلا وعلى عنقه رقع ، لبتدا الحياة لدورة جديدة يعى فيها الناس أن المعنة محدودة الاتساع ، والجسم محدود الحجم ، وكلاما لا يحتاج إلا أقل المقليل ، بينما الدماغ لاحود لها ، لحظتها سيعرف العالم أن الإنسان أثمن رأسمال ، ومستبأرى الدول جميعها فى الصرف على تنمية أدمغة شعوبها ، أدمغة قد يشط بعضها ويعمل على تحويل البحر إلى طحينة ، والصحارى إلى سسل ، والأقمار إلى أرغفة خبز ، مما يتسبب فى حروب من نوع جديد ومغاير .. حروب بين ثورين جند ، هم الشعراء والأدباء والفنانون .. ورجعيين جند ، هم العلماء والتكنوقراط .. ولهؤلاء وطن هو القلب .. وللآخرين وطن هو الدماغ .. والقنايل هى الكلمات صانعة كل بده جديد.

